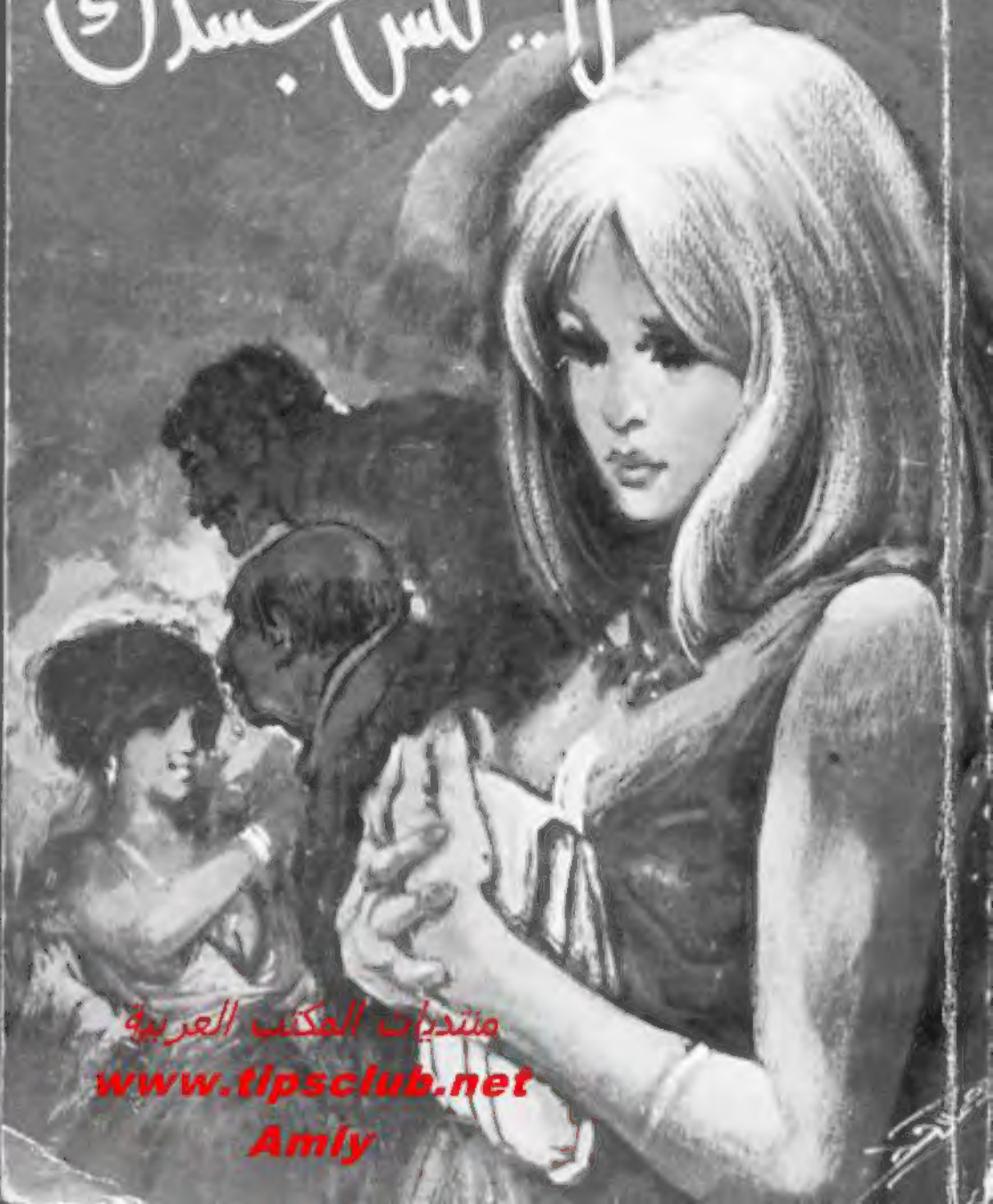


امداد عیسیٰ

الایس جسدی



منتديات المكتب العربية

www.tipsclub.net

Amly

إحسان عبد القدوس

لا.. ليس جسدي

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الغزالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

دار مصر للطباعة

٢٧ شارع كامل صدقي

كانت طالبة معي في الجامعة .. كانت جميلة .. جمالها هادئ ..
مريح .. يريح القلب والعقل .. وكانت رغم جمالها ، جادة ..
ليس فيها مرقعة بقية البنات .. ولا اندفاع بقية البنات .. كانت
تبدو دائما كأنها تفكر .. وكنت اتبنى لحظة لا تفكر فيها .. ولكنها
تبدو وكأن لها عقليْن .. العقل الثاني في صدرها ..

وكانت دائما تبدو كأن ارادتها في يديها .. وكنت اتبنى ان
اسرق ارادتها منها .. حاولت كثيرا ان اسرق ارادتها .. ولكن
مستحيل .. أنها تقبض على ارادتها بيد من حديد ..

وكانت دائما محتفظة بكرامتها .. كرامة حساسة الى حد
متعب .. ومعنى كرامتها هو شخصيتها الكاملة .. شخصية
تضعها بجانب شخصية أي رجل .. وقد حاولت كثيرا ان اضع
لكرامتها معنى آخر .. ان اقنعها بان ليس بين المحبين كرامة
.. وان كرامة الحب هي الاستسلام للحب .. ولكن ، لا ..
ان مقاييس كرامتها ، لا تتغير ..

وكنت خلال سنوات الجامعة ، اعرف كثيرا من البنات .. آخذ
منهن ما أريد ، حتى ولو لم يردهن .. كانت لي وسائل اكيدة المفعول
اصل بها الى أي بنت .. ولكي كنت دائما اعود اليها .. ولا اكاد
التقي بها حتى أنسى كل وسائل الاكيدة المفعول ، واجد نفسي
اشترك معها في نقاش هادئ حول نظرية ادبية ، أو حول المبادئ
السياسية ، أو حول الأخلاق الاجتماعية .. وتمر ساعة أو ساعتان
ثم تتركني في هدوء وانتسامتها الحلوة فوق شففتيها .. ولا تكاد
تتركني .. حتى احس بأنني ضيعت من عمري ساعتين في هباء ..
في كلام فاضي .. وأغناظ .. وأجري الى البنات الأخريات كأي
انتقم منها .. وأحيانا يشتد غيظي حتى افكر في تحطيم رأسها
الذي تفكر به .. في تحطيم ارادتها .. في تحطيم كبريائها .. ولكنني

لا ابشأن اجد نفسي اعود اليها لنقاش في النظريات الادبية
والسياسية ، والاجتماعية .. دون ان احطم شيئا !!

وفي يوم استطعت ان اجبع ارادتي ، وامسكت بيدها ، ونحن
نسير ، نخوض في مناقشاتنا .. وتركنت لي يدها .. ولم أعد
اسمع شيئا مما تقوله .. انحصر كل تفكيري في الخطوة التالية ..
واقدمت على الخطوة التالية بعد لحظات .. فجذبتها الى فجأة ..
وقبلتها فوق خدها قبلة سريعة ..

وابتعدت عني بلا عنف ..
وسحبت يدها من يدي ، في هدوء ..
ثم نظرت الى .. نظرة كبيرة .. وابنتامتها الحلوة لا تزال
بين شففتيها ..
ثم تركتني ..

— ولا أدري لماذا ندمت .. هذه النظرة الكبيرة شقت صدري
واستقرت بين ضلوعي .. وجعلني احس بأنني سافل .. لأول مرة
احسست بأنني سافل !!

ولم أعد أحاول مرة ثانية ..
اكتفيت منها بلهفتي التي تدفعني اليها .. والى مناقشاتنا
الطويلة ..

واستمرت صداقتنا الى ما بعد تخرجنا .. وأنا اكذب عندما
اسمها « صداقة » .. لقد كنت اعرف ان ما بيننا أكثر من صداقة
.. ولكني لم أكن أريد ان اعترف بذلك .. حتى لا اتعذب ..
وحاجتي اليها تزداد على مر الأيام .. كل البنات اللاتي يعطينني
ما أريد ، لا يبلان مكانها ، ولا يجعلنني استغنى عنها ..

— اني اذهب اليها في بيت أهلها .. واذهب معها أحيانا الى
السينما .. وأحيانا أرقص معها .. ولا شيء يتغير من عقليتها ،
أو ارادتها أو كرامتها ..

وأخيرا قلت لها :

— أليلى .. احنا خائنضل كده لغاية امتى ؟

• وقالت كأنها نناقشنى فى السياسة :

— قصدك ايه ؟

نقلت وأنا أنظر إليها فى تردد :

— قصدى نتجوز !!

ولاول مرة أرى وجنتيها تحتقان خفرا .. وأرى جفنيها
ينسدلان فوق عينيها .. ورعشة خفيفة ، ترتعش بها أصابع
يديها ..

وقالت فى صوت مرتعش :

— انت فكرت كويس يا محمد !!

ولم أكن قد « فكرت-كويس » ولكنى شعرت ساعتها بأننى إن
استطيع أن أعيش إلا إذا تزوجتها .. سأهوت لو رغبتهنى !
ولم ترفضنى ..

ظلت ساكنة ودماء الخمر تصلا وجهها .. بريئة .. طاهرة ..
واقتربت منها ..
والثقت شفاهنا ..

لأول مرة ..

وآه من هذه المرة .. انى لا استطيع أبدا أن أنساها .. لقد
حوت حبا ، حروما دلم ست سنوات .. حوت انهيار كل ارادتها ..
وحوت جلاوة كل كبريائها .. وكل عقلها ..
أنها تحببى ..

كل هذه السنين كانت تحببى ..

إن لها عقلا واحدا .. لا عقلين كما كنت أعتقد .. قلبها فى
مكانه من صدرها .. قلب كبير .. وربما كان لها قلبان .. الثانى
فى راسها !

وملأنى حبها بالغرور .. غرور لم تستطع كل البنات اللاتى
« رفتهن » أن يثرلهن ..

ولكن غرورى لم يفسد حبنى ..
انى أحبها ..

لم أعد أحاول أن أنكر حبنى ..
وتزوجنا ..

أيام كالعسل جمعتنا .. ومى خلال هذه الأيام .. أيام العسل
أخذت أحدثها عن مفامراتى السابقة .. عن عشرات البنات اللاتى
أخذت منهن ما أريد .. وهى تستمع وابتهامتها الحلوة فوق
شفتيها ، ورأسها مرفوع تشده كرامتها .. ثم قالت لى فى هدوء :

— تعرف لو خنتنى يا محمد ، حاسيل ايه ؟

قلت وأنا ضحك ضحكة مفرورة :

— ايه ؟

قالت فى بساطة :

— حا أخونك !

وضحكت ضحكة مألوية ..

وقطعت ضحكى ، وقالت فى صوتها الهادئ :

— اتفقنا ..

قلت وأنا أهر كفتى ، وأطلق ضحكة أخرى :

— اتفقنا !!

ثم التفت نفسى فوقها .. أقبلها !!

ولم أشعر فى هذه اللحظة بأنها كانت جادة فى هذا الاتفاق
السريع الذى مقدناه .. ربما لأن غرورى كان أقوى من أن انصوب
أن زوجتى يمكن أن تخوننى .. وربما لأنى فى تلك اللحظة لم أكن
أصور انى سأخونها يوما ما .. لم أكن فى حاجة الى خيانتها ..
فقبلت الاتفاق كنوع من الداعبة ..

وبر عيان .. ونسيت خلاهما هذا الاتفاق ..

و ..

وجاءت الى مكتبي سيدة صغيرة .. مطلقا تعرض احدى
تضايها .. انها جميلة .. نوع آخر من الجمال غير الجمال الذي
تميز به زوجتي .. جمال قد لا يجذب تلك .. ولا عتلك .. ولكنه
يجذب اعصابك ..

ووجدت نفسي ابلق فيها ..

ثم وجدت نفسي افكر في الوسائل القديمة التي كنت اصل بها
الى ما اريد من البنات ..

وقاومت ..

— صدقوني .. لقد قاومت .. ولكنها كانت متأومة فعينة ..
تغلبت عليها شقاوتي .. ورايت نفسي اندفع اليها كاني احاول ان
اجرب نفسي .. واجرب مواهبى .. بعد هذا العمر الطويل ..
عمر سنين ، قضيتها في حالة اخلاص تام .. جمد حياتي ..

وكانت السيدة الصغيرة المطلق .. سهلة !

لم البث — بعد اول خطوة — ان وجدت شئني فوق شفتيها !

وعدت الى البيت مرها .. بكاد زهوى يرغمني من على الارض
.. واتيلت على زوجتي ادللها اكثر مما تعودت .. وأملأ اذنيها
بضحكاتي وكلامي الحلو .. وكنت مخلصا في كل ذلك .. لقد
اكتشفت ان الزوج عندما ينجح في خيانة زوجته ، يحبها أكثر ..
ويسعداها أكثر !!

ولمى الصباح ..

فتحت عيني لأجد مندبلي مفرودا بجانب رأسي .. وبقعة كبيرة
حمراء من أحمر شفاه ، ثقف فوقه ، كأنها الجرح العميق ..

وزوجتي جالسة بجانبى على الفراش ، تبسم في هدوء
ابسامتها الحلوة ..

وارتبتك ..

ولكنى سيطرت على ارتياكى بسرعة ، وقلت كاني فوجئت !

— ايه ده ؟

وقالت ليلى في هدوء :

— انا عارغه .. اسأل نفسك !

— وسكت قليلا كاني افكر ، ثم صحت وانا ازين صيحتي

ابتسامة كبيرة :

— آه .. أصل امبارح وانا جاي فت على امي .. وكانت اخني

هناك .. وزى ما انتى عاربه اخني أول ما تشوفنى تنزل في

بوس .. ومسحت بوستها في مندبلي .. انفكرت دلوقت !

وظلت زوجتي ساكنة تبسم ..

وعدت اقول :

— مش مصدقاني ؟

قالت في هدوء :

— مصدقك !

واخذتها بين ذراعي وقبلتها .. وقبلتني .. ثم عدت اقول كاني

لم اكن واثقا انها صدقنى :

— اذا كنت مش مصدقاني .. اسألى اخني !!

وكنت متأكدا ان زوجتي لن تسأل اخني .. ان كبرياءها سيحول

بينها وبين أن تسألها ..

ولم تسألها فعلا ..

وازدادت ثقة بنفسى ..

ما أسهل خيانة الزوجات !

وعدت الى المطلق الصغيرة .. السهلة !!

مرت اسابيع وانا .. اخون زوجتي !

ثم ..

طلبت منى المخلقة الصغيرة أن أوصيها إلى بيتها بسيارى
لثاننا في شقة أحد أصدقائي ..
ووكبت بجانبى .. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي أوصيها
.. وتركب بجانبى وتلتصق بى ..
ونجاة .. لمحت زوجتى تسير على رصيف الشارع ..
وارتبكت .. صرخت :
— مراتى ..

وأخفيت راسى فوق عجلة القيادة كأنى أحاول أن أخفى نفسى
عنها .. ثم بدأ عطفى يطفى .. ماذا سأقول لها .. أى كذبة اختارها
.. اتعرف .. أن الزوج عادة لا يستطيع أن يختار الكذبة التي
سيرونها لزوجته .. ولكنه يظل يفكر فيها .. ثم تنطلق رغم
أرادته ، ربما تفكير .. بمجرد أن يواجه زوجته .. يارب الأهمنى
كذبة جيدة عندما أواجه ليلى ..

ولكن .. لعلها لم ترنى .. انى لم أر عينيها تلتقيان بوجهى
.. يارب .. لعلك قد أهينتها حتى لا ترانى ..
وعدت إلى البيت .. اتعثر فى ارتباكى ..
أن ليلى هادئة ..
ابتسامتها مستقرة فوق شففتها .. ابتسامتها الحلوة ! ..
انها لم ترنى ..
وقبلتها .. قبله أودعها كل حبى .. وأكثر من حبى ..
ارتباكى ! ..

ومر يومان ..

ورفعت سماعة التليفون وأنا فى مكتبى ، لأحدث زوجتى فى
البيت .. و .. النمرة مشغولة .. وانتظرت خمس دقائق ، وأدبرت

القرص مرة ثانية .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد ثلث
ساعة استطعت أن أتصل بها ،
— كنت بتكلمى مين ؟

وأجابت فى هدوء :

— بكلم ماها ..

وصدقتها .. صدقتها فعلا ، وبدون أدنى ارتياب ..

وفى اليوم التالى ..

اتصلت بها بالتليفون .. مشغولة .. و .. مشغولة .. وبعد
نصف ساعة استطعت أن أتصل بها ..

— كنت بتكلمى مين !

— اختى .. سهر ..

وصدقتها .. صدقتها فعلا ..

وفى اليوم الثالث .. والرابع .. والخامس ..

والتليفون مشغول لمدة نصف ساعة .. ثم ثلاثة أرباع الساعة
.. ثم ساعة ..

وبدأت أرتاب ..

وبدعت برمة أرتابى .. لا .. مستحيل !

وليلى تستأذنى فى الخروج .. نازلة البلد .. ولم تكن من
عادة ليلى أن تستأذنى عندما تنزل البلد ..

ثم تستأذنى لزيارة إحدى صديقاتها .. وحائز شوية !!

وتستأذنى فى زيارة أختها ..

انها تخرج كل يوم .. ولم تكن هذه عادتها .. والتليفون
مشغول دائما .. ولم تكن هذه عادتها أيضا ..

واشتدت ريبتى ..

واشتدت أكثر ..

ثم نجاة تذكرت الاتفاق الذى كان قد تم بيننا فى يوم من أيام
المسل .. ان تخوننى ، اذا خنتها !!

هل تأكدت ليلى من خيانتى ، وبدات تخوننى ؟
مستحيل ..

واذا حدث ، فلن أقبل .. ولن أسكت .. اتفاق او لا اتفاق ..
انه اتفاق لا يقره شرع ولا قانون ..

ولكن ليلى لا تخوننى ..
مستحيل ..

مستحيل يا عالم ..

وبدات أعصابى تظف .. أصبحت أصرخ فى وجهها بمناسبة ،
وبلا مناسبة .. وأصبحت تقبلنى فأحس أنها تقبلنى بافتعال ..
صحيح ان قبلتها حارة طويلة .. ولكن انا ايضا كنت أقبلها قبلات
حارة طويلة عندما أخونها مع المطلقة الصغيرة .. وصحيح انها
تدللنى وتعطينى من نفسها فى سخاء وتفاعل .. ولكن انا ايضا
كنت أعطيها واتفاعل معها أكثر كلما خنتها أكثر ..
وأعصابى تزداد قلعا ..

ولكنى لا أستطيع ان أنهما .. ولا أستطيع ان أمارحها
بشكوكى . كبريائى وغرورى يمنعانى ..
واستأذنت منى ذات صباح لتخرج ..
ورفضت ..

صرخت فى وجهها :

— لا ما أخرجيش .. مش كل يوم خروج .

وهزت كتفها فى هدوء .. ولم ترد !

ولكنها خرجت فى اليوم التالى ، بلا إذن .. دون استئذان !
وكنت أجن ..

ولكنى لا أستطيع ان أمارحها بجنونى ، ولا بشكوكى ..

وذات يوم اتصلت بها بالتليفون ..

مشغول ..

وبسرعة اتصلت بمرّة تليفون أمها .. الجرس يرن ..
واتصلت بمرّة تليفون أختها .. الجرس يرن .. ومرّة تليفون
صديقتها .. الجرس يرن .. واتصلت بكل تليفونات أقاربها
وصديقاتها .. والجرس دائما يرن .. ومعنى هذا انها لا تحدث
أحدًا من كل هؤلاء .. انها تحدث غريبا عنى .. رجلا غريبا ..
تحدث عشيقها ..

انها تخوننى ..

تخوننى ..

والدماء تغلى فى عروقى .. وبدون أن أدري .. خرجت من
مكتبى أجرى كالمجنون .. وجريت بسيارتى الى اول مأذون ..
وطلقتها ..

طلقت ليلى دون أن تدري ..

وحاولت بعد ان وقعت وثيقة الطلاق ان أهدأ ..

لقد انتقمته ..

ولكنى لم أهدأ ..

ورفعت سماعة التليفون لالتقى فى وجهها بالقنبلة .. لقد
أصبحت طالقا ..

ولكن ..

التليفون مشغول ..

وجريت بسيارتى الى البيت ...

ودخلت على أطراف أصابعى لأضبطها وهى تحدث الرجل

الغريب .. لعلها رائدة في الفراش .. بقميص النوم .. وسماعة
التليفون فوق أذنها .. هائمة في حديثها مع عشيقها ..
وعلى باب حجرتها وقفت مشدوها ..
تسمرت كأنى استحلت الى تمثال من رخام ..
ان ليلتي جالسة تقرا في كتاب ..
والتليفون بجانبها .. والسماعة مرفوعة !!

ويومها بكيت .. بكيت وأنا واقف عند بابها ..
لقد اكتشفت في لحظة انها لم تكن تخوننى .. ولكنها كانت
تلعب لعبة خطيرة ، لتنتقم منى على خيانتى لها ..
و .. وبكت ليلتي أيضا ..
بكت عندما علمت انى طلقتهما .. فى لعبة !!
ولكنها جنفت دموعها بسرعة .. ورمعت رأسها .. وجمعت
ارادتها بين يديها .. وخرجت من البيت ..
ومضت ستة شهور أحاول ان أقنعها انها السبب فى جنونى ..
انها السبب فى كل ما حدث ..
ولكنها لا تقتنع ..
كرامتها الصساسة تقف ببى وبينها .. وارادتها تخوننى ..
ولكنى لم اياأس .. انتى أحبها ..
وكل ما بقى لى من أمل .. انها تحبنى !

زوجة وخادمة

عندما تزوج مصطفى عبد العال ، العامل بصنع المنتجات
الحديثة ، كان فى التاسعة عشرة من عمره ، وكانت يومئذ عشرين
قرشا ، فاذا خصمنا ايام العطلات ، فان مجموع دخله فى الشهر لم
يكن يتجاوز خمسة الجنيهات ونصف الجنيه ..

ولكن الاسطى مصطفى - واقب اسطى لم يكن يتنعم به الا بـ
اولاد الحارة - ثم يحسب حساب أجره عندما فكر فى الزواج ..
لقد تزوج لانه يجب أن يتزوج .. ولأن كل الناس يتزوجون ..
والرزق على الله !

تزوج الاسطى مصطفى بدافع الاستطراء الى الحياة .. نفس
الدافع الذى دفعه ليبحث لنفسه عن عمل ..
وكما بحث عن عمل لنفسه يحبه ..
فقد بحث عن زوجة يحبها ..

وكان يحب عزيزة ، ابنة الحاج متولى البقال ، الذى يقع دكانه
على ناصية الحارة .. ولم يكن حبه لها حبا عفيفا صارخا .. لم
يكن حبه لها يؤرقه او يدفعه اليها .. كان حبه هادئا ، فيه حنان
وشهامة أكثر مما فيه من اثره وانفراع .. حبا يعيش معه كما يعيش
حبه لأمه واخته .. بل لانه لم يفكر فى الزواج بها ، الا عندما بدا
يفكر فى الزواج .. لقد اكتشف نجاة أن عزيزة ليست اخته ، وأنه
يستطيع أن يتزوجها ..

وكانت عزيزة جميلة .. تمتاز عن كل بنات الحارة بشعرها
الاصفر ، وببياض بشرتها ، وعينيها الملونتين .. ان امها من المنصورة
.. ولكنها كانت ضعيفة .. هزيلة .. وجهها نحيل .. وقوامها
رقيق .. وصفرة تلون فوق وجنتيها .. وشفتاها ياهتتان ..
وعيناها دائبا مجهدتان .. وربما كان هذا الضعف هو الذى دفع
مصطفى اليها .. كان يعتبر نفسه مسئولا عنها منذ كان صبيا ..
كان يقولى حمايتها من مشاكسات اولاد الحارة .. وكان يأخذ من
امه نصف الرغيف وقطعة الجبن ، ويجلس معها على عتبة البيت
ليأكلها سويا .. وكانت عينه دائبا عليها ، كلما نزلت الحارة ..
لا يتركها وحدها ، ولا يتركها لاحد ..

وقد تم زواجه ببساطة ..

قابل عزيزة وهى خارجة من بيتها ملتفة بملاعتها السوداء ، وقال
لها وهو يصافحها ، دون ان يخلط صوته :

— تتجوزينى يا عزيزة ؟

ونظرت اليه عزيزة بعينين مبهورتين .. وارتفعت قطرات
حمرء فوق وجنتيها .. ثم لأول مرة — ترفع طرف ملايتها لتغطى
وجهها عنه .. وربما لتخفى فرحتها .. وجرت من امامه .. عالت
تدخل بيتها دون ان تجيبه !

وعارضت ام مصطفى فى زواجه من عزيزة ، وصاحت وهى
تخطب يدها على صدرها :

— يا بنى دى ضعفانه وعيانه .. دى ما تستحملش جواز ..
والا عاجبك الشعر الاصفر ؟

ورد عليها مصطفى فى ثبات وثقة :

— دى متربيه معايا يا امه .. ما حدش يستحملنى ويفهمنى
زيها !! .

وام مصطفى امرأة طيبة .. وكانت تعلم ان عزيزة طيبة ايضا
.. ستريحها وتريح ابنها .. فسحبت محارضاها بسرعة ، ورجبت
المروسة فى بيتها ..

ولم يتغير شيء .. انتقلت عزيزة الى بيت مصطفى .. هذا هو
كل شيء !

ولكن مصطفى اكتشف ان زوجته اكثر ضعفا مما كان يعتقد ..
انها مريضة .. مريضة بالربو .. وكان اكثر ما تحرص عليه عزيزة
هو ان تخفى عن زوجها ضعفها ، ومرضاها ..

كانت تصر على ان تقوم بكل اعمال البيت وحدها .. هى التى
تكنس ، وهى التى تسمع ، وهى التى تغسل ، وهى التى تطبخ ..
تخدمه وتخدم امه .. فاذا احست بنوبة من نوبات الربو على وشك
ان تلم بها جرت الى الحمام ، واغلقت الباب عليها ، وعانت النوبة
وحدها ..

ولاحظ مصطفى كل ما تبذله عزيزة من جهد ، وكل ما تخفيه
عنه ..

وتعرق قلبه .. وقرر ان يصطحبها الى طبيب .. ولكنها
ترفض ..

انها ليست مريضة .. فقط نوبة من البرد لا تلبث ان تزول ..
ومصطفى يعلم انها مريضة .. ويعلم انه يجب ان يصحبها
الى طبيب ..

وعندما بدأ مصطفى يفكر فى اصطحاب زوجته الى طبيب ..
بدأ يفكر فى اجره .. ان اجره لا يكفى ليدفع اتعاب الطبيب ويشترى
الدواء .. لا يتبقى منه شيء !

وكان مصطفى مائلا ماهر .. وكان يعلم انه مائل ماهر ..
امهر عمال المصنع .. ويعلم انه يستحق زيادة اجره ..

ولكن الطريقة التي يطالب بها بزيادة أجره ، كانت تنتهى دائما برفض طلبه . انه لا يجيد التفاق للأسطى الكبير . ولا يجيد التفاق للموظف المسئول . انه عصبى . وقد زاده مرض زوجته حدة وعصبية . وكلما ناقش رئيسه فى زيادة أجره ، وجد نفسه بعد بضعة كلمات يصرخ ، ويثور ، ويسب ، ويلعن . ولم يزد أجره .

وأخذ زوجته الى مستشفى مجاى ، ليكشف عليها الطبيب فى العيادة الخارجية . اضطر أن يضربها لتعترف بمرضها ، وتذهب معه الى المستشفى .

واقترض ليشتري لها الدواء الذى كتبه الطبيب .

ولكن الدواء لا يفيد . وهو غير مقتنع بهذا الطبيب .

وحالة زوجته تسوء . ورغم ذلك لا تزال تصر على أن تقوم بكل أعمال البيت وحدها . ثم زادت الحالة سوءا .

ماتت امه . وكانت تتقاضى ثلاثة جنيهات فى الشهر معاش زوجها . ضاعت !

وحملت زوجته . وزاد الحمل من مرضها ، وأصبحت نوبات الربو تلاحقها الى حد لم تعد تستطيع أن تخفيها فى الحمام ! وخرج مصطفى من المصنع الذى يعمل فيه . والتحق بمصنع آخر .

ترك العمل الذى يحبه ، الى عمل لا يحبه فى سبيل زيادة أجره . وزيادة الاجر لم تتجاوز خمسة قروش . أصبحت يوميته خمسة وعشرين قرشا .

واستهلك الزيادة فى علاج زوجته .

ولكنها لا تشفى . لا تزال ضعيفة . كل ما فعله العلاج ان خفف من اثر النوبات عليها .

واقضى ما يتعب مصطفى انها لا تزال تصر على ان تقوم بكل أعمال البيت وحدها . انها ترفض ان يساعدوا أحد من نساء الجيران . وتمضب ان قام مصطفى من مكانه ليشرب . يجب ان تأتى بقلعة الماء بنفسها . وقد بكت يوم وجدته يغسل بذلته الزرقاء بنفسه . بكت الى حد الصراخ . ثم شددت البذلة من يده ، وبدأت تغسلها من جديد . ويتوسل اليها :

— ما تعيش نفسك يا عزيزه . عياكى يلزمه الراحة !

وتصرخ فيه :

— ما لكتهدوه . انا مش عيانه . قلت لك الف مره مش عيانه . انا آسكتك لك يا اخى !

ويسكت الاسطى مصطفى . وقلبه يتمزق . واحيانا يتوا لها :

— بلاش تطبخى يا عزيزه . انا نفسى فى طعبيه سوسى من عند الحاج عظيم ، حاشترها معايا وانا راجع .

وتصرخ :

— ابدأ . ما تكلمش من السوق ابدأ وانا معاك . والا طبخى مش عاجبك يا مصطفى .

ويسكت مصطفى . وقلبه يتمزق .

انه لا يستطيع ان يخفى جزعه عليها . وهى لا تقبل منه ان يعتبرها مريضة . انها ليست مريضة . انها زوجة كاملة . تستطيع ان تخدم بيتها ، وتخدم زوجها .

ويطبخها ينتفخ . ولا تزال تكس . وتمسح . وتطبخ . وتفصل البذلة الزرقاء .

و .. وحدث شيء جديد ..

ام المصنع الذى يعمل فيه مصطفى .. ووضعت سياسة جديدة للأجور .. ارتفع أجر مصطفى مرة واحدة الى اربعين قرشا فى اليوم ، واصبح يتقاضى احره حتى عن أيام العطلات الرسمية .. وفرح مصطفى .. وبدأ يفكر فيما يمكنه بهذه الثروة الجديدة التى هبطت عليه ..

فكر فى ان ينتقل الى سكن جديد .. فى حى اقل رطوبة .. فى العباسية ، مثلا .. لقد قال له الطبيب ان الجو الجاف يريح زوجته ..

وفكر ان يشتري لنفسه بسكيت يذهب بها الى عمله .. ان البسكيت توفر عليه مخاضع الايتوبيس ..

و .. فكر ان يتزوج .. زوجة ثانية .. وممر براسه هذا الخاطر مروراً سريعاً .. وطرده بسرعة وغضب .. لا .. لن تكون له زوجة الا عزيزة .. سيقتلها لو تزوج غيرها ..

وابتسم .. ربما كان اول ما يجب ان يفعله هو ان يستأجر خادمة ترفع عن كاهل عزيزة عبء أعمال البيت .. تريحتها .. واتسعت ابتسامته .. ستكون لعزيزة خادمة .. لم تكن لأمه خادمة ، ولا لأم عزيزة .. هذه أول مرة تدخل بينهم خادمة ..

واحس بالفرجة تكاد تطير به .. لن تنعب عزيزة بعد اليوم .. ولن يجرع عليها ..

وفى نهاية الأسبوع ، خرج من المصنع بعد ان قهر احره .. وذهب الى شارع الموسيقى .. واشترى لزوجه ثوبا جديداً .. لونه احمر مزين بورد ابيض .. ثم مر على أم فطومة التى تبيع الفجل والكرات على باب الحارة .. وافق معها على ان تعمل فطومة عنده .. خادمة .. تطير جنينه فى الشهر .. وصمم على ان يصحب فطومة معه الى البيت ..

ودخل على عزيزة .. واستقبله وانتسابها بلع مى عسا
١ .. مما تدو بين شفتيها الباهتين ..

ثم جملت انتسابتها عندها التقت عيناها بوجه فطومة .. وهست فى صوت لا يسمع :

— ازيك يا فطومة ..
وحلحل صوت فطومة ، كانه مژغرد .. صوت ملهى ، بالصحة والمافية :

— الله يسلمك يا سميت عزيزة ..

وفتح مصطفى اللفافة التى يحملها ، وصاح فى فرح :
— جيت لك فستان جديد يا عزيزة .. ربنا فتحها على

وعليكى ..

وأمسكت عزيزة القماش باطراف اصابعها واغتصبت ابتسامة وضعتها بين الشفتين الضعيفتين ، وهست :

— له بس يا مصطفى .. ده الفستان الذى عدى لسه جديد ..

وعادت تنظر الى فطومة .. فى حيرة .. ثم ترمع عينيها الى مصطفى فى حيرة ..

وقال مصطفى كانه يعلن انصاره :
— البت فطومه حششخل عندنا .. تخدك ، وتريحك .. انتفتت

مع أمها خلاص ..

واتسعت عينا عزيزة كأنها ذعرت .. وعادت تنظر فى وجه زوجها ، وفى وجه فطومة .. ثم هست :

— انت كان ناقصك حاجة يا مصطفى ؟
وقال مصطفى :

— ناقصنى راحتك .. من هنا ورايح تعمدي زى الهوانم ..
والبت فطومه تخدك !

وسكتت عزيزة .. وقفت بجانب زوجها وهو يخلع ثيابه ،

تحمل له جلبانه ثم ناولنه المشقة وسارت وراءه الى الحمام ..
وامسدت عينها بوجه ملومه . مانطقت من ممها صرخة كبيرة
.. صرخة اكبر منها :

— املى يا بت اتعدى وراء الباب ، لغاية ما اندهلك !
ثم بدأت تعد طعام زوجها ..

وقال مصطفى وهو يئس :

— ما نخلى غطومه تسخن الاكل ، واستريحى اننى !
واجابت هزيرة فى حزم ، كأنها — ولأول مرة — نحدى
زوجها :

— لا .. ودى ايه مرغها الت المعوصه دى !

ورفضت هزيرة ان تشاركها غطومة فى اعمال البيت ، او فى
خدمة زوجها .. انه بيتها . وهو زوجها .. وليس لاحد حق ميهما
الا هى .. هى التى تستطيع ان تفعل كل شئ .. هى وجدها ..
ان مصطفى لن يجد البيت نظيفا الا اذا كتسته هى .. ولن يسريح
فى ثيابه الا اذا غسلتها له بيديها .. ولن تتفتح شهته لطعام
الا اذا وضعت فيه انفاسها .. ن مصطفى لا يستطيع ان بسنمى
عنها ولو استأجر عشر خاديات ..

ومصطفى يصيح وهو مترعب على الكتبة :

— هانى قلة اليه يا بت يا غطومه ..

وتقفز هزيرة من جانبها ، وتجري رغم ضعفها وتحمل قلة الماء ،
وهى تصبح فى غطومة :

— خليكى انت يا بت ..

وطغومة لا تفهم شيئا .. انها فى العاشرة من عمرها ،
لا تستطيع ان تفهم شيئا .. ويرتفع صوتها .. صوتها الملىء
بالصحة والعافية .. لتغنى « يا امه القمر ع الباب » وتأكل رغيف
كاملا فى الوجبة .

وبدا مصطفى يتدخل فى علف .. بدأ يحذر زوجته على ان
تدخل عن اعمال البيت لغطومة .. ويجبرها ان تسريح .. بهذا
.. تراعى صحتها ..

وعزيرة لا تهدأ .. انها تدخل مجهودا .. مجهودا فى تحدى
ملومة ..

ومجهودا فى ضبط اعصابها ، كلما سمعت غطومة معنى . وكلما
راتها تبذل رغيفا فى كل وجبة ..

ومجهودا فى خدمة زوجها ، وفى اللحاق بطلبانه قبل ان يلحقها
غطومة ..

وساعت صحتها .. بدأت ساعات الربو تتابع .. وتزداد ضعفا
.. وتزداد هزالا .. وتزداد اصفرارا .. ثم رقدت .. لم تعد
تستطيع ان تقوم من الفراش .

ثم ماتت الجدين فى مطبها ..

ومصطفى كالجنون .. يجرى الى الاطباء .. ويجرى ليشترى
الدواء ..

وقلبه بمنزق فى لهفة على زوجته .. ويجلس بجانبها ويحنن
راسها ، ويهمس كأنه يبكى :

— شدى ديلك يا عزيزة ..

وعزيرة صابئة ، لا تنظر الى زوجها .. عينها تنبعان
مطومة .. وتن وهى تراها تسمى زوجها المشقة .. وتن وهى
تراها تطهو الطعام .. وتن وهى تراها تكنس .. وتن وهى
سمعها تغنى « يا امه القمر ع الباب » .. وتن عندما تتخللها تبلم
رغيف كاملا فى الوجبة الواحدة ..

وبحس اينها فى همسة ضمنية ، كأنها تلفظ آخر انفاسها :
— مصطفى .. انت هايزنى اخف يا مصطفى ؟

ورد مصطفى بلهفة صادقة :

— ده أنا أبيع عبرى علشانك يا عزيزة ..

واسطردت عزيزة فى همسها الضعيف :

— يبسلىم لى مبرك يا مصطفى .. أنا عايزه حاجه واحده بس ..

وانطلق مصطفى يقول :

— الأمري يا عزيزة ..

وهبست عزيزة ورأسها بيدل فوق الوسادة :

— اطرده فطومه !

وارتفعت الدهشة من عيني مصطفى .. ولكنه كتمها .. وقال فى

استسلام :

— حاضر ..

ثم قام وصرخ فى فطومة :

— امشى يا بت أرجعى لأمك .. خلاص مشى عايزينك ..

وابقسبت عزيزة ..

وبدأت تسترد صحتها ..

صورة

كان الأسطى حنفى العجلانى .. مخلوقا عجيبا .. صخم الجذع ..
بارز العضلات .. مستدير أنراس .. منفوخ الخدين .. يخلق
شعره بالموسى .. ويتقسم عن أسنان قوية ، بخيل البك أنه يستطيع
أن يبهش بها لحم خروفه حي ..

وكان عاوى خناقى .. لم يكن سر يوم الا ويتجمع سكان شارع
بين الحناير ، حول مكان الأسطى حنفى ليشاهدوه وهو يخوض
خناقة ..

ولم يكن لخناقات الأسطى حنفى سبب معروف .. كان يكنى
الا يعجبه وجه أى إنسان ، حتى يركز عليه عينيه .. ويجمع
أنفاسه فى صدره ، ثم يبدله بعض كلمات تنهى حتما بأن يرفع
قبضته الضخمة ويسدها الى وجه خصمه .. وتقوم الخناقة ..

ولم يكن الأسطى حنفى يخرج من هذه الخناقات سالما .. كان
دائما يبدو وهالة سوداء تحت أحدى عينيه .. ودمه ينزف من
أنفه .. أما ضحاياه فغالبا تحلهم عربات الاسفاف ..

ورغم ذلك لم يكن الأسطى حنفى شريرا .. ولا ساخط ..
كان دائما مسسما ، مرحا ، طيب القلب .. كل ما هنالك أنه كان
يعتقد أن « الخناق صحة » .. وأنه يتناول الخناقات كما يساول
الناس اقراص الميناهبات .. شيء لتقوية العضلات .. وشيئ
شرايين القلب ، وتهدة الاعصاب ..

وكانت له ميزة يعرفها كل انسا الحى ، وهو انه لم يكن يستعمل
قوته ابدا ضد ضعيف .. كان ينتقى ضحاياه من الأقوياء او من
مدعى القوة .. وكان يكفى أن تنظر الى وجه ضحيته - وأثار
الضرب فيه ، حتى لو لم تكن تمرمه ، أو تعرف شيئا عنه ..

كان الأسطى حنفى محبوبا من سكان الحى .. الكبار يعرفون
فيه طبيته .. والنساء يرهبنه - ملا يستطيع واحدة منهن ان تبر
مام دكانه ، وثوبا يكشف عن كعبه - أو وهى تقصع فى مشينها
.. اذ لا تلتص صرخة الأسطى حنفى ان يلاحقها :

— ما تمشى كويس يا بت .. والا ايه ؟ !

وبعد التنت فى مشيتها - وتضطى كفتها .. والاولاد
يعدونه ..

دكانه محاط دائما بكل الاولاد .. يستاجرون منه الدراجات -
والذى لا يستطيع دفع أيجار دراجة ، ينتظر حتى يمنحه الأسطى
حنفى « دور » محاتا ..

كانوا يحتمون به حتى من آبائهم .. ويحملون له هدايا
صفرة يبرتونها من بيوتهم .. كعكة .. أو شقة بطيخ .. وهو
يعتبر نفسه حاميا لهم .. كل اولاد الحى فى رعايته ..

وحدث أن هبت جندى جديد فى نقطة البوليس .. وحدث أن
صدمه أحد الاولاد حذمة عنيفة بالدراجة .. فأبسك الحندى
تلايب الولد ، وصفعه على قفاه .. وصرخ الأسطى حنفى :

— سييه يا شاويش .. ده مش ادك !

ورد الشاويش :

— اسكت أنت مالكش دخل !

وارتفعت الدماء الى راس الأسطى حنفى المخلوق بالموسى .
وجمعت أنفاسه فى صدره .. وهجم على الحندى وسدد قمضه
التيهية الى وجهه .. فطرحه أرضا ..

رأت حنقه .. وسمع حنود البوليس المجمعين فى
غشم « بان زميلا لهم قد أهين .. فاسرعوا الى شارع بين
.. بن .. وتجمعوا حول الأسطى حنفى ، وجروه الى « القسم »
مناك اعلتوا عليه غرفة للحجز ، وانهالوا عليه ضربا بالشوم ..
ورفع الأسطى حنفى على الأرض .. والشوم ينهال عليه ..
« الحود يصحنون فيه قائلين : قول أنا « مرة » ..

وتم يخل الأسطى حنفى انه « مرة » .. ظل يحتفل الصربات
هو بعض بأسنانه على كف يده .. والدم يسيل من راسه المخلوق
لوسى .. وضلوعه تتحطم .. ولا يقول « آى » .. الى تدخل
سلط البوليس ، وقضى الجنود عنه ، وسمح له بالتصرف ..

وقضى الأسطى حنفى يوما واحدا فى بيته ، ثم عاد الى دكانه
اسه ملفوف فى الشاش .. ممسما ، فحرا طيب القلب ..
صاح اهل الحى :

— حرى ايه يا اسطى حنفى ؟ !

ورد حنفى وهو يضحك :

— طلعتوا رخاله ولاد الايه .. صرمنى علقه انما مام ..

ثم صاح فى حدى الداورية :

— اتفضل شاي يا شاويش .. وهات عشرة معاك !!

وكان للأسطى حنفى دور غريب فى مظاهرات الطلبة عام ١٩٤٨
.. لا يكاد يلحح طلبة مدرسة العباسية الثانوية يسيرون فى
طاهرة حتى يطفى دكانه ، ويصحب المظاهرين .. يسير بجانبهم
.. على الرصيف .. لم يكن يهف معهم .. ولا يشرك معهم فى
حطيم الفوايس .. وربما كان لا يعلم شيئا عن سر تطاهرهم ..
لا يفهم معانى هتافهم .. كان كل ما يحسه أن الاولاد يصرخون
.. حطيم الفوايس .. ربما كانوا يلعبون .. وهو يعلم أن

التوليس لا يسمح بهذا اللعب وأنه يصرب الأولاد .. وهو لا يسمح
للتوليس بأن يشرب الأولاد ..

ويظل يسير بحانب المظاهرة صامتا ، الى أن يتصدى لها
التوليس المسلح بالمضى .. وهنا يتحرك الأسطى حنى .. يتنفذ
بنفسه داخل الصفوف .. فإذا استطاع أحد الجنود أن يلحق
بطالب ، كان أسرع اليه منه ، واتهال على الجندي ضربا .. ثم
حنى آخر .. وثالث .. ورابع ..

وكان الأسطى حنى يخرج من هذه المظاهرات مضروبا أكثر
من أى طالب .. ولكنه كان يهود سعيدا .. ويفتح مكانه ..
ويجلس على بابة ، وهو يمسح اندم الذى يسيل من أنفه ، بمنديله
الأحمر الملوئ ببنق الزيت .. ويصبح كأنه يضحك :

— هم الأولاد دول مش حاسطوا لعب .. والا ليه ؟!

ثم يرد على نفسه وضحكته تملأ وجهه : ايه !!

شيء غريب كان يحدث فى دكان الأسطى حنى بين الحين
والحين ..

كان يروره فى فترات متباعدة ، رجل نحيل ، قصير أصغر
الوجه تبرز عروقه من تحت جلده ، ويلبس جلبانا بلديا ، ويمسك
فى يده خيزرانة .. شكله منفر .. يجعلك تبتعد عنه كأنه مريض
بمرض معد .. وعيناه مبهضى كأنه مستيقظ لوه بعد سهر
حشيش ، وشفتاه رفيعتان يصورهما مواء كأنهما ملوثتان بالطين
.. ولا يكاد الأسطى حنى يرى هذا الشخص قادما ، حتى تحضى
اسمايه وتنطفئ لمة عينيه .. ويسكبش على نفسه .. ثم يتروم
بستقبله ورأسه منكس .. ويقدم له مقعدا ، يجلس عليه الرجل
فى كبرياء منفر ، وهو يقول :

— أزيك يا حنى ، ازي الأحوال !!

يرد عليه حنى فى صوت حفيض :
الله يسلمك يا معلم ..

— رجع رأسه .. ولا يسمس .. ولا بيكلم ..

حنى عندما يدخل الأولاد ليسبحروا الفراجات لا يسمس يوم
ماديه .. ولا يقوم لهم .. ولا يحدثهم .. يتركهم يأخذون
الهدايا ، ثم يمد يده فى صمت يتناول قيمة الإبحار ..

والرجل الأصفر جالس .. مساق فوق ساق .. ينظر بعينه
لحسب موله ، ويصق على الأرض كأنه يصق على الحى كله
.. وعلى من فيه .. وينظر على باب الدكان بطرف الخيزرانة التى
حملها فى يده .. ثم يطلب شبة .. وطلب قهوة .. وطلب
جابر حولد فلاك ..

ويجعى جالس طويلا ذللا . يلى طلعات المعلم فى صمت ..
ثم يقول المعلم :

— قوم مبنا يا حنى ..

ويقوم حنى مكسرا ، يفلق باب الدكان ، ثم يسير خلف المعلم
بسه زينه خطوات .. الرهن الحيل المريض المعر .. يسير
فى المقدمة رفوع الرأس فى زهر ثقيل .. وحنى بجنته الضحية .
رأسه المسدير يسير خلفه فى دل ، كأنه غوربلا مقعدة بالسلاسل ،
نودها ساحبها ..

ولم يكن أحد يعلم أين يذهب الأسطى حنى كل ليلة .. أنه
لا يسكن فى الحى .. ولا أحد يعلم أين يسكن .. كان البعض يقول
أنه يسكن فى حى الباطنية .. والبعض يقول أنه يسكن فى
الحمدى . ولكن لا أحد يعرف على وجه التأكيد .. ولم يكن
أسطى حنى يصرح بعنوان سكته . وعندما سألته الأسطى مهي
لكوى أين يسكن ، أجابه ولعة الدهيد فى عينيه :

— من عابك الدكان والا ابيه اسطى ؟ !

بل لم يكن احد يعلم شيئا عن حياة حنفى الخاصة .. لم نكن
نعلم هل هو متزوج ام اعزب .. وهل عنده اولاد ام لا .. وسأله
مرة عبد العزيز شكرى الطالب بمدرسة العباسية :

— انت ما عندكش اولاد يا اسطى حنفى ؟

واجاب حنفى ضاحكا :

— شاييف الاولاد دول كلهم .. يقولوا اولادى .. وانت كمان تبقى
من اولادى .. خذ المحله واتوكل !

ولم يكن احد يهتم كثيرا بحياة الاسطى حنفى الخاصة ، ولا
يعنون ببنه .. كانت هذه الاسئلة تمر سريعا على السنة اهالى
الحى ثم تحتفى دون ان تعقب شيئا من الاهتمام .. فحنفى كان
قطعة من الحى .. واحده اهله كيا هو .. وعاشروه سنوات
طويلة .. حتى اكتفوا بما يبدو منه اهلهم ..

كان كل ما يؤثر الاهتمام به هو هذا الرجل المبتر الذى لا يعرفه
احد ، والذى يتردد على حنفى فى فترات متعاعدة .. وكنا نتسائل
كيف يطبق الاسطى حنفى هذا الوجه المنفر ، وهو الذى لا يطبق اى
خلقة منفره ..

لماذا لا يضره ؟ لماذا ينكس راسه امامه ؟ لما يسكت للبصقات
التي يصبقها الرجل على ارض الشارع ، وكأنه يصبقها على الحى
كله .. وعلى من فيه ..

ثم اين يذهبان عقب كل زياره ؟ لم يكن احد يستطيع الجواب .
وكان الاسطى حنفى يعود فى اليوم التالي ، ويفتح دكانه ..
يبشسا كعادته ، مرحا ، طيب القلب .. يبحث عن خفاقة ..

ودأت يوم .. كنا — ونحن اطفال الحى — منجمين داخل دكان
الاسطى حنفى .. وهو يهرح معنا كعادته .. يروى لنا قصص

.. امامه و .. يتشعلق ؟ ثلاثة منا فى ذراعه نبرعنا دفعة واحدة ..
سكت

ونجاه اطل علينا وجه الرجل النحيل الاصفر .. عيناه اكثر
حما .. وشفتاه اكثر سوادا .. وعروقه اكثر بروزا من تحت
جلده .. ويضرب بخيزرانه طرف جلبابه بمصيبة .. وصاح فى
صوت احشئ :

— طلع العيال دول بره يا حنفى !!

واربكت الاسطى حنفى .. وانطفأت اللبحة فى عينيه .. ونكس
رأسه .. وتصد العرق من جبينه .. واندفعنا خارج الدكان
هروبا من الوجه المنفر ..

ودفع الرجل ضلفة الدكان بطرف خيزرانه فاغلقتها ..
والاسطى حنفى مسمر فى مكانه ..

ونظرنا من ثقب باب الدكان ..

ان الرجل النحيل يرقع خيزرانه ويتجالد بها على الاسطى
حتى على صدره .. على وجهه .. على رأسه ..

والاسطى حنفى يهمس فى ذل وهو مسمر فى مكانه .

— عيب يا معلم .. ما يصحش يا معلم .. احنا فى الدكان
يا معلم ..

والرجل لا يتكلم .. يجز على اسنانه .. وبريق مخيف ينطق
من عينيه .. ويرفع خيزرانه ويهال بها على الاسطى حنفى ..
على صدره .. وعلى وجهه .. وعلى رأسه ..

ثم تعب .. وقال وهو يلتقط أنفاسه :

— باللا بينا ..

وفتح باب الدكان .. وخرج الانثان ..

وفى هذه المرة سار الاسطى حنفى فى المتدبة .. ذليلا .

ينكس الرأس .. والرجل يسير خلفه مرموع الرأس في كبرياء
ثقله ، وهو يضرب طرف جلده بخيزرانتة ..

واهالي الحى ينظرون اليهما فى صمت .. ودهشة ..
وما كادا سعدان حتى اذاع الاطفال قصة العلفة التى اخذه
الاسطى حنمى من الرجل النحيل الأصفر .. وتجمع اهالى الحى
فى حلقات يتكلمون .. كلاما كثيرا .. كلامهم نساؤل ، ونساؤلهم
لا ينتهى الا الى نساؤل آخر ..

وفى الصباح القالى .. فوجئنا بديكان الاسطى حنمى مفتوحا
على مصراعيه ، وهو خال من الدراجات ، ومن كل ما فيه .. وقال
جندي البوليس ان حنمى جاء فى الليل .. وحمل كل ما فى دكتاه ..
وذهب ..

اخنمى حنمى .. اخنمى الى اليوم .. والى اليوم لا اعرف
اين ذهب حنمى .. !

مغامرة

وصل انى باريس بعد ان قضى خمسة شهور يطوف دول اوربوا
فى عمل شاق .. خمسة شهور كل يوم فيها كأنه مسمار يدق فى
راسه .. لا يكاد يتنمى من مقابلة مدير مصنع ، حتى يدخل فى
مناشئه مع لجة من اللجان الاقتصادية ثم يخرج ليتناول الطعام
على مائدة مسير .. ثم يطير الى بلد جديد ليقاتل مديرا آخر ..
ولجنة .. ويتناول الطعام على مائدة مسير !

وقرر ان يطير الى باريس .. ليستريح .. يستريح من المديرين
واللجان ، والسفراء .. اربعة ايام فقط ، يستأنف بعدها حركته فى
دول اوربوا ..

ولا يدري لماذا اختار باريس .. ان جوها فى هذه الايام ،
حار .. العن من جو القاهرة .. ثم انه يعلم ان الاضطرابات
السياسية تسودها ..

ورغم ذلك اكنار باريس .. ربما لان له فى باريس ذكريات
تدببه .. ولان اسم « باريس » لا يزال يثير فى خياله صورة للحياة
المطلقة .. رهو فى حاجة الى الانطلاق .. فى حاجة الى ان يعوض
هذا الحرس الطويل الذى عاش فيه .. وفى حاجة الى ان يروى
عواطفه التى جمت واصبحت كعود من الخشب تنمز فى صدره ..
يروىها ولو بجراحات من الوهم ..

وذهب الى فندق فى شارع سان جرمان بالحى اللاتينى ..

واختار هذا الفندق بالذات ، ليعتمد عن كل المظاهر الرسمية ؛
ليخفى عن أعين المديرين والسفراء الذين يلتقى بهم فى أحياء
باريس الفضية .. و .. وليستعيد ذكريات الأيام القديمة .. عفا
كان شابا .. وكانت حياته ضحكة عالية ، لا تكلفه شيئا
إلا شبابه ..

ووقف أمام موظف الفندق .. أريد غرفة ..

ونظر اليه موظف الفندق بعينين ضيقتين ، ثم هز رأسه وقال
وبين شففته ابتسامة مكررة : آسف .. ليس عندنا غرف خالية ..
ورد عليه فى توسل : أرجوك .. انى متعب .. ونحن فى آخر
الليل .. ابحت لى عن أى غرفة عندكم .. أربعة أيام فقط ..

وهز الموظف رأسه مرة ثانية : آسف ..

وعاد يقول وهو يضع يده فى جيبه : أرجوك ..

وأخرج مائتى فرنك ودسها فى يد الموظف .. والتفت أصابع
الموظف بسرعة حول الفرنكات ثم تظاهر بأنه يفكر ، وقال :

— عندى غرفة تقيم فيها آنسة ، ولكنها سافرت لقضاء أمورها
فى الريف .. تستطيع أن تقيم فيها .. ولكن أربعة أيام فقط
وتستعد لتركها فى أى لحظة لو عادت الآنسة فجأة ..

ووافق .. رحله الموظف الى الغرفة .. ووقف يدير عنه
حوله ..

على المائدة مجموعة من الكتب والمحلات .. وعلى المشيد
ثوب أحمر معلق فى اهبال .. وأمام المرأة بقايا من انومة معجور
الأسنان .. ومشط .. وبعض عشبائك الشجر .. و .. قيسم
يوم حريزى ملقى على الفراش .. وعطر هادىء نامم بجلا أمه .

وجلس على حافة الفراش وهو يبتسم .. وينظر هوله ..
قام وغير ثيله .. ارتدى البجامة .. وتل أن يرمح لملاء الله

غطت عيناه مرة ثانية فوق قميص النوم .. فابتسم وأحسن له
بعد هذه الابتسامة كأنه يسخر منها مما يراه ، وأزاح القميص ..
بدس داخل الفراش .. وحاول أن ينام .. انه متعب .. وسبب
.. ولكنه لم يذم .. رائحة العطر الهادىء الناعم تسيل من فوق
وسادة وتلأأنفه .. وتدغدغ أعصابه وقام من الفراش ..

خير له أن يبرغ حقيقته ، ويرتب شيا به على الدواليب .. لعله
مد ذلك بنام ..

ومد يده ليفتح الدولاب .. وتردد ..

أحسن أن ليس من حقه أن يفتح الدولاب .. أحسن كأنه يوم بأن
تكتب جريمة .. تجسس أو سرقة .. وقاوم احساسه ، وفتح
الدولاب ..

على الدولاب ثوبان معلقان أحدهما من الصوف الأبيض
الآخر ثوب للنساء من الحرير مخوش بالورد .. وفى قاع
لدولاب خذاء .. كعب عال .. عال جدا .. لابد أن صاحبه
عصيرة .. وغوق الرف العلوى من الدولاب .. قسمة .. قسمة
مصحكة .. دنها خفيف !

وأزاح الثوبين .. وعلق بجسدهما البدلتين اللتين أخرجهما من
حقيقته .. ووقف برهة يتطلع الى منظر البدلتين بجانب الثوبين
وعاد يبتسم .. أن هذه هى المرة الأولى التى تتدلى فيها إحدى
بذلاته بجانب فستان .. أنه يبدو كدولاب رجل متزوج .. لو كان
متزوجا لكان هذا فستان زوجته ..

وسرح بخياله .. وحاول أن يبرغ باقى ما فى خفسه من
نابه .. ولكنه لم يفعل .. عاد وأندس فى فراشه .. وحياه معه
.. وحياه يجره الى بعيد .. ثم رفع رأسه والتقى نظرة أحيرة على
قميص النوم الذى اتاه على حافة السرير .. وأطفا النور ..

ونام نوما هادئا .. نام مع خياله ..

وفتح عينيه فى اليوم التالى .. وما كاد يديرهما حوله ..
حتى تذكر .. انه فى غرفة الأنسة .. ترى ما اسمها ؟ !

وقام بفنسل وهو يحس احساسا جارفا ، بأنه ليس وحده فى
الغرفة .. معه انسان آخر .. صاحبة هذا القميص ، والخص
بالاربناك .. احس كان هذا القميص يراقبه ..

وبدا يتفكر لسنائه .. انه حرك الفرشاة فى رقة ورشاقة ..
وعندما يتدفع الماء من فيه ، يتدفقه بهنوء وبلا صوت .. كلها معه
.. صاحبة القميص ..

وبدا يستعد للاستحمام .. وهم بأن يخلع ثيابه .. ولكنه
شعر بنوع من الجفاء .. ولم يضع ثيابه فى الغرفة .. ليس امام
القميص والثوب الاحمر المعلق .. دخل الحمام أولا ، وأغلق الباب
وراءه ، ثم خلع ثيابه ..

وخرج من الحمام ، ووقف وسط الغرفة لا يدري ماذا يفعل
أولا .. والقميص ملقى على حافة انفراش ، والثوب الاحمر معلق
على المشجب ..

وبعد فترة بدأ بفرغ ما بقى فى حقيبته من ثياب .. وه
يفتح الدولاب .. وتردد .. وتردد كثيرا .. خيل اليه انه لو صاح
منسافحا منظر عيب .. ربما رحد البذلتين .. ثمانتان اللوس ..
وفتح الدولاب .. للبذلتان والثوبان .. فى حالة هدوء !

وفتح الضلعة الأخرى .. ورأى مجموعة من الثياب الدامجة
للنسائية .. واحمر وجهه .. وأغلق الضلعة مسرعة ..

وأخذ يرمى ثيابه الداخلية فى مكان آخر من الدولاب .. (..)
نائه .. يعيش فى خياله .. ترى من هى صاحبة هذه الثياب ..
وتقلب فى مجموعة المجلات المتناثرة على المائدة .. امها ..

جلال أزياء .. طبعا .. فتاة فى باريس لا يهملها أن نقرأ الا
جلات الأزياء .. ولكن .. ما هذا .. نشرة البنك الاهلى الفرنسى
.. وتعجب .. ماذا اتى بهذه النشرة الى هنا .. فى غرفة الأنسة !
رغب فى مجموعة الكتب .. كتب فى الاقتصاد .. وكتاب فى
مال البنوك .. وكتاب لسميون دى بوغوار .. وقصة لفرانسوار
..

ورفع صاحبيه فى دهشة .. ربما كانت موطفة فى احد البنوك
.. وهى مثله تدرس الاقتصاد ، ولكن الاقتصاد لم يشعلها عن
الادب .. والأزياء ، والجمال .. واحس أنه قريب منها .. قريب
حدا ..

والذى بالكسب والمحلات .. وعاد ينظر حوله .. وفى المائدة
درج .. هم أن يفتحه .. هذا نجسس .. أنه ليس فى حاجة الى
هذا الدرج .. فلماذا يفتحه .. انه لا يريد أن يتجسس .. أنه
حس احساسا عميقا بأنه أمين على كل ما حوله .. كان الأنسة
عمره وعهدت اليه بمرقتها ، لثمنها فيه .. ثقتها فى امانته ..

وبدا يرتدى ثيابه .. وهو يفكر فى الدرج المعلق .. ويقاوم
كل اعصابه ورغبته فى أن يفتحه .. واكمل ارتداء ثيابه ..

ولكنه لا يستطيع أن يخرج من الغرفة .. شيء يبقوه ..
احساس اقوى منه .. وقاوم .. شد مساقفه ليخرج .. ومنح الباب
.. ولكنه لم يخرج .. اندفع مرد واحدة ناحية الدرج .. ومنحه ..
.. فى الدرج مجموعة من الخطابات ..

لا .. لن يقرأ الخطابات .. واففل الدرج بسرعة ..

وخرج فى خطى سريعة .. خرج ليجلس على مقهى قريب من
المسقى يتناول فيه افطاره .. ولكنه لا يستطيع أن يستريح على
مقعده .. ولا يستطيع أن يتفوق ما يأكله .. واشترى جريدة ..

عيناه لا تستطيعان أن تتبعنا السطور ، عيناه وراء خياله ..
ومسح الجزمة ، وحاول أن يتشغل بتتبع المارين .. ولكنه
لا يستطيع أن يستقر .. لا يستطيع أن يهدأ .. وقام ..

مسيّذهب إلى اللوفر .. ولكنه لم يذهب إلى اللوفر .. وسار
في خطى سريعة عائداً إلى الفندق .. وصعد الدرجات قفزاً ..
ودخل الغرفة كأنه يقتحمها .. ونجح الدرج في عنقه .. وأدرك
مجموعة الخطابات وفتح الخطاب الأول وهو واقف وبده ترتعش
.. وقراه « جانبيت .. شيرى » .. وابنسم ..

إن اسمها جانبيت .. وجلس في المتعد المريح يقرأ الخطابات
.. وعرف منها كل شيء .. عرف لون شعرها .. أصفر غامق ..
ولو عينيها .. زرقاوان .. وعرف أين كانت الشهر الماضي ..
وأين هي الآن .. و .. و .. كل التفاصيل .. ألقى التفاصيل ..
والخطابات كلها خطابات حب .. حب كبير .. وحبيبها اسمه أرمال
.. ولكن هناك خطابات أخرى من حبيب سبق .. اسمه فيليب ..
لقد كانت في الساعة عشرة عندما أجبت فيليب ، وهي الآن في
الخامسة والعشرين .. ولا تزال تحتفظ بخطاباته .. ترى هل
أجبت فيليب أكثر مما أجبت أرمال ..

وتنبه .. الساعة وصلت الحامسة ، ولم يتناول غداءه بعد ..
ولكنه لا يشعر بجوع .. لا يريد أن يأكل .. وبالم رأسه ..
الوراء ، وأسندها على حامة المتعد .. وأخذ يرسم صورة لأرمال ..
وصورة لفيليب .. وصورة لها .. وأحس أنه مضطرب في
وفيليب .. لا يدرى لماذا .. ولكنه متعاطف منهما ..

وفجأة قام من على مقعده ، وأخذ يفتح كل الأدراج في المبنى ..
.. لأنه إن لها صورة في درج من هذه الأدراج .. ووجد
صورته ..

وشفق .. أنها جميلة .. أجمل من خياله .. ليس هذا الجبال
يربى المائع .. ولكفة جمال هادئ .. ينبض بالحنان ، ويتدفق
شخصية القوية .. الجمال الذي يبحث عنه طول عمره ..
.. أمسك صورتها في يده يطلق فيها .. لا يفعل شيئاً إلا أن يخلق
مها .. وهو هادئ .. والساعة التاسعة ..

لا بد أن يأكل شيئاً .. أنه لم يأكل منذ الصباح .. وأعاد
الصورة داخل الدرج ، ولكنه عاد وأخرجها ، وأسندها على المرأة
موق مائدة الزينة .. ونظر إليها في حنان ، وقال في همس :
سأعود حالا .. وأخرج ليتناول عشاءه ..

وغسل هواء الليل رأسه ورطب خياله .. فأتى .. وأخذ
يضحك من نفسه .. هل جاء إلى باريس ليجلس في غرفة بمفندق
درجة ثانية يجري خياله وراء امرأة لا يعرفها .. ما هذا الجنون
.. لقد جاء إلى باريس ليمرح ويضحك وينطلق .. أذن ، فيليرج ،
ولنطلق .. وتناول عشاءه ، وشرب كأساً ..

ثم ذهب إلى كباريه ، وشرب كأساً ، وكأساً أخرى .. وحاول
أن يركز خياله في الرقصات الثلاثي يرتقص أمامه .. حاول أن
يختار منهن واحدة .. ولكن خياله عاد إلى غرفته .. إلى الصورة
لمسندة إلى المرأة .. والخمر تلهب خياله أكثر ..

وحرق خارجاً من الكباريه .. جرى إلى غرفته ..
وامسك بالصورة .. ونظر إليها كأنه يعتذر لها .. لأنه تأخر
ثم أتته إلى السرير .. فرد عليه تمبص النوم ، ووضع الصورة في
مكان فتحة الرأس .. وابنسم .. ثم ضحك .. ثم ارتفعت
صحاكته .. كأنه جن .. ثم .. أرمى فوق الصورة بقبليها ..
وبسبها أكثر .. والخمر ينقل رأسه .. وبام .. والصورة تحت
شعنيه ..

وقام في الصباح التالي مصدعا .. ينظر الى الصورة الراقدة معه تحت شففة .. ويتعجب من نفسه .. لانه انه حين ..
خير له ان يترك هذه الغرفة .. وهذا الفندق .. انه لا يستطيع فيها ان يحس بحريته .. لا يستطيع ان ينحدر من خياله .. من جانب ..
ولكنه لم يترك الغرفة .. عاد يقرأ الخطابات .. ثم فكر : لا يكتب لها خطبا هو الآخر .. سيكتب .. وأمسك بورقة وقلم .
وكتب : « جانيت .. شيري » .

« هل تتعجبين وأنا أنايك - شيري .. لا تتعجبى .. ابنى أعرفك .. وأحبك كما أحبك قلبك .. وكما أحبك أرماني .. أحبك بقدر حب الاثنين .. اني أعرف كل شيء عنك .. عشت في كل لحظة من حياتك .. عشت معك في عملك وفي فراشك .. وأعرف كم تتكلم عينك .. وأعرف طعم قنلاتك .. منذ بدأت تتعودين للقل أن قبلتك وأنت في الخامسة والعشرين أطمع منها وأنت في السادسة عشرة .. أما أنا فقد ذقت القبلتين .. عشت فيهما .. صدمت لقد أحسست بكل قبلتك فوق شفتي .. وقد كنت بغضبين .. فليس لأنه لا يفكر في مستقبله .. انه يفكر فقط في كتابة الشعر رغم أنك تحبين الشعر .. وكنت بغضبين من أرماني لأنه لا يذوق الجمال انها يعطى كل نفسه لعمله في البنك .. ايا أنا .. تعضى متى .. لأنى مثلك .. أحب البنوك وأحب الشعر في واحد .. هل تعلمين كيف قضيت بلى السابعة .. معك .. و توقفت عن الكتابة .. الذى القلم ..

ماذا يعمل هذا المحنون .. بأى حق يكتب لها .. الهراء الذى يكتبه ؟
ورغم ذلك فهو لا يستطيع ان يصدق جنونه .. ويخرج من الـ ..
.. وأمل من فوق حاجز السلم وصاح فى الموطلة :

— ارسل لى زجاجة سيد .. رجائين !

وشرب .. والجرم تطلق خياله اكثر .. انه يريد لها .. بر ..
جانيت .. هاتوا لى جانبيت ..

وقام يدور فى الغرفة كالمجنون .. ثم هجم على الدولاب وفتح وأخرج منه كل قطع الثياب الداخلية النسائية .. كل القطع الصغيرة الأنيقة .. وأخذ يربصها على السرير .. ثم أخذ يطوحها فى الهواء .. ثم مزق قطعة منها بيديه .. وأفاق .. انه لن يقاوم مرة أخرى .. سينتظر جانبيت الى ان تعود ..

سينتظرها فى هدوء .. انه يحس أنها له .. يحس أن ما يحدث له هو تعب من القدر ليجمعه بالمرأة التى يهبها حياته ..
ورتب قطع الثياب الداخلية فى الدولاب .. ثم نزل واشترى مجموعة أخرى من الثياب الداخلية النسائية .. مقاس جانبيت بدلا من القطعة التى مزقها ..

وانتظر .. وفى اليوم الرابع لم يسافر .. بقى فى الغرفة .. انه لن يسافر الا بعد ان تعود جانبيت .. وهو يخرج فى الصباح ويعود بعد الظهر .. ويخرج فى المساء ويعود هائلا .. لا يشرب .. ولا ينطق .. كأتى زوج بخلص وصورة جانيت مسندة الى المرأة ..

وذهب فى اليوم السادس الى شارع الشانزليزيه ، وجلس فى مقهى الفوكيه .. وقناة .. رآها ثمر أمامه .. جانبيت .. وهب من فوق مقعده بجري وراءها ، وهو يصيح : جانبيت .. جانبيت .. وما كانت تلتفت اليه حتى أخذها بين ذراعيه .. وقبلها .. وقبلها .. وهى تصرخ .. وهو لا يسمع صراخها .. والناس يتجمعون ، وهو لا يرى الناس .. ورفعت كفها وصفعته .. وأنته .. ورفعت حقينة يدها ، وضربه فوق رأسه .. وأنته اكثر ..
بقى .. ! ونظر إليها نظرة سريعة ، وقال بصوت خافت :

— برنون ،

ثم أسرع وركب سيارة أجره ، وعاد الى الفندق .. وجمع ثيابه بسرعة ، ودفع حسابه ، وخرج .. دون أن ينظر الى صورة حبيبته ..

وفي المطار .. أرسل برقية الى مركز المؤسسة في القاهرة ..
« لنى متعب .. منحت نفسي اجازة عشرة ايام .. اجلت كل مواعيد العمل » .

وقضى العشرة الايام في سويسرا على شاطئ بحيرة لوزان ..
ثم عاد يطير من بلد الى بلد ، ويتأهل المديرين ، ويناقش اللجان ، ويتناول الطعام على موائد السفراء ..

بنت تبحث عن زوج

عزيزى احسان :

كنت دائما اعرضا ما أريد .. وكنت لى الارادة لاحقق ما أريد .
وقد أردت ان احصل على شهادة جامعية .. وحصلت عليها
وأردت ان اعمل .. وعملت .. التقت بوظيفة فى احدى الشركات
.. ثم أردت ان اكبر وظيفتى .. وكبرت .. أصبح مرتبى اكثر من
خمسين جنيها .. واصبح عمرى ثلاثين عاما .. وقد فعلت كل
ذلك دون أن يعاوننى احد .. أبى مات وأنا فى السادسة عشرة ..
وامى لم تكن تريد لى ان اتعلم أو اشغل .. كانت تريد ان تزوجنى
كما زوجت أختى الأصغر منى .. ولكنى لم اكن كالأختى .. أختى
انسانة ضعيفة تتشعث بذيول أمها .. وتحناج دائما الى من يدلها ،
ومن يرعاها ، ومن يفكر لها ويحدد لها طريق حياتها .. أما أنا ..
فلست من هذا الصنف الضعيف ، ولست فى حاجة الى من يدلنى
أو يرعائى .. أنا انسانة قوية .. لا أؤمن بانى لكى اكون امرأة
حسب ان اكون ضعيفة ..

ولم تكف أمى عن اللاحاح على بان اتزوج .. وكنت أعلم انى
فى حاجة الى الزواج .. على الأقل من الناحية الصحية ..
ولكنى لم اكن أريد ان أتزوج اى رجل .. كانت هناك صورة
معمية فى رأسى للرجل الذى أريده .. وكان على ان انتظر الى ان
أجده .. كما وجدت الشهادة الجامعية .. وكما وجدت الوظيفة

.. وليس معنى هذا انى لست عاطفية .. بالعكس .. انا عاطفية جدا .. ولكنى لا اسمح ابدا لعاطفتى ان تغلب على .. وعقلى يحدد لى ما اريده وعلى عاطفتى ان تنظر .. وقد تعذبت كثيرا حتى اتيح عاطفتى بالانتظار .. ومرت على لىالى كثيرة كنت اشعر فيها بوحدة قاتلة .. وحدة تكاد تدفعنى الى احضان أى شاب يصادفنى .. ليبدد وحدتى ولو لمدة ساعة .. ليهدىء من مواطنى المشتعلة ، وجسدى المحوم .. ولكن .. لا .. عطفى دائما اقوى من عاطفتى .. مهما تعذبت ومهما تاسيت عطفى دائما .. معى .

وعطفى يدير لى حياتى .. غل تفاصيل حياتى .. حتى الميزانية التى اصرف على اساسها مرتبى ، احسبها بالليم ، وافكر فى كل ليم كانى افكر فى عشرة جنيهات - وليس معنى هذا انى بخيلة .. انا انى احب الثياب الانيقة ، واحب الذهاب الى السينما ، واحب ان ارقص .. احب ان اتمتع بالحياة .. وادفع ثمن متعتى .. ولكنى لست عبيطة .. لا ادفع فى شىء اكثر مما يستحقه .. ثم انى مقتنعة تهايا بالتحويش منذ ان كان مرتبى خمسة عشر جنيها وانا احوش .. وارفع رصيدى فى البنك - وكنت مقتنعة بان هذا الرصيد هو ضمان حريتى .. من الفقر يسلب الحرية .. اعدى اعدام الحرية هو الفقر .. فاذا اردت ان اعيش حرة - كما انا الان فيجب ان يكون لى رصيد فى البنك .. ومن رصيدى اشتريت سيارة صغيرة .. ومن رصيدى استطعت ان اؤثث شقة صغيره اسكن فيها .. وحدى ..

وكان لهذه الشقة قصة ..

فقد توفيت امى بعد ان تخرجت فى الجامعة بسنتين .. وانتقلت انا واخى الصغير لنعيش فى بيت خالتى .. وبدأت خالتى تتدخل فى حياتى .. تسألنى عن كل كبيرة وصغيرة .. ثم بدأت تلتنى

الى اوامرها .. لا تتأخرى من الساعة الثامنة مساء .. لا تتحدثى كثيرا فى التليفون .. و .. وتحتلها سنتين ، لم يتسع عطفى خلالهما لاتصور انى استطع ان اعيش وحيدة .. ولم استطع ان اتنع خالتى خلالهما بان تعبرنى كانى اعيش معها فى بنسيون .. ما دمت اشاركها فى فتح الابجار وفى مصاريف البيت والطعام .. ثم بدأت اتساءل : لماذا لا اقيم وحدى .. انا واخى الصغير .. انا حرة .. انا قوية .. انا اكسب عيشى .. انا لا اعتمد على احد .. واقتنع عطفى اخيرا .. اقتنع بسخالة التقاليد التى تحرم متاة قادرة من ان تسكن فى شقة وحدها .. واقتنع بان من حتى ان اسكن وحدى .. وسكنت وحدى .. انا واخى الصغير .. وفى بيتى رايدو ، وبك آب ، وتليفون .. بيتى مريح ، انيق ، دمه حفيف ..

ولم يؤثر سكتاى وحدى فى حياتى .. انا كما انا .. وعطفى دائما معى ..

ولكنى لم ابدا قصتى بعد .. ان قصتى تبدأ عندها سافرت منذ عابهن الى الاسكندرية لافضى خمسة عشر يوما من اجازتى .. وازدادت فى الاسكندرية احساسا بوحدى .. هذا الاحساس الذى يعذنى ، ويكوى عاطفتى المحرومة ..

وفى يوم لم اطلق المكث فى البنسيون الذى اقيم فيه ، وخرجت فى الساعة الرابعة بعد الظهر الى الشاطئ وانا ازرر انفاى .. والناس على الشاطئ يلعبون ، ويضحكون ، ويتبادلون الغزل .. وزمرات انفاى تشتد .. ثم تذكرت ان لى صديقة احتفظ برتم تليفونها .. لعلها تستطيع ان تدد وحدتى .. وسرت على الشاطئ .. ابحت عن تليفون .. ورفعت رأسى الى أول شاب صادفتنى أسأله :
— من مضك .. ما نمش تليفون هنا !

ورد في هدوء :

— تعالى .

وسار بجانبى .. ونظرت اليه مرة أخرى .. ان وجهه نحيل
وشفتاه وثيقتان .. وعيناه تملآن وجهه .. وشعره اسود يطير
مع الهواء .. أنه جميل .. وقد كنت في حالة تجعلنى اتعمد البحث
عن الجمال في وجوه الرجال ..
وقال لي وهو يسير بجانبى :
— دلوقت حلتاقي طابور ، واقف قدام التليفون .. انها
ولا يهيك ..

وسار بي الى كشك الاسعاف .. ووجدت الطابور الموليل
فعلا .. ولكنه اخذ مني ثمرة التليفون .. ثم وجده يدخل الى
الكشك ويحدث رجل الاسعاف وأخذ رجل الاسعاف الساعة من
يد آخر المتحدثين ، وطلب لي ثمرة ..
الثمرة لا ترد ..

وعاد الى محمود .. عاد يسير بجانبى .. ولم اعترض ..
سرت معه على الشاطئ وحدثنا نحدث .. وأنا اسأل عتلى الى اى
حد استطيع ان استمر في الحديث .. وعتلى لا يحيب .. عتلى
مجهد ، تعب .. عتلى في اجازة ..
ودعاني محمود لتناول الشاي ..
صرخ كالطفل :

— نروح ناخذ الشاي في المنتزه ..

ووافقت .. وتركنا الشاطئ الى حيث تقف سيارتى .. ورايت
عيني محمود تردان ان اتساعا وهو ينظر الى السيارة وقال كانه
يشفق :

— انتى عندك مريبه ؟

وجلس بجانبى وهو يتحسس اجزاء السيارة ، ويعت

امماتيجها ، ويسألني عنها .. يكلم ؟ ومنين ؟ ويتاخذ كام جالون ؟
و .. و .. وأنا سعيدة بفرحته بسيارتى .. خيل لي اني لم افرح
به السيارة الا عندما فرح بها محمود ..

وتركني محمود بعد ان تناولنا الشاي .. وبعد ان تواعدنا على
البقاء في اليوم التالي .. تركني وأنا نادبة ..

لماذا لم ادعه ياخذني لتناول العشاء سويا ..

لماذا لم ادعه يقبلني .. لماذا افرض على نفسي هذه الوحدة ..
هذا العذاب .. هذا الحرمان .. على الاقل يجب ان اراعى
صحتي ..

وقد عرفت غيبا بعد ان محمود لم يدعني يوتها الى العشاء لانه
لم يكن يهلك ثمن العشاء .. انه فقير .. موظف في بنك ..

ومقره لم يمنعي من ان اسير معه .. وان اتمادي .. ولم
يس محمود أول شاب يقبلني .. لقد حربت شفتاي القللات من
.. .. في حدود مقبولة .. فقط لاحافظ على حالتي الصحية
ولكني لم اكن اسمح بأن تنتهي من هذه القللات الى الارتباط بعلاقة
- ستديبة منظمة .. لم اكن اسمح لنفسى ابدا بالارتباط الا بالرجل
.. دى اريد ان اتزوجه .. والذين مروا في حياتي لم يكن بينهم رجل
.. به زوجا .. ما عدا محمود ..

لقد ارتبطت به .. تطورت ملاقنا بسرمة عجيبة .. ورايت في
بي فناء لم اكن اعرها .. واذكر في هذه الفترة حادثة صغيرة
.. على مدى التغيير الذي اصابني ..

كما ما زلنا في الاسكندرية .. في الاسابيع الاولى من علقنا
.. ووقفنا بسيارتى ذات مساء في شارع قريب من حديقة النزهة
.. ادلنا القللات .. ثم اتفقتا ان نذهب لتناول العشاء في مطعم
.. باستروودس .. وكل منا يدفع حسابه ..

وعندما خرجنا الى الشوارع المضيئة .. رابت وجه محبة
 « ملهبط » باحمر شفتي .. ولم اتكلم .. لم ائت نظره .. احسست
 بزهو عجيب وانا ارى بصمات شفتي فوق هذا الوجه الجميل ..
 ودخلنا المطعم .. واحسست بزهو اكبر وانا ارى الناس كلهم
 ينطلق في وجه محمود .. ثم تتطلع الى .. وبتنسم .. كنت كائى
 اصرخ في الناس فخورة .. هذه بصمات شفتي .. وهذا الوجه
 كنت اقله ، وكان يقبلنى .. !

وهمس محمود :

— الناس ينتمى كده ليه ؟

واجبته وانا اخفى ضحكى :

— وشك كله روج !

واخرج منديله ومسح آثار شفتي بسرعة وارضاك ..

الى هذا الحد فقدت عقلى .. ولكن .. هل اتزوجه .. هل
 اتزوج محمود ؟ لا ..

عقلى يقول لى : لا ، ويمصر .. لا .. انه ليس الرجل الذى
 اريده .. ليس الرجل الذى وضعت فى ميزانية حياتى التى حددتها
 من صفرى .. انه فقير .. ولا يحمل الا شهادة متوسطة .. وهى
 اصغر منى بسنه .. ولا يطبق حمل المسؤولية .. انه حتى لا يحمل
 مسئولية نفسه .. لا يفكر فى مستقبله ، ولا يريد أن يكبر .. انه
 فقط شاب جميل .. مسبل .. محبوب !

ومضى عابان وملاقتنا مستمرة .. ولم اعترف بينى وبين نفسى
 خلال هذين العامين أن ما بينى وبين محمود هو حب .. ابدا ..
 انها مجرد ملاقة مريحة .. صحية !

اشنان .. يرتاح أحدهما الى الآخر .. ويحتاج كل منهما الى
 الآخر ..

وقد تحدثنا فى الزواج عدة مرات خلال هذين العامين .

وخت احس أن محمود يريد أن يصل بالحديث الى ان يعرض على
 الزواج .. ولكنى كنت انوت فيه هدنة .. وكنت استطيع دائبا
 ان اتحمه بان طريقنا هو أن يكبر كل منا فى عمله .. وان نحفظ
 مملقتنا كما هى .. مريحة ، وصحية ! .. وكنت اشعر بنوع من
 انفسوة وانا اصد امله .. ولكن ماذا افعل ؟ انه ليس الرجل الذى
 اريده زوحا .

ثم .. مسافرت مع بعض موظفى الشركة الى بعثة تدريبية الى
 ألمانيا ، مدتها ثلاثة شهور .. كنت فرحة .. فرحة لائى مسافرة
 .. وفرحة لأن هذا السفر سيعطينى فرصة لاجدد علاقتى بمحمود
 .. اعود اليه بتفكير جديد ، واحساس جديد .

وعندت .. عدت وشوقى الى محمود يكاد يقذفنى من
 الطفرة ..

ولكن محمود تغير .. وقال لى ان امه ماتت ..

ولكن .. كان فيه شيء آخر أكثر من حزنه على امه .. انه
 امسح فانرا .. واصبحت مواعيد لقائه متباعدة .. بل اصبح
 ساعرا فى مواعده .. ثم .. لم يعد فرحا بسيارتى .. حرت فيه ..

وفات يوم حدثنى عن ابنة خالته .. حديثا عابرا مبتورا ..
 لم يكن قد حدثنى عنها من قبل .. ثم تكرر حديثه عن ابنة
 خاله ، دون أن التى بالا الى حديثه عنها .. وجيرتى فيه تشدد ..
 حاجتى اليه تزداد ..

انه لم يعد مريحا .. ولا صحيا .. انه يتركى اتعذب .. انى
 انام يوما قلعا .. واذهب الى مبنى شاردة .. هل احبه ؟ .. انى
 ارمض ان اعترف بهذا الحب .. انه ليس الرجل الذى يجب ان احبه
 ان الرجل الذى يجب ان احبه ، هو الرجل الذى يجب أن اتزوجه
 وانا لا اريد أن اتزوج محمود .. عقلى لا يرضى أن اتزوجه ..

ولكنى تفقدت عقلى .. وقلت ، وإذا أحس لأول مرة بضملى ..
صعدت ارادتى :

— محمود .. تعال نتجوز !

.. وكنت أعتقد أن هذا هو آخر المطاف .. انى سلمت بكل شئ ..
وستعود حياتى بعد ذلك بريحة .. وصحية ! ..

ولكن محبوبى تكس راسه ، وقال فى صوت خافت :

— أنا خطبت يا منى ! !

وشهقت .. وشهقتى تخرج من عبنى :

— خطبت مين ؟

وقال فى همس :

— بنت خالتي ! !

— مش ممكن .. مستحيل .. ما تقدرش .. انت خاين ..

لازم تتجوزنى أنا .. أنا ..

وبترت صرختى .. ولم انتظر جوابه .. جريت من امامه ..

وركبت سيارتى التى اشتريتها من رصيدي .. وذهبت الى بيتى

الابيق الذى اثنته من رصيدي ..

وجلست ابنى ! .. هل تدري كيف اصبحت ؟ ! كما كنت ..

امكر بعقلى .. وأرسم حياتى بارادتى .. ورصيدي يرتفع فى

البنك .. وبحث من الزوج الذى اريده .. وسأجده .. لقد حققت

كل ما اردته .. فلماذا لا أحقق هذا الزواج الذى اريده .. كل ما

هنالك انى اصبحت فى الثلاثين من عمري .. وشئ جاف كمود

الخشب ينقر فى صدرى .. ولا ابتمس كثيرا ..

لا ادري لماذا لا ابتمس كثيرا .. لا يهم .. عقلى لا يزال معى ! !

زوجة تبحث عن عمل

لم يكن صديقى راسماليا ، ولا اشتراكيا ..

انه لم يشغل نفسه ابدا بتفسير المجتمع الذى يعيش فيه ..

ولا بتفسير نوع العمل الذى يقوم به .. بل انه لم يكن يقرأ المقالات

والبحوث السياسية والاجتماعية التى تنشرها الصحف .. كان

لا يطبق المقالات الطويلة الجادة .. ويكتفى عندما يقرأ بالموضوعات

الخفيفة .. انه يقرأ ليستريح .. لينسى .. لا ليدرس ..

وكان الشئ الوحيد الذى يؤمن به ، هو .. العمل .. العمل ..

.. الشريف ..

وكان مطمئنا دائما الى المستقبل ، لأنه يستطيع دائما ان يعمل

.. ولأنه يؤمن بكفاءته فى عمله .. والرجل الكفاء لا يعجز عن

لعمل مهم تغيرت صورة المجتمع من حوله .. وقد بدأ صغيرا ..

دخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيها .. ثم بدأ يكبر .. بعمله

.. ارتفع دخله الى خمسين جنيها .. الى مائة .. الى مائتين ..

الى ثلاثمائة ..

ولم يتوقف لحظة ليتساءل : لماذا ارتفع دخله ؟ هل ارتفع لانه

عمل فى مجتمع راسمالي ؟ .. وهل لو تغيرت صورة المجتمع

ستمر زيادة دخله ؟

لم تكن هذه الاسئلة تخطر على باله ..

لقد ارتفع دخله لانه يعمل .. هذا هو كل شئ ..

و .. وموجيء بالفوانين الاشتراكية الجديدة ..

واكتشف أن دخله قد نقص .. وصل الى مائة وعشرين جنيهًا ..
خالص الضريبة .

وتنبه .. تنبه الى أن صورة المجتمع قد تغيرت .. وتنبه الى أن دخله كان يرتفع لا لجرد أنه يعمل ، بل لأنه كان يعمل في مجتمع له صورة معينة .. مجتمع راسمالي .. وبما أن الصورة قد تغيرت ، فإن عمله لن يؤدي الى نفس الزيادة في الدخل ..

★★★

ورغم هذا فإن هناك شيئًا لم يغير في الصورتين ، وهو العمل ..

بمبدأ العمل .. العمل الشريف .. ولم يخف ..

ظل مطمئنًا كما كان ، يستمد اطمئنانه من ثقة في كفاءته ، ومن قدرته على العمل .. ولكنه كان يعلم أن شيئًا يجب أن يتغير في حياته .. يجب أن ينظم حياته في حدود دخله الجديد ..

وابتسم عندما تذكر أنه بدأ حياته ودخله لا يزيد عن خمسة عشر جنيهًا .. لقد كان أيامها متزوجًا ، وأنجب ابنته الكبيرة ، ثم أنجب ابنته الثانية بعد أن ارتفع دخله الى ثلاثين جنيهًا ، وأنجب ولده ودخله خمسون جنيهًا .. وكان أيامها سعيدًا .. لم يكن ينقصه أو ينقص زوجته وأولاده شيء ..

ولم تزد مسؤولياته الخاصة أو العائلية بعد ذلك شيئًا ..

إنه الى الآن زوج وأب لثلاثة أولاد .. ولكنه أصبح ينفق أكثر من ثلاثمائة جنيه في الشهر .. على بيته وعائلته ..

أين تذهب هذه الزيادة الكبيرة في النفقات ؟

لقد انتقل الى شقة كبيرة .. إيجارها مرتفع .. كان يسكن في شقة بسبعة جنيهات ، والآن يسكن في شقة إيجارها خمسة وثلاثون جنيهًا !

ولكن الزيادة في إيجار الشقة لا تستغرق هذه الزيادة الكبيرة في مصرومه الشهري .. ربما كان الغلاء .. أن مستوى الأسعار ارتفع عما كان عليه منذ خمسة عشر عامًا .. ولكن .. لا يمكن أن تصل نسبة زيادة الأسعار ، الى نسبة الزيادة في مصروفه !

★★★

وبدا تراجع كل قرش يصرفه .. واكتشف شيئًا هامًا ..

اكتشف أن معظم مصروفه يصيب في أشياء صغيرة .. أن هذه الأشياء الصغيرة هي سر الزيادة الكبيرة من نفقاته الخاصة .. سيارة الأولاد مثلاً ..

ما حاجته الى سيارتين .. سيارة له .. وسيارة لزوجته الأولاد .. أن هذه السيارة الثانية تكلفه حوالي أربعين جنيهًا في الشهر .. مرتب السائق وإيجار الجارح ، وثمن البنزين .. أنه يستطيع أن يوفر هذا المبلغ .. ومن صالح الأولاد أن يتعودوا على سوب الألبسة والتبولي باص .. أن المجتمع الجديد لا يحتفل بالأولاد المدللين .. ثم هو نفسه شاب وكبير ونجح ، دون أن يكون له سيارة تنقله من البيت الى المدرسة ، وتذهب به الى السينما .. ربما كان هذا هو أحد دوافع نجاحه .. ولكن زوجته تخاف على الأولاد من الطريق ، رغم أنهم كبروا .. أكبرهم في الثانية عشرة من عمره .. لماذا الخوف .. هي نفسها لم يكن أبوها يخاف عليها من الدرب .. وهو نفسه كان يجري في الشوارع منذ أن كان في السادسة من عمره .. فلماذا الخوف ؟ !

ونادى زوجته وأولاده ، وأعلنهم أنه قرر الاستغناء عن السيارة الثانية .. السيارة الكبيرة .. وسيكتفى بالسيارة الصغيرة .. بسوقها بنفسه ..

ومرح الأولاد .. أنهم سيتحررون .. وابتسمت الزوجة ..

ثم اخذ براجع بقية المصروف .. عدد القمصان التي يشتريها
 .. وحساب الملابس التي تشتريها زوجته .. وقسط التأمين ..
 لقد امن على حياته لصالح اولاده بمبلغ كبير .. انه يستطيع ان
 يخفى نصف هذا المبلغ ، دون ان يحدث شيء .. و .. و ..
 واعجب شيء اكتشفه انه يدفع في الشهر ثلاثة جنيهات ونصف لها
 للكلونيا التي يستعملها بعد حلالة ذننه .. انه يستعمل كولونيا
 فرنسية ، من الزجاجة منها سبعة جنيهات ، والزجاجة تكفيه
 شهرين .. وابنسم .. ضحك من نفسه ، وقرر ان يستعمل كولونيا
 محلية ..

★★★

وتعجب وهو يكتشف كل هذه النفقات التي تضيق على ائتميه
 صغيرة ..

سائل : كيف انتقاد الى هذا التذير .. انها المظاهر ..

والجيب الذي كان يعيش فيه ، كان يؤمن بالمظاهر .. كان
 الرجل الذي يضع فوق صدره كرافته « سولكا » له قبعة غير قيمة
 الرجل الذي يضع على صدره كرافته « ماركه الشماعة » .. لا شيء
 الا لان الاول يضع كرافته « سولكا » .. والرجل الذي يسهر في
 سميراميس له ثمة غير قيمة الرجل الذي يسهر في بيته ..
 والرجل الذي يركب سيارة كاديلاك قيمته أعلى من الرجل الذي
 يركب سيارة فيات .. وكانت هذه المظاهر هي مطات الوصول ..
 هي الطريق الى الجاه والنصب والسلطان ..

وقد انتقاد لها دون ان يدري .. انتقاد لها تحت تأثير المجتمع
 الذي يحيط به ..

ولكن .. لا شك ان المجتمع الجديد لن يتأثر بهذه المظاهر ..
 انه مجتمع يؤمن بالعمل .. ويقبض الرجل بعمله .. لا بنوع رباط

عنته ، ولا عدد الولائم التي يقيمها .. لن يكون الرجل الذي يركب
 سيارة « كاديلاك » أكثر نجاحا .. في نظر المجتمع الجديد — من
 الرجل الذي يركب سيارة « فيات » ..

وازداد اطمئنانا ، وثقة بنفسه ، ومستقبله ..

واستطاع في الشهر الاول ان يوفر نصف نفقاته ، دون ان
 يستغنى عن شيء أساسي في حياته .. ودون ان يحرم الأولاد من
 الذهاب الى السينما كل اسبوع ..

ثم .. حدث شيء آخر .. كانت له زوجته وهي سنسم

— قررت ان اشغل ..

ودهش ..

★★★

— لقد مضى على زواجهما ثلاثة عشر عاما ، لم تحاول زوجته
 خلالها ان تمتد لنفسها عن عمل .. لم تنكر في العمل ..
 سأتشا ابدا هذا الموضوع ..

والآن .. يريد ان يعمل ! و سطر ان يحسن الثور على اقتراح
 زوجته ..

ولكنه لم يحس بهانة ، ولا بذل .. اكشف ان اقتراح زوجته
 ليس له علاقة بكرامته ، ولا بشرفه ، ولا بمكانته .. واستقبله
 بهدوء ..

ونلقى نفسه .. واكتشف حقيقة كانت قائمة عنه ..

اكتشف ان زوجته كانت دائما تعمل ..

عند بدء زواجهما كانت تتولى بنفسها اعمال البيت .. كانت
 هي التي تطبخ .. وهي التي تكتس .. وهي التي تربي الأولاد ..
 وبعد ان نجح .. واغتنى .. واستطاع ان يستخدم طباطبا
 و « سفرحى » ومربية أطفال .. أصبح لزوجه عمل آخر ..

وأصبحت جزءاً من المظهر الذى يتطلبه المجتمع الذى كان يعيش فيه .. كانت تصحبه الى المآذب التى يقيمها .. و .. و ..
والآن .. البيت ليس فى حاجة الى كل وقتها .. كبر الأولاد :
ولا يزال يستطيع أن يدفع مرتب الطباخ والسفرجى .. كما أن المجتمع لم يعد فى حاجة الى هذه المظاهر التى تشترك فيها الزوجات .. انه يستطيع أن يعمل دون حاجة الى أن يصحب زوجته الى المآذب ، ودون حاجة الى أن تقيم له المآذب ..
إن من حقها أن تبحث عن عمر آخر .. ولكن .. هل كان يسمح لها بالعمل لو لم تتغير صورة المجتمع ؟
بل .. هل كانت زوجته تفكر فى أن تعمل ؟ .. لا بدرى ..

ولكنه يحس أن شيئاً تغير فى منطقته .. وفى أحاسيسه .. ربما لو ظل المجتمع كما كان لاعتبر خروج زوجته الى العمل اهانه بمس كرامته .. فضيحة .. جريمة خلقية .. ولكنه الآن لا يحس بشئ من هذا .. تغيرت تقاليده .. تغير منطقته .. اتخذت الكرامة والعزة والشرف معانى جديدة .. ربما كان السبب اقتصادياً .. فقد كان من قبل يكسب ما يكفى لكل ما تريده زوجته ، أما الآن فليس كل ما تريده زوجته يستطيع أن يشفريه لها .. لقد انفق معها على أن تشتري ثوبين فقط فى الصيف .. لو أرادت ثوباً ثالثاً لما استطاع أن يشفريه لها ..
— لا ، ليس السبب الاقتصادى هو كل شئ .. انه ناشئ المجتمع البديد ..

انها التقاليد الجديدة ، تنطلق مع القوانين الجديدة ..
انه يحس من حديث زوجته أنها تريد أن تنباهى بأنها امرأة عابثة .. تنابها كما كانت تنباهى من قبل بأنها بنت ذوات ..

وانقسم راضياً .. وسألتها فى خزان :
— ها تشتعلنى ايه ؟

تأملت فى مرج :

— أى حاجة .. سكرتيره .. بياعه .. فى مصفح .. فى تركه .. أى حاجة .. ما تنساش أنى واخذه التوجيهيه ..

قال وانتسامته تنسح :

— مش حانخذى أكثر من خمسمائشر جنيه ..

تأملت كأنها عادت طفلة ، كأنها تبدأ الحياة من جديد :

— وباله .. ينعموا ..

قال :

— ينعموا فى ايه ؟

قالت :

— أشتري بيهم ثوية حاجت صغيره ..

وضحك ..

ان المرأة لا تستطيع أبدا أن تستغنى عن الأشياء الصغيرة ..

وجاءت الزوجة فى الأسبوع الماضى ..
لأساعدها فى البحث عن عمل ..

روا حبر التأميم — في طريقهم الى بيته ليضربوه بالطوب ..
.. وانحده .. ليقنطروه ..

وحري كالمجنون في اتجاه انبيس ، يفلق النوافذ والأبواب ..
ينسى على مقعد كبير يلهث .. ورأسه الضخم الأشيب بين
.. وكرشه المريض يلقى فوق مساقية .. ووردة الخوف
ي في مروه وتشل تفكيره ..

ومضى اليوم ..

وبوم آخر ..

العمال لم يأتوا .. لم يصيروا البيت بالطوب .. حتى هتافاتهم
الى بسمعها في الراديو لا تطالب برأسه ، ولا تنادى بالانتقام منه
.. وهذا قليلا ..

طبعاً .. ماذا يهم العمال منه اليوم .. ماذا يصنعون برأسه
.. انوا بها .. لقد أخذوا ما هو أهم من رأسه .. أخذوا كل شيء !
.. به ..

انه لا يملك شيئاً .. كل منهم وضعه في المصنع استولت عليه
دولة .. أخذوا كل شيء .. ولم يفكر لأول وهلة في طريقه
استعادة ملاليهه .. ملاليهه .. ولكنه فكر في كيف يعيش .. من
.. صرف .. من أين يدفع اجر الطباخ والسفرجي ، ومربية
.. نساء السويسرية .. ان الحكومة أعلنت انها سترد امواله في
بذات لها ارباح .. ولكن هناك اجراءات معقدة ووقت طويل قبل
.. بقدر ممتلكات الشركة ، ويؤسلم للسندات ويقض الارباح ..
.. أين يعيش الى أن يقضى ..

وايتسم ابتسامة منسكينة .. الحمد لله ..

ان لزوجه رسدا خاصا في البنك ..

رجل يبحث عن سيارة

كان مصنع كل قرش في الشركة الصناعية الكبرى التي يملكها
في الاسكندرية حتى سياراته .. المخصصة له .. والسيارة
المخصصة لأولاده .. والسيارة المخصصة لزوجته .. والسيارة
المخصصة لاه .. كل هذه السيارات كانت مسجلة باسم الشركة ..

وصدر قانون التأميم .. أميت الشركة .. وأمم المصنع ..

وعندما بلغه الخبر ، شعر بحوف مفاجيء .. خوف كبير ..
لم يفكر في امواله .. ولم يفكر في مستقبله .. لم يفكر أبداً ..
الخوف اشعل تفكيره .. ووردة خفيفة تسرى في أعصابه ، وتهز
قلبه ..

بم يخاف .. انه لا يدري .. لعله يخاف من العمال .. عمال
مصنعه .. لقد كان دائماً عنيباً مع عماله .. كان يأخذ منهم
ما يريد .. ويمطيم ما يريد .. كان هو الارادة المسيطرة على
حياتهم .. ولم يستطع واحد منهم أن يفلت من ارادته .. لم يستطع
واحد منهم أن يأخذ حقاً يطالب به ، أو حقاً يكفله له القانون ..
لقد كان هو الحق الوحيد داخل المصنع .. وكان دائماً أقوى من
القانون .. وفي خلال السنوات الطويلة ثار العمال ضده عدة
مرات ، ولكنه كان دائماً يستطيع أن يخضع ثورتهم ويشرذم
زعماهم ، ويعيدهم كالنعا ليعطفوا امام الآلة ..

لعل عمال المصنع ينتقمون منه اليوم .. لعلمهم الآن — بعد ان

ولوت الزوجة شفتيها في سخط .. نعم منصرف من رصدي الخاص !!

وانسعت عيناه فجأة .. لقد تذكر شيئاً آخر .. السيارة .. السيارات ..

انها كلها مسجلة باسم المصنع .. كلها شملها التأمين واستولت عليها الدولة .. وهو لا يستطيع ان يعيش بلا سيارة .. لا يستطيع ان يسير في الشارع على قدميه ، ويتشعلق في الانوبيسات وعربات الترام .. ان السيارة هي قدامه !

واغرورقت عيناه بالدموع .

واخس بشيء يتلوى في صدره .. لقد سجل كل السيارات باسم المصنع ، لا حاشي المصنع ، ولكن تهرباً من الضرائب .. غنفقات السيارة واستهلاكها كانت تقيد ضمن ميزانية المصنع . فتزيد النفقات ، وتقل الضرائب .. ولو كان يعلم .. لو كان يعلم ان هذا اليوم سيأتي .. لما حاول ان يهرب من الضرائب .. واحتبط بالسيارة .. وهو يريد سيارة .. الآن ..

★★★

وتذكر انه منذ شهور قليلة اشترى سيارة واحداها لمدير مصنعه .. لقد هاشى هذا المدير معه سنوات طويلة .. التقطه من بين صفار الموظفين ونفخ فيه .. ثقل ينفخ فيه حتى جعل منه جديراً للمصنع .. وقد كان دائماً ساعده الأيمن .. لا .. كان لدولاه .. وكان الاداة التي ينفذ بها أوامره .. الاداة التي يتحايل بها على قوانين الضرائب ، وقوانين العمال ، وقوانين الاستيراد والمصدر .

ورفع سماعة التليفون ليتحدث مع المدير .. ووضع بين شفتيه ضحكة كبيرة كان شيئاً لا يبهه .. وضغط على نبرات صوته حتى

لا يبدو مرعشاً .. وتكلم بلهجه القديسة ، كانه لا يزال صاحب المصنع :

— وحانك انتعت لى العربيه بتاعتك يومين ، لغاية ما نشوف حبايعه ناومين يهملوا ابيه ..

ورد المدير في صوت جامد .. صوت جديد لم يعود سماعه :
— حاضر ..

والهى المدير الحادثة بسرعة .. كانه يهرب .. وانتظر الرخص ان تبنى له سيارة المدير .. مضى اليوم ولم تات .. وحاول ان يتصل به مرة اخرى .. مش موجود ..

ومره ثانية .. وثالثة .. مش موجود .. واقنع الرجل نفسه -
لـ المدير لاند ان يكون مشغولاً .. هذه القوايس الحديدية تشغل
بـ مدير ..

سبح .. عثر عليه أخيراً .. وحادثه بصوت اكثر رقة ..
— يعنى ما معننى العربيه يا محمد بيه !

ورد المدير في صوت خشن :

— والله انا ما اقدرش استغنى عن العربيه ..
والقى سماعة التليفون بعنف ..

★★★

وذهل الرجل .. وارتمى في صدره صراح حاد .. هذا السافل هذا المنحط .. كيف ينسى نعمتى عليه .. كيف ينسى انى انا ، ادى اشتريت له السيارة .. من مالى .. انا الذى علمته كيف
كب مسارة .. علمته كيف يكون نفي آدم .. انا الذى خلقته ..

ولكنه سافل .. منحط .. نمرود .. وقح ..

وكاد ان يحشى بالكاء ولكنه تمالك نفسه ..

هذا هو حال مثل هؤلاء الرجال .. المنافقين .. لقد كان

بنافته • وكان ينحني أمامه • • ولابد أنه يناقش الآن السيد
الجديد • وينحني أمامه • • ولقد كان دائماً يعلم أنه مثاقف • فلماذا
يسطر منه أن يكون شهما • • وأن يكون رجلاً • • مثل هؤلاء
الماثقين • لا يمكن أبداً أن يكونوا رجالاً • •

• واسودت الدنيا في عينيه • • خيل إليه أن كل الناس
مانقون • •

خيل إليه أنه أصبح وحده • • لا صديق • • ولا معين • •
لا شيء • • لقد كان يساوي بقدر ما يملكه من مال • • وعندما فقد
ماله لم يعد يساوي شيئاً • •

وتهدلت وجنتاه • • وتهدلت جفونه • • ونقص وزنه بسرعة
مخيفة • • ورقبته أصبحت رفيعة • • وترنح وسط ياقة قميصه • • ولم
يخرج من بيته • • إلا عند الغروب • • يخرج ليمسح في شارع
الكورنيش ساعة • • يسير منزوياً • • محطماً • • لا يريد أن يراه
أحد • • ولا أن يرى أحداً • •

★★★

وكان يسير يوماً • • ومفاجأة وقفت سيارة صغيرة قديمة • • نزل
منها صاحبها وأقبل عليه • • ورفع عينيه المكدوتين يتطلع بها إلى
القدام • • ثم انطلقت منهما نظرة خوف • • هلع • • أنه الأسطى
محمود • • لقد كان يعمل عنده في المصنع • • وكان يتزعم العمال • •
وحاول كثيراً أن يأخذه إلى جانبته • • رفع يومئذ • • ثم خصص له
راتباً يصل إلى سبعم جنيهاً في الشهر • • ولكن محمود زعم هذا
ظل دائماً مع العمال • • يطالب بحقوقهم • • فاضطر أن يحاربه
وأن يضطهده • • واستطاع بمعاونة مدير المصنع أن يطرده • •
ويشرده • •

لا بد أن محمود مقتل عليه الآن نستقم منه • • ليضربه • • ليقتله • •
وتراجع • • والهلع يعصر قلبه • • تراجع حتى أسند ظهره إلى
الحائط • • ومحمود مقبل عليه • • أنه يبتسم • • ابتسامة قوية
طينة • • ويهد يته كأنه يريد أن يصافحه • •

وقدم له بدا مرتعشة • • صافحها محمود في حرارة • •
— أراى سيدتك دلوقة • • شد حيك !

وقال الرجل في صوت مرتعش • •

— كويس والحمد لله • • أربك أنت يا أسطى محمود !

وقال محمود وهو يحيط الرجل المنكوب بعينين حائيتين • •
— نسبح أوصلك يا أئندم • •

سوتردد الرجل • • ولكن محمود ألح • • وركب بجانيبه • • جلس
في مقعد السيارة وهو يشهد في راحة • • كأنه يستريح بعد مشوار
طويل شاق • • لقد مضى عليه أكثر من أسبوعين لم يركب فيها
سيارة • • وكحل إليه أنه قضى عشرين الأسبوعين واقفاً على قدميه
• • وقال الرجل في رجاء كأنه طفل صغير مسكين • •

— فسحني شويه يا محمود • •

وقال محمود من خلال ابتسامة الخنان • • ابتسامة الرجل
القوى الذي لا يحبل حقداً • •

— حاضر يا أفندم • •

واخذ محمود يقود السيارة في شارع الكورنيش • • ويحدث
الرجل المنكوب عن كل شيء • • عن حال المصنع • • وعن حال
العمال • • وعن الانتاح الجديد • • والرجل يهدأ شيئاً فشيئاً • • بدأ
بحس كأنه كان سجيناً وقضى مدة عقوبته • • ومن حقه أن يبدأ
الحياة من جديد • • إذا كان قد 'خطأ' • • فقد عوقب بما فيه الكفاية

.. ومن حقه الآن ان يكون مواطننا كباقي المواطنين .. غاملا ككل
العمال .. يعمل ويكسب بشرف .. ويضحك .. ويستبشر ..

ونظر الى محمود قاتلا وهو يتنهذ :
— تعرف أنا نفسي فى إيه يا محمود .. نفسى اشتعل ..
أى شعلانه !

وقال محمود فى بشر :
— وماله يا أفندم .. برضه سيادتك تفهم فى للنسيج كويس
يمكن تميد المصنع بخبرتك .
وسرح الرجل المنكوب بخياله .. هل يستطيع حقا ان يعمل ..
ان يكون مستثمرا فنيا للمصنع .. مثلا .. أو حتى واحدا من
الموظفين . ربما كان عليه ان يسى أولا انه كان صاحب مصنع ..
ان ينسى حتى لا يظل أسيرا لثلف اعصابه وعقده النفسية .
ونظر الى محمود وقال كأنه يخاطب الثورة كلها :
— يا ريت يا محمود ..

وأوصله الأوسطى محمود حتى باب البيت ، وقال له فى انبه
وتواضع :
— أنا عارف ان عربية سيادتك دخلت فى التاميم .. ولضاية
ما تتصنى الشركة وتقدر سيادتك تشترى عربيه .. عربيتى تحت
أمرك ..

ونظر الرجل الى السيارة الصغيرة القديمة ، وأحس انها اغلى
سيارة فى العالم :
ونظر الى محمود فى امتنان .. وهو يتسائل : لماذا لم يؤمن
بمثل هؤلاء الرجال منذ بدء حياته .. لماذا لم يقف بجائيتهم .. لماذا

أ. مناصرهم ليناصروه .. لماذا لم يحس بهم ويجعل من نفسه واحدا
... وقال وهو يضغط على يد الأوسطى محمود :
— متشكر يا أبني .. متشكر قوى .. انت علمتنى فى نصف
ساعة حاجلت ما تعلمتهاش طوي حياتى .. ربنا معاك .. ربنا
...
هذه الحكاية حدث جزء منها فى الاسكندرية فى الأسبوع
الماضى .. والباقى خيال .. احتوا فيها عن الجزء الواقعى ..
عن الخيال ..

أين حبيبتي

عرفها في القاهرة .. كان رساما يعمل في إحدى الصحف ..
طويلا .. تحبلا ، كهود القصب .. يطلق لحيه سوداء داكنة ،
وشاربا خشنا مريضا له أطراف مرفوعة ، وعينان واسعتان
تبرقان دائما .. ووجه أسمر ، يدو وفوقه اللحية والشارب ،
كوردقة من كراسه قديمة ملفطة بالحرير ..

وكانت مصرية يوغسلافية تعمل في أحد الملاهي .. شتراء ،
بشرتها في لون اللبن المخلوط بشراب الورد .. وعيناها حمران
.. وثوبها منسقي .. لم تكن رافصة .. ليس فيها أخلاق
الراتصات .. كانت مصرية تغنى الأغاني الإيطالية الحاملة ..
ونعش في ملم تحميه بشخصية قوية ، وكرامة حساسة تنور لأقل
خدش .. تنور إذا تكلم أحد من رواد الملهى وهي تغنى .. تنور
إذا اصطدمت بنظرة رجل لا تترنح اليها .. تنور .. تنور ..

والنتى بها في الملهى .. مصري ويوغسلافية .. وتعلقت عيناه
بها .. ولم تنر .. ارتاحت لعننيه .. ثم وجد نفسه يخرج ورقة
وقلمها ويأخذ في رسم صورتها .. كان كل ما يستطيع أن يفعله
عندما تتعلق عيناه بامرأة ، هو أن يرسم صورتها .. لم يكن له أبدا
مغامرات مع النساء .. انه وحيد ، منطو خلف لحيته الداكنة
وشاربه المرفوع .. كل مغامراته صور يرسمها ..

وجاءت بجانبه لتفرج على الصورة التي يرسمها لها ..

.. رأى كيف اتصل الحديث بينهما .. انها لا تتكلم العربية .. فقط
الامه اليوغسلافية والإيطالية ، ويضع كلمات انجليزية .. وكانت
.. الكلمات الانجليزية كافية ليستمر الحديث بينهما طول الليل ،
لدعوها الى زيارة مرسه ، في اليوم التالي ، ثم يدعوها الى
..

و .. وخطبها .. واحتفل اصداقاه بخطبتهما .. تكلم
.. وكل منهم دفع جنيها ليشترك في الخفل الذي اقاموه
..

ومضت يوما الايام .. أسعد في وقتها في القاهرة .. عاشا
في حلم .. لم يكن ينفق منه الا عندما لا يجد في جيبه نقودا ..
.. يدرس من صديق .. لأول مره يقترض .. ثم بدأ يطالب الجريدة
.. رده مرته .. لأول مرة يكر من زيادة مرته .. ثم يعود الى
.. له .. لا شيء يطلقه .. لا حيون اصداقائه ، ولا رفض الجريدة
.. ماله مرته ..

ثم .. كان يجب أن تسافر الفتاة لتعمل في جزيرة قمرس ..
ووعده أن تعود .. بعد أسبوعين ..

وكتبت له .. انها لن تستطيع أن تعود بعد أسبوعين .. بعد
..

ثم كتبت له .. لن تعود بعد ثلاثة أسابيع .. أربعة !!
والحياة من حوله لم يعد فيها شيء .. القاهرة تخفق أنفاسه
وهو لم يعد يستطيع أن يرسم الا صورتها فقط .. ولكن صورتها
لم تعد تكتيه .. شوقه أصبح أكبر من قه .. انه لم يعد يستطيع
أن يرسم حتى صورتها ..

وفجأة .. في يوم واحد ، قرر أن يذهب اليها ..

لم يرسل لها برقية بحضوره .. خيل اليه انها في انتظاره ..

لأن أنها لم تنتظره في كل لحظة كما هو في انتظارها في كل لحظة ..

وأتم إجراءات السفر .. وركب الباخرة إلى قبرص .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته بجانب ثيابه عشر بيضات « مسلوقة » وضعت لها أمه ..

والباخرة بطيئة .. لو أنه ذهب سائحا لمسبتها ..

والليل كثيف ، يخيل إليه أنه يريد أن يشقه بمطواة ، ليصل من ورائه إلى الفجر .. إلى النور .. إلى حبيبته ..

ونزل في ميناء « ليماسول » .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته عشر بيضات .. وتحت أبطه خرطوشة من علب سجائر « لاكي سترايك » اشتراها من فوق الباخرة ، بثمن أرخص ..

وأسرع إلى أقرب تلفون ، واتصل بالبيت الذي تقم فيه .. تحدث بالإنجليزية ، وردت عليه صاحبة البيت بالإنجليزية .. قالت له أنها غير موحدة .. سافرت إلى مدينة « فاما جوستا » ولم يسمع .. لا يريد أن يسمع .. أن هذه المرأة لا تتكلم بالإنجليزية .. وركب سيارة أجرة .. وذهب إليها .. ماذا تقولين ؟ سأنت .. مش معقول ! وأين « فاما جوستا » هذه ؟ على بعد ثلاثمائة كيلومتر .. ياه ! ..

ولم يقل لها شكرا ! .. وأخذ عنوان خطيبته الجديد وعاد إلى السيارة الأجرة ؛ إلى « فاما جوستا » يا أسطى ..

وسار به السائق اليوناني .. وفي جيبه ثمانية جنيهات .. وفي حقيبته عشر بيضات .. وتحت أبطه خرطوشة سجائر !

وعندما وصل إلى « فاما جوستا » نقص ما في حيبه أربعة جنيهات ونصف جنيه .. دفعها للسائق .. ونقصت سجايره عشرين ..

وفكر قليلا .. لا يصح أن يذهب إلى حبيبته وهو بهذا الشكل .. أنه ممعر ملخبط .. وذهب إلى فندق ، وحجز غرفة ، صعد إليها واستحم ، وغير ثيابه ، ومشط شعره .. ثم نزل إلى بهو الفندق ، واتصل بالتليفون بالبيت الذي تقم فيه حبيبته .. وردت .. صاحبة البيت ؟

— ليست هنا ..

— ماذا تقولين ؟

— ليست هنا .. سافرت .. إلى أين ؟ .. لا أدري ..

وارتج .. ازدادت عيانه لمعانا .. لا يمكن .. مستحيل .. حدها .. وصعد إلى غرفته لثاني بسترته .. ولكنه وجد نفسه يحس على السرير .. ثم غاب .. نام .. لقد مضت ليلتان لم ينم ..

وصحى من نومه .. أنه أهدأ قليلا .. وبدأ يتذكر كل شيء .. أنه سيبدأ البحث عن خطيبته .. وليس في حيبه سوى ثلاثة جنيهات .. نصف .. وقد حول أربعين جنيهها من القاشرة إلى بنك « ليماسول » ولكنه لا يستطيع أن يعود إلى « ليماسول » .. وعليه أن يدفع أجر الفندق الذي يقيم فيه .. إذن .. ليختصر الطعام .. أن يأكل إلا بعد أن يجد حبيبته .. وأخرج بيضتين من حقيبته .. أكلهما .. بلا عيش .. ونزل يبحث عنها ..

طاف بكل ملاهي المدينة ولم يجدها .. وسال ..

كان يسأل أي واحد يصانفه .. ويخيل إليه أن كل واحد من .. يعرفها وتعرفه ..

ثم .. قال له أصحاب الملاهي :

— هل أنت من مصر ؟

نعم .. خطبها .. كيف عرفت ؟

— لقد كانت تتحدث دائما عنك .. وتعرض علينا صورتك ..

وقفز قلبه فرحا .. انها تتحدث عنه .. كل من يعرفها يعرفه .
ابها تحبه .. انها تريد به قدر ما يريد بها .. تعاني ما يعانيه
.. شوق .. وأحس بقوة .. قوة محبة .. انه سيجدها ..
استمع من خلال أعيانه .

— أين هي في فيثوسيا ..

وذهب الى الفندق .. وأكل بيضتين أخريين .. في صحة
جسده .. ثم حمل حقيته .. وذهب الى فيثوسيا ..

لم يعد يحمل في حقيبته سوى ست بيضات .. وفي جيبه جنيه
واحد .. وعلبتي سجائر .. وسال عنها في فيثوسيا ..

يومان وهو يسأل عنها .. لا ينالم .. ليس في جيبه أجر البيت
في الفندق ..

ويأكل البيض .. وانتهى البيض .. وانتهت السجائر ..
وإين هي ؟ ..

— سافرت .. الى أين ؟ الى بيروت .. وتسكن في شارع
الحرام ..

وحرى الى البنك يسأل عن نقوده التي حولها من القاهرة
الى فرع البنك في ليماسول .. ابها لم تصل بعد ..

وذهب الى السفارة العربية يشكو لها .. أعطوني ثمن تذكره
سفر الى بيروت وأخصموها من نقودي ..

وابتسم السفير في الشقاق قائلا :

— آسف .. الاجراءات لا تسمح ..

وخرج من دار السفارة .. لا ييأس .. انه سيذهب وراءها
الى بيروت .. ولو اضطر ان يعبر البحر سباحة .. انه سيجدها
ولو حفر الجبل بأظافره .. انه لا يشعر بالجوع .. ولا يشعر
بالاعياء .. انه يشعر بقوة .. قوة عجيبة .. قوة تقربه من

.. الله .. انه يكاد يراها وليس بينه وبينها سوى خطوة واحدة ..
.. خطوة واحدة ويصل اليها ..

وذهب الى شركة الطيران .. أعطوني تذكرة الى بيروت
يساعدكم لكم ثمنها بعد ان أصل ..

وابتسم موظف الشركة في الشقاق وقال :

— هل تعرف احدا في بيروت يملك .. ؟ ..

وأخذ يهذي بأسماء كل الناس الذين يعرفهم .. أسماء أصدقائه
في القاهرة .. ثم .. هدى الله لسانه فطلق اسم شخصية لبنانية
.. معروفة ..

وابتسم الشقاق لا تزال بين شعتي موظف الشركة .. ان
عليه ان يرسل برقية الى هذه الشخصية في بيروت ، فاذا قبلت
.. مسانه ، أعطوه التذكرة .. ولكن عليه ان يدفع ثمن البرقية ..
ووضع يده في .. وأخرج كل ما فيه .. ربع جنيه ..

وأخذ الموظف النقود .. صامتا .. كأنه يحس بألمه ..
— تعال غذا ..

وطاف على قدميه .. ثم ارتقى على مقعد في حديقة عامة ،
حس الفد .. لم ينم .. لا يريد ان ينالم .. لا يريد ان يكل ..
معد يريد ان يذهب الى حينته ..

وفي الفد ، وقيل ان يذهب الى مقر شركة الطيران ، مر
السك ، ووقف امام الموظف المختص ، يصرخ :

— أريد نقودي .. ان نقودي عندكم .. لا تسرقوا نقودي ..
أريدها الآن .. الآن ..

وقلب الموظف في الأوراق التي أمامه .. وأجاب في هدوء :

— نقد وصلت نقودك ..

واستند على شبك البنك حتى لا يسقط على الأرض .. وابتلع
سنة كأنه ارتوى بعد ظمأ شديد ..

وخطف النقود ، وجرى بها الى شركة الطيران .. وركب الطائرة ..

انه ساهم .. عيناه تزدادان بريقا .. لا ينام .. ولا يريد ان يأكل حتى بعد ان أصبح فى جيبه نقود .. وبعد ساعة كان فى بيروت ..

وجرى .. جرى فى الشوارع كالمجنون .. تاكسى .. تاكسى .. وركب سيارة اجرة ، وذهب الى عنوان البيت .. وصعد مباشرة .. وطرق الباب ..
و .. ووجدها أمامه ..
وعيناه سرقان ..

وصرخت ، وهى ترى هزاله :
- تاجى .. انت .. ماذا جرى لك ؟
ولم يرد .. أرتدى بين ذراعيها .. خفى عليه ..
وحملته الى فراشه .. انه مريض .. يرتعش .. انها 'الحصى' ..

وبقى معها أربعة أيام مريضا بالحصى ، وعندما أفاق كان يجب ان يعود الى القاهرة ، فليس معه فيزا للاقامة فى لبنان .. يحب ان يعود اليوم ..

ولكنه كان سعيدا ..
لقد وجدها ..
أخيرا وجد حبيبته ..

وقبلها .. وضع كل جبه فى قبلة ..
وقللت همسة :
- سأعود اليك فى القاهرة .. بعد أسبوعين !

خواطر فتاة متحررة

انا فى التاسعة والعشرين من عمري ..
ومنذ كنت فى السادسة عشرة والعمرسان يترددون على بابى ..
وكنت أرفضهم .. وكنت أرفض المبدأ نفسه .. مبدأ الزواج ..
كنت قد سألت نفسى : ما هو الزواج ؟
وانتهيت الى الحجاب ..

الزواج هو وظيفة .. بنت تتوظف عند رجل .. تشرف له على ..
عنه .. وتطبخ له طعامه .. وتغسل له ثيابه .. وتبتع رجولته ..
ويجانب هذا تقوم بوظيفة عامة ، وهى انجاب الاطفال .. وذلك بطريق مرتب ثابت يشمل : الاكل والسكن ، والملبس ، والعلاج ..
ومصروف اليد !!

وشروط الزواج هى نفس شروط وظيفة أخرى .. المرزء الملائم .. والدخل الملائم .. والمظهر الملائم .. ثم .. المؤخر ..
« اسعة » يماويان المكافأة ، والمعاش ، فى حالة الاستقالة من أى وظيفة أخرى ..

ولا شك ان المجتمع يحتاج الى هذه الوظيفة .. وظيفة الزوجة ..
ولكن حاجته اليها ليست أكثر من حاجته الى الوظائف الأخرى ..
.. حاجة المجتمع الى الزوجات ليست أكثر من حاجته الى عمال المصانع ، او الى موظفى ادارة المعاشات ، او مديرى الشركات ..
وهذه الضجة التى تقوم حول زواج البنات ، ليس سببها ان وظيفة الزوجات اهم من الوظائف الأخرى ، بل سببها ان البنات لم يكن

الزواج .. وظيفة !

ومما أن البنت الآن تستطيع أن تعمل في أكثر من وظيفة ، فهي ليست مضطرة الى وظيفة الزواج .. او على الأقل من حقتها أن يختار .. أما أن تكون زوجة ، أو مسكرتيرة ، أو مهندسة ، أو طيبة ..

وانا لا أريد أن أكون زوجة .. لا أريد أن أتوظف عند رجل .. ان وظائف الشركات ضمن ، ومريحة أكثر .. وتوظفت .. أصبحت مضمنة في إحدى شركات الطيران .. ومرت السنون .. وأصبحت في التاسعة والعشرين من عمري ولم أعثر نفسي عائداً ..

لا .. العانس ، معناها غداة عاطلة ، لا تؤدي خدمة للمجتمع . وانا لست عاطلة .. انا موظفة .. أؤدي خدمة للمجتمع .. خدمه كبيرة ، وربما كان المجتمع في حاجة اليها أكثر من حاجه الى رئيسي زوجة ..

لن يصح الآن .. هو وضع أي رجل يعمل ، وليس متزوجاً .. عزب .. نفس الوضع .. كلانا يقوم بواجبه نحو المجتمع .. ولكن .. خلال هذه السنوات ، كنت أفكر في الحب .. ماذا يحدث .. أحببت رجلاً .. هل أتزوجه ؟

لماذا ؟ ! أما فخل الحب بالزواج .. ان الحب عطمة .. الزواج وظيفة .. وأستطيع دائماً أن أحفظ بعواطفي .. دون .. حه الى وظيفة .. فعندي وظيفة أخرى أفضلها على وظيفة زوجة !

والبنت التي تحب وتصر على الزواج من حبيبها .. بنت ابتلية .. ينتقل حبها الى غريمه المملك .. انها تريد أن تملك لرجل الذي تحبه ، وهي ليست واثقة من أنها تستطيع أن تملكه .. فاعلمها ، فتضطر أن تملكه بمقد .. شره .. تماماً كما تملك لعة أرض بمقد عقاري .. ان الزواج في هذه الحالة هو دليل عدم

لبن وظيفه أخرى غير الزواج .. فان لم يتزوجن ، أصبحن يمثلن مشكلة بطالة في المجتمع .. تماماً كمشكلة البطالة بين خريجي كلية الحقوق والآداب !

فالمشكلة ليست متعلقة ببدا الزواج .. ولكنها متعلقة ببدا البطالة ..

وكانت البنت التي لا تجد وظيفة تسمى : عانس !

والشباب الذي لا يجد وظيفة يسمى عاطل !

وقد اعتبر المجتمع من السادسة عشرة ، هو سن التخرج بالنسبة للبنت .. لأنها في هذه السن يكتمل استعدادها لأداء وظيفتها كزوجه .. تماماً كما يعتبر ثيل الشهادة الجامعية شرطاً للخرج بالنسبة للشباب الذي يريد أن يشغل مهنة ..

وابتداء من السادسة عشرة ، يبدأ الأهل في البحث عن وظيفة للبنت .. أي البحث عن زوج !! .

وهم يبحثون عن وظيفة لزوج البنت بنفس الاهتمام الذي يبحثون به عن وظيفة للولد بعد تخرجه .. بل باهتمام أقل .. فان وضع الولد العاقل في البيت ، وبالنسبة للمجتمع ، أقسى وأخطر .. من وضع البنت العانس ..

والوسائل التي يلجأ اليها المجتمع للتغلب على أزمة الزواج البنات .. هي نفس الوسائل التي يلجأ اليها للتغلب على أزمة العاطلين ..

نظام « الخاطبة » هو نفس نظام مكاتب التوظيف .. وإعلانات الزواج التي كانت تنشرها « روز اليوسف » .. هي نفسها إعلانات طلب الوظائف التي تنشر في جريدة « الأهرام » ..

والدعوة الى التخليص من قيمة المهر .. هي نفس المشروعات التي يصممها دوان الموظفين للتخفيف من قيود التوظيف .. وهذا هو رأيي ..

الثقة في النفس .. وعدم الثقة في الحب .. دليل على اهتزاز الشخصية أمام الناس .. فتلقاؤا الفتاة إلى تسجيل حبها في قلم التسجيلات ، حتى لا يضيع منها ..

وأنا واثقة من نفسي .. أنا لست في حاجة إلى إملالك حبيبى يوم أحب .. أنها سيكون حيا خاليا من الأنانية .. سيكون كل منا حرا .. طليقا .. لكل منا وظيفته وحياته ، ولا تجمعنا إلا عواطفنا ..

وأعتقد أن هذا هو نفس شسور الرجل ..

إن الرجال عادة لا يقبلون على الزواج الا مضطرين .. تحت الجاح الحرمان ، أو تحت الحاح التقاليد الاجتماعية التي لا تعترف بالحب بلا زواج .. ولكنه دائما .. أى الرجل — يفضل ألف مرة أن يجد الفتاة التي يحبها ولا يتزوجها .. لماذا ؟ لأن له وظيفة أخرى غير وظيفته كزوج .. لأنه إذا لم يتزوج ، لن يعتريه الناس .. ولن يعتبر نفسه عاطلا .. وأنا أيضا — كالرجل — لن اعتبرنى أحد عاطلة إذا لم أتزوج .. إلى أن قابلت محمود ..

وأذكر مناقشة حادة دارت بيني ومحمود في أول لقاءنا ..

قال لى :

— هل عرفت رجلا قتل ؟

قلت :

— وأنت .. هل عرفت بنتا قتل ؟

قال :

— أنا رجل .. لن يضيرنى أن عرفت بنتا قتلك !

قلت :

— وأنا .. ماذا يضيرنى لو عرفت رجلا قتلك !

قال :

— أنت بنت .. والبنات يجب أن تحافظ على نفسها .. على سرب .. إلى أن تجد الرجل الذى تحبه ..

قلت :

— والرجل .. لماذا لا يحاط على طهارته إلى أن يجد البنت التى يحبها ؟

وقال محمود وهو يطل على ندى دهشة :

— لأن البنت بنت .. والرجل رجل ! ..

قلت :

— ماذا يعنى هذا ؟

قال :

— إن الرجل يستطيع أن يعرف مائة فتاة دون أن يخسر حسا .. والبنت .. و ..

وقاطعه قائلة :

— ومدا تخسر ادست ؟

قال :

— تخسر سمعتها ..

قلت :

— ولماذا لا يخسر الرجل سمعه ؟

قال :

— إن التكوين الجسماني للبنت من طبيعته أن يجعلها أما مجرد لقاء أول رجل .. بل إن عواطف البنت وأحاسيسها منتبهة دائما من طبيعتها كام ..

قلت :

— والرجل .. إن طبيعة تكوينه الجسماني يجعله أب مجرد لقائه بأى بنت .. فلماذا لا يحترم أن الرجل أبوته ويفرض على المرأة احترام أمومتها ..

قال :

— ان الرجل لا يحمل ابناؤه في بطنه ..

قلت : والنت ايضا .. انها تستطيع الا تحمل .. الطيب بعد
تقدم .. والحكومات تبني الآن وسائل منع الحمل .. والنت
لا تكون اما الا اذا ارانت .. وكذلك الرجل لا يكون ابا الا اذا
اراد .. لا تحرق يا عزيزي .. وكل الفروق غروقي مفتعلة فرضها
الرجل على المرأة عندما كان يستعدها .. وعندما كانت ترضخ
لهذا الاستعداد ، لأنها كانت تعيش حالة عليه .. وأنا لا أعيش حالة
عليك .. أنا موظفة مثلك .. فلا فرق !

قال :

— أنى لا أستطيع ان أحبك ، وأنا اتصورك كل يوم مع رجل ..

قلت :

— هل ستكون أنت كل يوم مع امرأة ؟

قال :

— لا ..

قلت :

— لماذا لا تذهب كل يوم الى امرأة ؟

قال :

— لأنى احبك !

قلت :

— وأنا ايضا .. لأنى احبك ، فساكون لك وحدك .. ولأنك
تضمنى سيكون لى وحدى !

قال :

— اتعنين الزواج ؟

قلت :

— لا .. ان الاحلاص ليس مرضا يعرضه عقد مكتوب ..

انه رغبة ناعمة من العاطفة .. رغبة تغنى الدنت عن كل الرجال
لا رجلا واحدا ، وتغنى الرجل عن كل البنات الا بنتا واحدة .. انى
ان اخلص لك غصا عني ، او رغما عن ارادتي ، ولا حتى احتراب
لك .. ولا اريدك ان تخلص لى محاملة لى او حرصا على شعورى
.. لا .. سأخلص لك ، من اجل نفسى لأنى لا اريد شيئا آخر ..
.. ب ايضا ، اذا احسست أنك تريد شيئا آخر ، فلا تخلص لى ..
هل نفهمنى .. ان اخلاصى ليس حقا لك ، ولكنه حق لى ..
واخداصك لى ليس حقا لى ، ولكنه حق لك ..

قال :

— هذه مبادئ خطيرة ..

قلت :

— كل تطور سدى خطيرا مى اوله .. ان السعى الى الحرية
للساواه .. يعتر ثورة !!

و .. لم تنه مناقشاتنا ..

ولكى احسست محمود .. وازددت حبا .. كل عام يمر احبه

..

وبدأت احس باحساس جديد يطفى على حى .. انى اريد ان
كون اما .. اريد طفلا من محمود .. كئن كل هذا الحب لم يعد
كفىنى ، واصبحت اريد ان احمل من محمود فى داخلى .. لم اكن
حس انى اريد طفل محمود بل اريد ان احمل محمود نفسه ..

وحاولت ان اطرد هذا الاحساس ..

ان الامومة وظليفة اخرى ، كوظيفة الزوجة ، ووظيفة مضيفه
سكة الطيرى ..

وقد رفضت وظيفة الزوجة .. ويجب ايضا ان ارفض وظيفة
.. .. ولكنى لم استطيع .. حبنى يلح على .. حبنى كبر حتى
اصبح امومة .. هل استطيع ان اكون اما بلا زواج ؟ ! وبدات افكر

باسلوب جديد .. اسلوب كنت اعتقد انى كُفرت به ، وازحته من راسى .. انى لا افكر فى نفسى ..

ولكنى افكر فى الطفل الذى اريده ان يجعلنى اما ..

انى لا استطيع ان اتجب طفلا يواجه المجتمع بأم ليست زوجة ولا استطيع ان اسأله اذا كان يرضى بهذا الوضع او لا يرضى .. ربما نشأ طفلا متحررا لا يؤمن بتقاليد المجتمع .. ولكنى لا اعرف رايه .. ولا استطيع ان اسأله !!

وقلت لحبود :

— محمود .. لننزوج !

ونظر الى محمود دهشا .. ثم ابتسم ساخرا ، وقال :

— لا .. لماذا تريدان الزواج .. ان الزواج وظيفة ، وانت لا تنصك الوظيفة !

قلت :

— ارد ان اكون اما ..

قال :

— الامومة وطفلة ايضا .. ثم ما حاجتك الى ان تكومى اما ؟

— لانى احبك !

وبدأ مناقش من جديد .. و ..

وبدأ محمود يبلو شروطه عني .. احسنت كانه يذلنى ..

انه يريدنى ان استقبل من عملى ، وان اتفرغ للبيت .. ويريدنى ان اتعلم طهو السابعة لانه يحب السابعة .. ويريدنى ان اقرا له كتب الادب ، وانا اكراه كتب الادب .. وحاولت ان اقاوم ..

ولكن لمهتئ لى اكون اما غلبنى .. واستسلمت .. و ..

انا لن نتحرر ابدا .. لانا نريد ان نكون امهات ..

ولان الرجال هم الذين يصنعون منا امهات !!

بلا كلام

كنت فى برشلونة .. ونجدة قررت ان اذهب الى جزيرة .. وركا ..

ولا ادرى ما الذى اغرامى بالذهاب الى مايوركا .. كل ما اعلمه عنها انها جزيرة امسانية فى البحر الابيض .. وانها هادئة ، راسعه .. يذهب اليها العرسان لفضاء شهر العسل .. ويذهب اليها احبائهم .. عجائز الانجليز والامريكان .. ليستلقوا على الشمس ، ويغضوا عيونهم على الماضي المسعبد ..

وايا لست فى شهر عسل .. ولست عجورا .. انى شاب وحيد ..

ومايوركا — بحالها — تعذب الانسان الوحيد .. يريد احساسه بوحده وحرمانه .. ورغم ذلك فقد كان فى مايوركا آثار قصة قديمة عشت فيها طويلا بين صفحات كتاب .. قصة حب .. حب شويان ، وجورج صائد ..

وانا اعشق موسيقى شويان .. ورغم انى لم اقرا شيئا للكاتبة جورج صائد ، الا انى اهد قصتها مع شويان .. لقد احبت جورج صائد حبا عجبيا .. حبا يمتزج فيه حنان الام ، بانانية المراه العاشقة .. وقد رعته فى مرضه وفنه كأم ، وازادت ان تستأثر به .. عاشقة .. ثم غلبت انانية المراه حنان الام .. مات شويان ..

وقد قصى جورج صائد وشويان ثلاثة شهور فى جزيرة مايوركا

.. منذ مئة سنة .. وعاشا أياما في نعيم .. وأياما يكافحون
مها السمّة السلّ الذي يزحف على صخر شوبان ثم السنة الأهالي
الجزيرة .. أحدوا من السنة السل .. لقد عرف الأهالي أنهم
ليسا روجين .. وعرفوا أن شوبان مريض بالسل ، وكان أياما
مرضا هخيمًا يهدد بالمعدى .. ثم ثاروا على جورج صائد عندما
كانت تخرج إلى الشارع في أزياء الرجال .

وبدا العاشقان يهران من الأهالي .. ومن السل .. انتقلان
بيت إلى بيت .. ومن قرية إلى قرية .. ولا يلبث صاحب البيت أن
يطردهما .. ثم لا تلبث القرية كلها أن تقتذبهما بالطوب .. واضطر
الانثنان إلى الهروب من مايوركا كلها ..

ومرت السنون .. واحداد هؤلاء الفلاحين ، أقبلوا للشوبان
وجورج صائد تمثالا .. وصنعا من البيت الذي كانا يقيمان فيه
منحما .. وآلاف السراخ ينمقون آلاف الجنيهات كل عام ، لرباه
عش الغرام الذي عاش فيه شوبان وجورج .. والجزيرة كلها ليس
بها ما تفخر به إلا أنها شهدت يوما غرام شوبان وجورج ..

ومن أجل شوبان وجورج .. أردت أن أذهب إلى مايوركا ..
ن أتمشى لحظائره في البيت الذي عاشا فيه .. أن أشهد بعيني
أهالي مايوركا وهم يبيعون صور شوبان وجورج صائد ، بعد أن كانوا
يعتد بهما بالطوب .. وأن أشمت .. أشمت في المجتمع الظالم
الإناني الذي يصر على أن ينزل ثلثان إلى مستوى الرجل العادي
.. ثم يقيم له تمثالا بعد أن يموت ! لا وحيلتي الباخرة الكبيرة من
مسار برشلونة .. وسارت تشق بي الليل إلى مايوركا .. وعلى
ظهر الباخرة أكثر من خمسين هانة أسبانية .. في سن السابعة
عشرة والمشرين .. يملآن الأروقة بالضجيج والمرح .. ثم يحسم
على سطح الباخرة في حلقة كبيرة .. وواحدة منهم تعزف الجيتار

وفغنى في صوت حزين أغنية إسبانية لا أفهم من كلماتها شيئا ..
ثم فجأة تنتقل إلى لحن مرح صاخب .. ويفغى الجميع معها ..
لا بد أنها أغنية هزلية ، لأن البنات يضحكن في مرح وهن يغنين ..
ومعانة أخرى تنفض ولفه وترقص رقصة إسبانية .. ثم فجأة
تشدد فناة أخرى وترقص معها : تشانسا ..

ومريق من الركاب اجتمع حول الحلقة الكبيرة يتفرح على مرح
البنات .

وأما جالس على درجه سلم - اسممى وحذتى ..
وأخذ البنات يداعبن الركاب .. مداعبات بريئة حلوة
والضحكات تطغى على صوت الموج الذي يتطاير حول الباخرة ..
وجاءت واحدة إلى ، وتكلمت كلاما كثيرا لم أفهم منه شيئا ..
أما تحدثت بالأسبانية ..

وحاولت أن أحنثها بالانجليزية أو الفرنسية .. ولكنها
لا تعرف بهما كلمة واحدة .. كل ما فهمته منها أنها تسألني عن
بلدى .. وقلت لها الكلمة الأسبانية الوحيدة التي أعرفها :

— اخينوا .. أي : مصر ..

وتنطق بالحاء .. أنى لا أحب اسم « مصر » يترجم
بالأسبانية !!

وصاحت الدنت : أخيسو .. ثم نادت فريتا من زميلاتها
السمن حولي - ولكن يتحدثن في وقت واحد .. كلام كثير ..
لا أفهم منه شيئا !!

لقد اكتشمت ساعنها تعريفا حديدا للإنسان .. الإنسان :
لغة ..

وعندما يغت الإنسان عنصر اللغة ، يفقد أداة التفاهم ..

وعندما يفقد أداة التفاهم يصبح مجرد شيء .. شيء موجود ...
له شكل .. ولكنه ليس انسانا .. ليس مخلوقا يتفاهم كبرى
الانسان ..

واكتشفت البنات - وكلهن لا يتحدثن الا الاسبانية - انى شيء
.. مجرد شيء .. فترككنى ومدن الى موسيقاهن ورقصهن ..
وظللت جالسا على درجة السلم ، انفج .. وتعلقت عيناى
بواحدة منهن ..

انها فنانة اشبه بالولد .. تسير فى خطوات قوية اشبه بخطوات
الاولاد .. خطوات رعاة البقر الامريكان .. وذراعاها مبتعدتان
دائما عن جنبها ، كأنها ولد يتأهى بمضلاته .. ووجهها جميل ،
ولكنه خال من المساحيق ، ونظراتها قوية كنظرات ولد شقى ..
ويبدو انها ماهرة المدرسة .. انها اكثر البنات حركة ، وضجيجا
واكثرهن شقاوة ، وجراة على الركاب .. ويبدو أن لها سيطرة
على بقية زميلاتنا .. سيطرة فيها نوع من الزعامة .. وتتبعنها
بعينى ..

★★★

ولاحظت انها ترقص ، وتغنى ، وتضحك .. ثم فجأة تتجه الى
زميلة لها جالسة فى ركن منزو قريب منى .. وتجلس بجانبها ..
وتوسع دراعها فوق كتفها ، ثم تأخذ فى الحديث اليها ، حتى تفكك
الزميلة .. كأنها تتمدد تسليتها .. كأنها تخصصها بنوع خاص من
اهتمامها .. ثم تقوم من جانبها وتعود ترقص وتغنى ، وتطلق
نكاتنا .. الى أن تعود الى زميلتها مرة أخرى ..

ان زميلتها جميلة .. رفيقة .. فيها ضعف .. وخفر .. وهى
لا ترقص ولا تغنى .. انها فقط تبسم .. ثم تنطلق من عينيها
نظرات شاردة كأنها تهيم بهما وراء شيء فى أعماق الليل ..

وقدحاة .. لحت شابا اسبانيا يتسلل من خلف صفوف الركاب ..
ويقف قبالة الفتاة الرقيقة .. وسمعه يتحدث اليها .. حديثا لم
افهم منه شيئا .. لم افهم كلمة واحدة .. ولكنى رايت نظرات الفتاة
تضطرب ، وتلتفت حوالها ، ثم تحمر وجنتاها ..

وحلس الشاب بجانبها ، وبين شففيه انسامه رائقة ..
واستمر فى حديثه معها .. ورايت الفتاة تحنى رأسها ، وتظهر بين
يديها ، ونرد عليه بكلمات قليلة .. وأحيانا تبتسم .. ابتسامات
سريعة بنشق الليل كشماخ من القمر ..

وكانت الفتاة الأخرى - الفتاة الولد - ترقص .. منهبكة فى
الرقص .. ومجأة توقفت عن الرقص .. واتجهت فى خطواتها
القوية .. خطوات راعى البقر .. الى حيث تجلس زميلتها مع
الشباب .. ووقفت قائلتها ، ويدها فى خاضعتها .. وأخذت
تنظر اليها والبه .. ثم قالت كلاما .. ورفعفت الفتاة الرقيقة عينيها
وخيل الى أن فى عينيها خوفا .. وقالت كلاما قليلا فى صوت ضعيف
.. وهزت « الفتاة الولد » كتفها .. وابتعدت .. وعادت ترقص
.. ولكنها لم تعد ترقص كما كانت .. انها تبدو كأنها ترتعش ..
وبير كل خطوة وأخرى تنظر الى زميلتها الجالسة فى الركن
المنزوى ..

والشباب لا يزال بجانب الفتاة .. يتحدثان ..

★★★

وكنيت « الفتاة الولد » عن الرقص مرة أخرى ، واتجهت نحو
زميلتها وصديقتها ، وقالت نكتة .. عرفت انها نكتة لانها اعتبيتها
بضحكة كبيرة .. ولكن الزميلة والصديق استقلا النكتة فى برود ..
وابتسامات مفتعلة .. فاطلقت لهما نكتة أخرى ، استقلها برود
أشد .. وابتلعت الفتاة ضحكتها .. ونقلت نظراتها بينهما فى

امتعض .. ثم ابتعدت .. وجلست على متعدي بين بعض زميلاتها وهي تفر .. وخيل الي أن في زفرتها غيظا .. ولا تزال تنظر بعين غاضبتين الى زميلتها الجالسة مع الشاب .. ثم لم تعد بطبق .. قامت ومشت نحوها ، ووقفت قبالتهما .. وأخذت تتحدث الى زميلتها .. وكان صوتها في هذه المرة محتدا .. كأنها تؤنبها .. تحذرها ..

وردت عليها زميلتها في ضعف .. كأنها ترجوها .. فتوسل اليها .. وابتعدت « الفتاة الولد » وهي تفر ، وتضرب الهواء بكفيها ، وتحيط أرض الباحة بقدميها .. وعاد الشاب بحادث الفتاة .. حديثا يبدو ناعما .. والفتاة الرقيقة تحنى رأسها في خفر .. وابتسامتها تتسع ، وتهادى بين شففيها .. ومرة فمرة .. ربع ساعة أو يزيد .. ثم مجأة رايت الفتاة الأخرى ، تندفع اليها .. وفي هذه المرة أخذت توجه كلامها الى الشاب .. كلام في صوت مرتفع حاد .. يبدو أنها تشتبه .. نهمه .. تلعنه ..

ورأيت الفتاة الرقيقة تقوم واقفة ، وترد على زميلتها .. يبدو أنها تدافع عن الشاب ، وعن نفسها .. ثم جذبت الشاب من يده وسارت به بعيدا ، وهي تنفض في غضب .. ثم وقفت به عند سور الباحة ..



وجلست الفتاة الأخرى — العنة الولد — على المتعد الذي كانا يجلسان عليه .. جلست كأنها وقعت منهارة .. ووضعت رأسها بين يديها .. وأصابها تشدد شعر رأسها في فيظ وغل .. ثم قامت واتجهت الى حيث تقف زميلتها مع الشاب .. وسمعتها تتحدث اليها .. أنها تتحدث اليها في تومئ .. وتشير بيديها كأنها تسخلفها .. ثم .. ثم يكت .. يكت الفتاة الولد .. ورأيت

الفتاة الأخرى تقف ذاهلة .. ثم شهر دموعها على خديها في سموت .. ثم ..

ثم تحنن زميلتها وبكيان معا .. بكيت كثيرا .. ثم رفعت الفتاة الرقيقة رأسها ، ونظرت الى الشاب الذي معها ، وسمعتها تقول له — يونانوتشي .. أي : مساء الخير ..

ثم انصرفت له ابتسامة مسكنة .. اضعف من أن يبقى معه .. ووضعت ذراعها في ذراع زميلتها وعادتا معا الى حلبة الرقص والغناء .. و « الفتاة الولد » تنظر الى زميلتها كأنها تملها .. تقبل كل قطعة من وجهها ..



ورغم أنني لا أفهم الأسبانية .. ولم أفهم كلمة واحدة من كل الكلام الذي سمعته .. إلا أنني فهمت ما بين الفنانين .. وعرفت القصة ..

هل فهمتم أيضا أنتم ؟ أن الإنسان ليس لغة .. أنه يستطيع أن يفهم ، حتى بلا لغة .. والباخرة تشق بي الليل نحو ماينوركا ..

لا سام إلا اذا سقط من التعبه . ولا كيل إلا اذا شعر بالم في معدته
سدر انه يجب أن ياكل ..

وكان يعيش في أزمة نفسية حادة .. ولم يكن فقره هو سر
أزمته .. انه لم يشعر أبدا بفقره ، ولم يشعر أن هناك شيئا يريد
لا يستطيع أن يحصل عليه . كان سر أزمته هو حيرته .. حيرة
حبيبة .. كان حائرا بين الحلال والحرام .. ما هو الحلال ؟ ..
ما هو الحرام ؟ .. ولماذا الحلال ؟ .. ولماذا الحرام ؟ ..

وكان وهو صبي صغير يصلى .. عليه أبوه الصلاة ، ومات
أبيه .. به رأسه تقصص الملائكة والأنبياء .. فكان يقبل على الصلاة
شأنه يخطو الى عالم رائع جميل .. فيه جنة ، وفيه ملائكة ، وفيه
شمس اتقياء يتسممون من خلال فتون جليلة بيضاء .. وكان يقين
على هذا العالم في شوق .. ويقبل عليه وهو منتعش أنعشته
خاله ، وانعشه الماء الذي فوضا به .. ولم يكن يسأل ..

ولم يكن قد عرف بعد كلمة : لماذا .. كانت أمه تحتم عليه
أن يلبس جوربا اسود طويلا عندما يتقف للصلاة ، حتى يغطي
ركبته من تحت بتطولونه القصير .. فلا يسأله لماذا ؟ وكان أبوه
يحم عليه أن يغطي رأسه بالطربوش وهو يصلى ، فيضع الطربوش
على رأسه دون أن يسأل : لماذا ؟ وكانوا يأخذونه الى زياره
الاقربى ، فيمسح بيده الصغيرة على شبك الضريح ، ويقرا
الماتحة .. ويعمل كما تفعل أمه مبدور حول القبر الكريم سبع مرات
.. ويرفع كفيه ويدعو .. ثم يمسح وجهه بكفيه .. ولا يسأل : لماذا ؟
لماذا كل هذه الطقوس الغريبة ؟

ولم يكن في عقله حرام وحلال .. كان ما يفعله .. يفعله لأنه
يجب أن يفعله .. وما لا يفعله .. لا يفعله لأنه لا يجب أن يفعله ..

ولم يكن يسأل نفسه : لماذا يجب ؟ .. ولما لا يجب ؟ ..

حائز بين الحلال والحرام

انه رسام ..

والناس لا تعرفه .. الناس تعرف ممثلى السينما والمطربين ،
والكتاب ، ولكنها لا تعرف الرسامين .. وليس هذا ذنب الرسامين ،
انه ذنب الناس .. الناس عندما لا يزال خوتهم الفتى بلدا ، خولا ،
لا يتحرك لمن الرسم ..

وقد عرفته منذ بدأ يخط خطوطه الأولى على الورق .. وكان
مثيرا ..

ورغم فقره وقص ، بعد أن تخرج في كلية الفنون الجميلة ، أن
يشغل مدرسا .. كان يعتقد أنه لا يستطيع أن يعمل شيئا إلا أن
يرسم .. وكان يضحك وهو يتصور نفسه واقفا بين التلاميذ يعلمهم
الرسم ، ويقول بصوته الذى يتخلق دائما كأنه لا يبعد أن يسمعه
أحد :

— بآه ده معقول .. مش لما اتعلم أنا الأول !

وكان يدور على الذكاكين الصغيرة .. ذكاكين البقالة
والخردوات .. ويكتب اليافطات أو يرسم بعض الزخارف ، ويأخذ
أجره لنشيري الألوان والفرشاة التى يرسم بها ، وقطع القماش
الى يرسم عليها .. ثم يذهب الى غرفته الصغيرة في حى
« العطارين » ويرسم .. يقضى الليل كله وهو يرسم ويصبح عليه
المسباح وهو يرسم ولم أكن أدرى متى ينام ؟ ومتى ياكل ؟ انه

والعالم كله في عينيه ؛ عالم صبيان أطهار ، يحسون آمهاتهم ،
ويحبون آباءهم ، ويحبون الله .. ويصلون .. ويلعبون ! ولكنه
بدأ يكبر .. وشيء في رأسه بدأ يكبر أيضا .. وبدأ يفتاج بكلمة :
« لماذا ! » تنقف في وجهه !

كان في الرابعة عشرة من عمره عندما سأل نفسه : لماذا تصر
أمي علي أن تلبسني هذا الجورب الطويل السخيف كلها وقتت
للصلاة ؟

— لأعطى به ركعتي ..

— ولكن لماذا يجب أن أغطي ركعتي ؟

— لأنهما صورة ..

— ولكن ما هي العورة ؟

— العورة هي كل ما يثير مراءة نفوس الناس ..

— ولكن ركعتي لا تثير أن نفوس الناس ، بدليل أنني ألبس بنطلوني
معبيرا بكشف عنهما .. و ..

وتستمر المناقشة بينه وبين نفسه .. مناقشة يشدها من ناحية
عمله المطلق .. ويشدها من ناحية أخرى عقل أبيه وأمه وما وضعاه
في قلبه من تحاسيس دينية ..

إلى أن انتهت المناقشة بثورة .. ووقف يصلي دون أن يلبس
جوربا طويلا ، ودون أن يضع الطربوش على رأسه .. ولم تكن
ثورته على الله ولا على الدين .. ولكن ثورته كانت على هذه
الطاموس التي لا يستطيع عقله أن يهضمها ..

ورغم ثورته فهو خائف .. خائف أن يكون على خطأ ..
ويدمعه خوفه أحيانا إلى أن يعود ويلبس الجورب الطويل ، ثم تعود
ثورته وتدفعه إلى أن يخلع الجورب الطويل ..

وبدأت كلمة « لماذا » تكبر أكثر .. وأكثر .. والمناقشات بينه

ن نفسه لا تهدأ .. أنه يناقش كل شيء .. ولا يستطيع أن يسبى
شرار في أي شيء .. وتعب .. وادى به التعب إلى أن أفلح عن
مسألة .. لا لأنه كفر بالله .. ولكن لمقط لأنه تعب من مناقشة
أصعب لا يستطيع عقله الصغير أن يصل إليها .. أنه يحاول أن
ب .. بهرب من المناقشة .. ولكن الله في قلبه .. يؤمن به ..
حافه .. ويلجأ إليه .. والنقاش النفسى لا يكف عنه رغم أنه لم
.. يصلى ..

وأحساسه اللتى يشله المذاب .. عذاب الحيرة .. وبدأ
النقاش يفخذ اتحاما جديدا :

ما هو الحلال ؟ .. وما هو الحرام ؟ .. هل الكذب حرام ؟ ..

ان والده يكذب .. كذبات صغيرة بيساء ، لا تؤذى أحدا ..
هل يدخل والده النار لأنه يكذب ؟ لا .. أنه لا يوافق على أن
يدخل والده النار .. والله لا يمكن أن يحكم على والده بالنار ..
ربما لم يكن الكذب حراما .. ان الحرام هو إيذاء الناس ..

ماذا كذبت ولم تؤذ أحدا فالكذب ليس حراما .. بل ربما
أو كذبت لتريح الناس وتسعدهم ، لأصبح الكذب حلالا ..

وما هي المنون ؟ أنها الكذب .. والفنانون ليسوا سوى قوم
عوا في الكذب .. الممثل هو رجل يتفأ أمامك ويكذب عليك وينتلك
حياته بصورها في قصة .. و .. هل يدخل الفنانون أيضا
لنار الأثم يكذبون ليسعدوا الناس .. كذبهم حلال ! ولكن .. هل
هذا صحيح ؟

من يحدد إذا كانت هذه الكذبة تؤذى ، أو لا تؤذى ؟

ليس هناك مقياس ..

هل نترك لكل فرد أن يحدد مدى حقه في الكذب ؟

هذه موضى .. أن القتال يستند أن من حقه أن يقتل ..

والسارق يعتقد أن من خفته أن يسرق .. فلو اعترفنا للناس بحق
الكذب لتهادوا فيه ..

ربما كان من الأفضل أن نعتبر الكذب — كل أنواع الكذب —
حراما ؟

ولكن .. و ..

وتستمر المناقشة .. وتشتد حيرته بين الحرام والحلال ..
وينعذب ..

وقد ظهرت هذه الحيرة في كل لوحاته التي رسمها ..

انه يرسم مسجدا كبيرا فيه مصلون خاشعون .. وفي آخر
اللوحة — بعيدا — يرسم يافطة مكتوب عليها بألوان النيون كلمة
« كابلاريه » .. ويسمى اللوحة « نور » ! ويرسم مومسا في حى
البغايا واقفة في الانتظار .. وفي ركن بعيد من اللوحة يرسم
مئذنة مسجد .. ويسمى اللوحة « يا رب » !

ويرسم خمارا في حى شعبي مزخجة بالسكاري ، وعلى يمينها
شيخ أعمى يبيع مصاحف القرآن والسبح .. ويسمى لوحته
« مرة !! » .

ولا تشعر في كل هذه اللوحات انه يبدي رأيا ، أو ينتقد ..
لا .. انه حائر .. مجرد حائر تعذبه وتقلقه حيرته !

وبلغ قمة العذاب عندما أحب .. أحب امرأة متزوجة ..
واحبه ..

وبدا يسأل نفسه ، هل حبه حرام أم حلال ؟

ولم يكن يناقش موضوع العلاقة الجنسية .. ان العلاقة
الجنسية في نظره انه من أن تناقض .. ولكنه كان يناقش المعادلة
.. عاطفته .. حبه .. هل هو حرام أم حلال ؟

انه حرام .. كل الناس يقولون انه حرام .. ثم انه يعتدي

حق رجل آخر ، والاعتداء على حقوق الغير حرام .. لان فيه

— ولكن ما هو حق الغير الذي اعدى عليه ؟

— ان هذه المرأة ملك لرجل آخر ..

— كيف تكون المرأة ملكا لرجل .. انها ليست مذاعا .. انها
حسية كاملة مستقلة .. وقد تزوجت بلا حب .. بل لم تختر
وحيا .. اختاروه لها .. وتزوجت لانها كالى يحب أن تزوج ..
.. كما يلتحق الشاب وظيفة .. والوظيفة لا تمنعها من الحب
.. ان الوظيفة عندما تحب لا تعتبر انها خانت مدير الشركة ..
معبر حبيبها معنيا على حقوق الشركة .. وهذا الزواج ليس
رى شركة .. شركة لتربية الأولاد ، وللسعى في الحياة .. وهذا
الروح ليس يحوى مدير الشركة !! و .. ويحاف هذا المنطق ..
رفع عينيه الى السماء كأنه يبحث عن جواب لحيرته .. ويطن
موت في أفنية كالصراخ :

— لا .. الزواج ليس وظيفه .. انه ليس مجرد شركة .. انه
وب شخصين في كيان اجتماعي واحد .. وأنت لا تعتدى بحبك
الى الزوج لوحده ، أنك تعتدى على المجتمع ..

ويشتد خوفه .. فيهرب من حبه .. يهرب من حسنه .. ثم
لا يملك أن يغلبه حبه ، فيعود اليها .. ثم يهرب مرة أخرى ..
الحلال يشده من ناحية والحرام يشده من ناحية أخرى .. وهو
.. ولم يعد يحتل حيرته .. مرض .. أصيب بالسل ..
يرك السل يسعى في رئيته حتى أشرف على الموت ..

وذهبت الى زيارته وهو راقد في فراشه ..

وقال لى ، وعلى شفثيه ابتسامة ضعيفة تطل على وجهه الأصفر :

— اتعلم ما هي الفترات السعيدة التي عشتها .. انها الفترات

التي كف خلالها عطلى عن النقاش ، وخلصت روحى الى الله ..
فاستكانت ، وهذأت .. يبدو اننا يجب ان نلقى عقولنا حتى ننتج
راحة الايمان ..

قلت وانا اشفق عليه :

— ان الذين يضعون العقل فى خدمة الروح يصلون الى الايمان
.. والذين يضعون الروح فى خدمة العقل ، يختارون .. ويتعبون ..
قال :

— ماذا تقصد ؟ !

قلت :

— ان الايمان راحة للنفس ، يجب ان تسلم به قبل ان تفكر
.. ثم بعد ذلك تفكر فى حدود هذا الايمان .. ان الايمان كالدواء
الذى يكتبه لك الطبيب .. والطبيب هنا هو الله .. وانت لا تناقش
الدواء قبل ان تتناوله .. لا تسأل عن مركباته وكيفية صنعه ..
ولي سألت .. تعبت ، واحترت .. انك لست كيميائيا .. وربما
ادى بك السؤال ، الى رفض الدواء ، وعز عليك الشفاء ..

ونظر الى " كانه لم يفهمنى ، ثم قبض على يدي بيده الهزيلة
المعروقة ، وقال وعناء تلعمان :

— كيف تفرق بين الحلال والحرام ؟

قلت :

— ان التعاليم التي تتلقاها والتي تفرق بين الحلال والحرام
وضعت لتنظيم المجتمع .. انها كقوانين المرور .. انهم يحتسبون
علينا ان نسير على اليمين ، مع ان السير على الشمال ليس
مستحيلا .. ولكننا نسمع الكلام ونسير على اليمين حتى لا يصطدم
بعضنا ببعض .. انه مجرد تنظيم لتحركات المجتمع .. اما من
ساحبة الفرد .. فان كل آدمى فيه لمسة من الله تسمى الضمير ..
وهذا الضمير هو الذى يفرق بين الحلال والحرام .. الحلال هو

لا يؤذى نفسك أو غيرك ، والحرام هو ما يؤذى غيرك
، والضمير هو بقياس حساس لما تسببه تصرفاتك من اذى ..
قال وهو يرتعش :

— هناك البراد بلا ضمير ..

قلت :

— هؤلاء قد تخلوا عنهم الله .. فلم تعد لهم مشكلة ..
وسكت طويلا وانفاسه الضعيفة تتنقز على شفثيه .. ثم برقت
.. كانه رأى امامه نورا ، وقال كانه لا يتعمد ان يسمعه احد :

— هناك حقيقة واحدة لا تحل النقاش ..

قلت :

— ما هي ؟

قال وظل انتسامة يكسو وجهه النحيل :

— الموت !! ..

ثم التفت الى مرة واحدة ، وعاد يقبض يدي بعنف ، قائلا :

— انى أريد الموت .. أتدرى لماذا ؟

قلت وانا ارتيت على يده واحاول ان ارعه عنه بانتسامتى :

— لماذا ؟

قال :

— لانى بعد الموت سأعرف ما هو الحلال والحرام .. و ..

وسكت مرهة .. ثم ازداد اتساع عيفيه واشتد بريقهما ، وصرخ :

— هل سأعرف .. هل هناك بعد الموت .. و ..

وقطعته بسرعة :

— نعم .. ستعرف .. ستعرف ..

والقى رأسه على الوسادة فى اعياء ، وتهم :

— لا أدري ..

لا .. ليس جسدك

كان ذلك في عام ١٩٤٧ ..

وكنت لا أزال وكيل نيابة بندر السويس ..

وحاصني إشارة بأن امرأة ألفت بنفسها.. من الدور الثاني من مبنى قسم البوليس ، قاصدة الانتحار ، وذلك أثناء أخذ أقوالها لمعرفة الضابط النونشي ..

وانتقلت فوراً الى قسم البوليس ، ودخلت الى غرفة المأمور .. وكنت أعرفه .. انه رجل يحاول أن يطبق شعاره على الطراز الانجليزى ، ويدخن البايب ، ويشرب الويسكى ، ويلوى لسانه عندما يتكلم .. وكان يحكم عنده في السويس متصلاً بالضباط الانجليز .. ضباط الاحتلال .. وزاده اتصاله بهم تقليداً لهم .. واستقبلني المأمور مرتكاً .. ونواتع أن كل ضباط وجنود قسم البوليس كانوا يرتكبون ، فان محاولة امرأة للانتحار أثناء أخذ أقوالها ، معناه الذي يتبادر الى الذهن ، انها تعرضت للتعذيب والاعتداء عليها .. وهي تهمة خطيرة يمكن أن نسب ارقاً لرجال البوليس ، اذا وصلت الى رجال النيابة ..

وكان أشد الصبح ارتباكاً هو الضابط الذى كان يبولى استجواب الفتاة قبل أن تلتقي بنفسها من البافذة .. وهو ضابط من خريجي كلية الحقوق ، لا كلية البوليس .. وكان ضابط الحقوق مهين من زملائهم بأنهم تنقصهم الروح العسكرية ، واصول

السط والربط .. وانهم يحامون القانون الى حد أن يعجزوا عن التعبد به .. فلا يستطيعون أن يحولوا الحناية الى حنحة ، والحنحة الى مخالفة ، كما كانت عادة رجال البوليس عندما .. ولون اقناع الناس باستقبال الأمن ، غشيطون الجنائيات من .. هم ..

وانطلق الضابط فوراً ، وقبل أن أسأله ، يقسم لى أن الفتاة لم تعرض للتعذيب ، وان احدا لم يمد يده عليها ، وأنه كان يحرق لها محضر مشرد عندما موجىء بها تقفز من أمام مكتبه ، وتلقى بنفسها من البافذة ..

وانتقلت الى المستشفى الذى نقلت اليه المنحرة ، وجاء معي المأمور وضابط القسم .. ولدهشنى الشديدة وحدث الفتاة سليمة ، لم يسب الا حدوش بسيطة ، وعلبت انها سقطت من البافذة ، حلت على كوخ من بشارة الخشب ، منحت من الموت وسألتها لماذا .. رأت الانتحار ، فرفضت أن تجيب ، واكتفت بأن قالت :

— أبدا يا سيدى .. زهقانه من دينى !

قلت فى الحاح :

— زهقانه من ايه ؟

قالت وهي تردد :

— من عيشتى ..

قلت :

— بعد ضريك ؟

قالت وهي تدبر رأسها :

— أبدا .. ما حدث ضربنى !

قلت :

— ما حدث ضايقت فى قسم البوليس ؟

قالت :

وهنا استراح وجه المأمور وضباطه ، واعتبروا الموضوع قد انتهى بالنسبة لهم ، وانصرفوا ، وبقيت وحدي مع الفتاة ابخلق في وجهها كائن أحاول أن أنقط سرها من مينيها .. وجه أصغر بحيل ، وعينان مميقتان ، سوادهما داكن ، وبياضهما ناصع ، يختلط بينهما الخوف بالتحدى ..

ولم أكن في حاجة لأن يقول لي أحد انها مومس .. مومس محترمة رخيصة .. إن كل ما فيها يدل على حرفتها .. وقد كنت دائما أشعر بالعطف على المومسات وأعسرهن ظاهرة من ظواهر فساد المجتمع .. وكانت مومسات منطقة القتال في تلك الأيام يجترئن حالة ضنك .. فقد كانت هناك ثورة على الإنجليز ، وأصدرت القيادة أمرا بعدم دخول الجنود إلى مدينة السويس . والبقاء داخل المعسكرات خوفا من الاحتكاك بالاهالي .. وكسدت سوق المومسات .. تعرضن للجوع ، والنؤس ، إلى حد أن علمت أن المرأة منهن كانت مسير بقدميها إلى المعسكرات وتقيم في خيام الجنود أسبوعا أو أسبوعين .. وحدها بين عشرين جنديا .. ثم تخرج بها تجمعهم منهم من نقود .. أن البقاء يسير دائما في أقدام الاحتلال ..

وأثارت هذه الفتاة مزيدا من عطلى ..

كان في مينيها العميقتين ، وعلى وجهها الحيل ، من انعاس النؤس والشقاء ، ما أثار انسايتي وحلزنني إلى انقاذها ..

وأخذتها معي إلى مكتبي ، وبدأت أسالها من جديد .. ويبدو انها اطمانت بعد أن انصرف المأمور وضباطه ، وبعد أن لاحظت أنني أعاملها برقة واحترام ، فبدأت تتكلم .. قالت لي أن هناك ثلاثة من رجال البوليس السري يجارونوها ، وكلها راوها فرضوا عليها

.. نصف ريال .. ريال .. وأحيانا كثيرة لا يكون معها من النقود ، ولكنهم لا يصدقونها ، فيقتضون عليها ، ويوحون اليها بهمة النشرد .. ويلقون بها في السجن أسبوعا أو أسبوعين .. لا تكاد تخرج حتى يلاحقونها مرة ثانية .. وكانت هذه هي العاشرة التي يقتضون عليها فيها .. فلم تطلق .. وقررت أن يخلص من حياتها ، فألقت بنفسها من النافذة ..

وشرت .. وقررت أن أنفذ هذه الفتاة من جنود البوليس الذين يجارونوها .. وكنت أعلم أن ليس من حق رجال البوليس أن يوحوا بهمة النشرد إلى امرأة .. فالتشردت بهمة توجه إلى من كان لا عمل له .. وقد حكمت محكمة النقض بأن المرأة لا عمل لها .. فلا تكون أبدا موضعا للابهام بالنشرد .. ولكن البوليس ليس بتتبع أحكام محكمة النقض .. وحتى لو كان يتبعها ، لم يكن يمس شيئا إذا سجن الفتاة إلى أن تقدم إلى المحاكمة ..

أي لم أنفذ الفتاة فحسب .. بل سأنتقد أيضا أحكام محكمة ..

وسجلت أموالها ، ثم طلبت منها أن تسمى شاهدين .. يمكن شهدا على أن رجال البوليس تعودوا أن يأخذوا منها رشوة .

وعينت شاهدين .. ولكنهما كانا من نفس بيتها .. ليس لهما أن ثابت ، وكان يجب أن الجأ إلى البوليس لاستدعائهما ، البوليس يعلم انها سيكونان شاهدين ضده ، فلن ينفذ طلبات النيابة .. ومرة الأيام ، ومحضر التحقيق ملفوخ إلى حين استدعاء الشاهدين ..

وفي خلال هذه الأيام كانت خطوة تتردد على مكنتي .. ست استدعيلها دائما بشاشة ، واحترام ، وأسألها عن حالها .

وأطمئنتها الى حمايتي لها .. ونشأ بيني وبينها نوع من اللفة ..
أو من الصداقة ، لا تقوم أبدا بين هذا النوع من النساء ووكيل نيابة
مثلئ .. حتى أن عسكري البوليس المعين على بابي كان يدهش
لسماحي لها بالدخول الى مكنتي .. وكان في كل مرة يحاول أن
يمنعها ، وفي كل مرة أنهره وأمره أن يسمح لها بالدخول .. ثم
فقد مرة أعصابه عندما رآها تلنط ملبة الكبريت من على مكنتي ..
وتشعل لي سيجارتي ، فهب في وجهها غحاة كأنه العاصفة ، ولم
ينقذها منه الا أن حلت بينه وبينها ..

ولم أغضب من العسكري الواقف على بابي ، فقد قدرت فيه
غيرته على هيبة رجال النيابة .. ولم أغضب من الفتاة هتوب
حاولت أن تشعل لي سيجارتي ، فقد كنت أحاول أن أعاملها كسيدة ..
لعلني أعيد اليها احترامها لنفسها ..

ثم فجأة أخفقت فطومة .. لا أدري أين ذهبت .. ولكنها
أخفقت .. لم تعد تتردد على مكنتي .. ومع الأيام نسيتها ..
نسيت انقاذ البشرية ..

ونسيت انقاذ احكام محكمة النقض ، واختلطت حياتي بعشرات
من الجرائم والحوادث الجديدة ومثلت من المتهمين والتهمة ..

ثم ، وبعد أربعة شهور .. فقط أربعة شهور .. توجهت الى
دار المحكمة ذات صباح ، ودخلت وأنا لا ألتفت حولي خرسا على
هيبة رجال النيابة .. ولكني وإن لم أكن ألتفت حولي ، فقد كنت
أرى ما حولي .. أراه بخيالي .. أرى المتهمين مكممين تحت سم
الحكمة في انتظار الجلسة واستدعائهم .. وأرى بوقيه المحكمة
على الناحية الشمال .. وأرى مكاتب الكتبة العموميين .. و .. و ..

وصعدت السلم في هيبة ووقار .. ثم فجأة سمعت صوتا ناكحا
يصيح :

— يا مسعادة البيه .. يا مسعادة البيه ..

والفتت .. ورأيت امرأة تجري نحوي ، وعسكري البوليس
يحاول أن يمنعها .. واعتقدت انها امرأة تحمل مظلمة تريد
ترفعها الى فوقفت في أعلى السلم منتصبا ، كتمثال العدالة ..
وعندما رأتني العسكري ، وقد وقفت ، ترك المرأة تجري نحوي ..
صعدت الدرجات الى .. وهي لا تزال تصيح :

— يا مسعادة البيه .. يا مسعادة البيه ..

ونظرت في وجهها ، وأنا لا أزال أنظر المظلمة التي ترفعني
الى ..

ونظرت الى .. وقالت في حياء وتردد :

— ازيك يا مسعادة البيه ..

وتذكرتها .. انها فطومة ..

وابتسمت ابتسامة خفيفة سريعة ، لا يكاد تخرج من بين
شفتي ! ..

ومدت فطومة يدها الى .. لنصافحتني وهي تردد :

— ازيك يا مسعادة البيه ..

وهيمت ان أمد لها يدي .. وفجأة دفعتني احساس اقوى مني
الى أن ألتفت حولي .. ورأيت المتهمين المكممين تحت السلم
يظلمون الى .. في نظرات عجيبة .. ورجال الارلس يظلمون
الى .. وعامل البوقيه واقفا شاغرا فاه ، يتطلع الى .. والكتبة
العموميون يظلمون الى .. وأفراد من الجمهور سطلمون الى ..
كلهم يظلمون .. كأنهم يسطرون شبتا كبيرا رهيبا .. وخفت ..
لا أدري مم خفت ..

وكانت بيدي في منتصف الطريق نحو يد فطومة لنصافحتني ..

وفجأة .. محبتها .. سحبت يدي .. لم اصالح فطومة ،
وادرت لها ظهرى .. وصعدت ..

لقد مرت على هذه الحادثة الآن ، أكثر من عشر سنوات ، وكلاهما
تذكرتها أحسست بشيء يتلوى في صدري .. أحسست بجرح ينفتح
في قلبي وينزف دما ..

لماذا لم اصالح فطومة .. لماذا ، ايها الجبان .. ؟
وأحاول أن اقتنع نفسي بأنى لم اصالحها حرصا على هيبة
النسبة .. ولكنى لا زلت أشعر بالشئ الذى يتلوى في صدري ،
والجرح الذى يفتح وينزف دما ..
لا زلت أشعر بأنى جبان ..

بلا قانون

الأسطى خليل .. يعمل في مصنع صغير لسباكة المعادن ،
مصنع الملامق والشوك والأواني المعدنية .. وهو يعمل بنظام
المخالفة .. أى يقدم لمصاحب المصنع كمية معينة من الانتاج ، نظير
مبلغ معين .. وهذا المبلغ لا يعتبر أجرا ، ولا مرتبا .. ولكنه
مصدر ربحا ..

وكان الأسطى خليل يستخدم — من وطنه — عددا معينا من
العمال ، وهو الذى يختارهم ، وهو الذى يدفع لهم أجورهم من قيمة
المخالفة .. ويختار دائما عمالا من صغار السن ويدفع دائما أجورا
سئيلة ، وكان الأسطى خليل يضرب عماله ..

ويخصم من أجورهم .. ويطردهم بلا انذار ..

لم يكن يهبه قانون ، وواقع انه لم يكن يعرف القانون .. ولم
يتراه .. ولم يضطر يوما أن يذهب الى وزارة الشؤون أو الى أى
جهة تطالبه بأن يعرف القانون .. ولم يكن الأسطى خليل يحس
بمسئولته على عماله .. لم يكن يعتقد أنه قاس .. بالعكس .. كان
حبيب العمال .. محبهم لمعلا .. وكان يعتقد أنه يضربهم لأنه يحبهم
ويخصم من مرتباتهم لأنه يحبهم .. ويطردهم لأنه يحبهم ، أنه
يحبهم ، كما كان رئيسة يحبه وهو عامل صغير .. وكان رئيسه
يضربه ، ويخصم من أجره ، وكان يراه يطرد العامل الكسول
المهمل ليحس بقية العمال من كسله واهماله .. وقد أصبح الأسطى

خليل عاملا كبيرا .. امهر عمال صناعته .. واصبح يعمل بالمقاولة ، ويستأجر من باطنه عددا من العمال .. وهو لا يزال يعتقد أن سر نجاحه هو الصناعات والشلايت التي كانت تنهال عليه وهو عامل صغير .. ثم خوفه من خصم جزء من أجره .. وخوفه من أن يطرد .. هذا الخوف هو الذي جعل منه عاملا ماهرا .. وهو يريد كل مهاله أن يخافوه .. أن يخافوا الضرب ، والخصم ، والطرد ، حتى يصبحوا مثله مهلا مهرة ..

وكان العمال يخافون الأسطى خليل فعلا .. وكانوا يحسونه .. حبا يغلب عليه الاحترام ..

والأسطى خليل واثق من حب مهاله له .. هذا الحب الذي يغلب عليه الاحترام .. لأنه هو أيضا .. وهو عامل صغير .. كان بحب رئيسه وبحترمه ..

ثم .. صدرت القوانين العمالية الجديدة ..

وأهمت الشركة التي تملك مصنع سبلكة المعادن ..

ولم يفهم الأسطى القوانين الجديدة فهما عاما .. ظل في حيرة منها ، كان بينه وبينها ضبابا .. ولم يكتشف الأسطى خليل لماذا لم يستطع فهم هذه القوانين .. أن كل العمال يفهمونها ويهللون لها .. وهو عامل .. طول عمره عامل .. فلماذا لا يفهمها ، ولماذا لا يفرح بها ..

لم يستطع الأسطى خليل أن يتدبر أنه ليس مجرد عامل .. أنه أسطى .. والأسطوات يمثلون طبقة خاصة داخل مجتمع العمال .. وهو أيضا ليس مجرد أسطى ، ولكنه أسطى مقاول .. فهو يمثل طبقة أخرى في مجتمع الأسطوات .. وأنه لهذا .. لم يستطع أن يفهم القوانين العمالية الجديدة فهما تاما ، ولم يستطع أن يفرح كما يفرح كل العمال ، كما أنه لم يستطع أن يسخط عليها كما

يسخط أصحاب الشركات .. أنه يعيش وقدماه في أرض العمال ، ورأسه تطل من نافذة رأس المال ..

وكل ما فهمه الأسطى خليل أن المدير الجديد للشركة — بعد أن أهدت — إداه ، وعرض عليه أن يعمل بمرتب شهري ، بدل أن كان يعمل بالمقاولة ..

وابتسم الأسطى خليل ..

إن أصحاب الشركة السابقين عرضوا عليه مثل هذا العرض برفضه .. رفضه بشدة .. أنه لو قبل العمل بمرتب فمعنى هذا أن العمال الذين يعملون معه يصبحون تابعين للشركة .. ويصبح من حق مدير الشركة أن يتدخل في شؤونهم ، وأن يشرف عليهم .. كما مسح من حق المدير أن يشرف على العمل نفسه ومعنى هذا أنه — أي الأسطى خليل — يشدد من قبضة الشركة على عنته ، ويسلبها سرار العمل ، فتستطيع أن تتحكم فيه .. وأن تستغني عنه يوما .. لا .. له لا يقتل أن يمتد حريقه في عمله إلى هذا الحد .. لا يقبل أن يصبح أكثر حاجة إلى الشركة ، من حاجة الشركة إليه .. ولا يقتل بعد هذا العمر الطويل والشقاء الطويل ، أن يعود لئذلا كلما احتاج إلى علوة أو إجازة ..

كان هذا هو موقف الأسطى خليل قبل التأميم ..

ولكنه يحس الآن وهو يحدث المدير الجديد بشيء تغير .. دست القوانين التي تغيرت .. ولكن وضع المدير الذي يحدثه .. أن هذا المدير الجديد لا يمكن أن يكون له مصلحة خاصة في العرض الذي يعرضه عليه .. كما أنه لم يعد هناك أصحاب للشركة يمكن أن ينعهدوا السيطرة عليه ، واستغلاله .. أنه يحس بأن العرض الذي يعرضه عليه المدير الجديد له مفهوم جديد ، ورنه حديدة .. لا تشره ، ولا تجعله يخاف على مستقبله ..

وكان هذا هو أول ما فهمه الأسطى خليل من الوضع الجديد
وقتل العرمى ..

ولكن .. المرتب لا يجب أن يقل عن الربح الذى كان يخرج .
من نظام المقاوله .. هذا حقه .. لقد وصل الى مستوى معين .
يعرفه وكده .. ويجب أن يبقى فى هذا المستوى .. ان القوانين
الجديدة والأوضاع الجديدة لا يمكن أن تأخذ منه شيئاً .. لا يمكن
أن تتسبب فى الهبوط بمستواه .. انه ليس اقطاعياً ، ولا رأسمالياً
.. انه عامل يعمل ببديه مع بقية عماله .. كل قرش يكسبه بجدهه .
ولأخذ يساوم المدير على مرتبه .. فى حدة ..

وقدر له المدير قيمة المرتب ، وأخذ يعدد له المزايا التى تمنحها
له القوانين الجديدة .. تخفيض ساعات العمل .. الاشتراك فى
الربح .. التأمينات الاجتماعية .. العلاوات .. و .. وفهم الأسطى
خليل القوانين أكثر .. واتفق على المرتب .

وعندما عاد الى عماله .. أحس أنه قريب منهم أكثر .. أحس
بفرحتهم .. وفرح معهم .. ولكن .. المدير الحديد يصمم على
الاستغناء عن العمال الصغار الذين تقل أعمارهم عن خمسة عشر
عاماً .. لماذا ؟ القانون ..

ولكن كيف نخلق العمال المهنيين إذا لم نبدأ فى تدريبهم منذ
سن السابعة .. انه هو نفسه بدأ العمل وهو فى السابعة .. بدأ
يكسب بلاط المصنع .. والأسطى يضربه على قفاه .. ثم ارتفع
درجة فبدأ يقف بجانب الأسطى يناوله معدات العمل .. وينزل القطع
المصنوعة من مكان الى مكان .. والأسطى يضربه أيضاً على قفاه
و .. و .. وهكذا أصبح عاملاً ماهراً ..

ولكن ، يا أسطى خليل .. ان العمال الصغار صحتهم لا تحتل
.. ثم انهم يأخذون رزق مهال كبار أحوج منهم الى الرزق ..

وصرخ الأسطى خليل :

— العمال محنهم رزى البلب .. دول بياكلوا الحديد .. والكبار
.. بين شغل والحديد .. المهم اننا نطلع مهال جداد .. حيطلوعوا
ى اذا ما اتعلوش من صغرههم .
واتقسم المدير :

— يتعلموا فى المدارس .. وفى مراكز التدريب .

وهز الأسطى خليل كتفيه :

— ابقى قايلى ..

ولم يقتنع الأسطى خليل تماماً ، بعدم تشغيل الأطفال .. لم
يقتنع بأن المدارس ومراكز التدريب يمكن أن تخرج عاملاً صالحاً ..
.. بل .. بل .. نشوف !
وعاد الى عمله ..

وشئ لم يفقده أبداً الأسطى خليل .. غيرته على العمل ..
العمل بالنسبة له هو كرامته ، وهو شرفه ، وهو متعته .. وهو
عد التأجيل ، كما كان قبل التأجيل لا يهدأ .. لا يضيع دقيقة واحدة
وقت العمل فى غير العمل .. وهو يريد من كل عامل معه أن
.. مثله .. ولكن العمال يتهاونون .. ويتكاسلون .. ويتحركون
بهم يتمشون فى شارع ٢٣ يونيو ..

ويصرخ الأسطى خليل :

— يا واد اتحرك .. ده اتا لما كنت فى سنك كنت باخذ ثلاثة
ساع فى اليوم .. وانت دلوقت بتطلع بعشرين قرش .. اتحرك ..
ويسبح العمال صوته فيتحركون ، ثم لا يلبث كل منهم أن يعود
الى تنهائه وتكاسله .. وفى مرة رفع الأسطى خليل كله ليضع
أحد العمال ، وأمسك العامل باليد التى تحاول أن تصفعه ، وقال
فى هدوء :

— بلاش الحاجات دى يا اسطى .. ما يصحش ..

وجن الاسطى .. وصرخ فى العامل :

— اطلع بره .. انت مالكش شغل معايا ..

هلكن ..

ممنوع الرفت .. وممنوع الضرب ايضا ..

وصرح الاسطى :

— امال حاششغلهم ازاي .. دول حراميه .. بيسرقوا مال

الحكومه .. اللى ما يشتعلش ويقبض يوميته ، بيتى حرامى ..

يبقى بيسرق .. لازم يتربى .

وجاء الرد :

— بالقانون !

وبدا الاسطى خليل يدرس القانون ..

ولم يقبل على فهم القوانين ليعاقب بها العمال .. ولكن لانه

خشى على نفسه .. خشى ان يستمر تهاون العمال دون ان يكون

هناك رادع لنهاوهم فتكون النتيجة ان يباس من تشغيلهم .. ويباس

من العمل نفسه ، فيشاركهم فى نهاوهم .. يصح هو الآخر عامل

متهاونا .. ويفتد شرفة وكرايته .. ويفتد ايضا متعته الكرى .

منعنه الذى يعيش بها ولها .. معه العمل .. ووحده الاسطى خليل

فى القانون علاج لكل حالة .. القانون يعالج العامل المتهاون ..

محالعه بالخضم من مرتبه .. وبالطرد .. و .. و .. و

الاسطى خليل ان يطبق القانون .. وطبقه فعلا .. وعرف بقسوته

بين العمال ..

وقد كان دائما معروفا بقسوته ، ولكنه كان يحس بان العمال

يجبونه رغم قسوته .. ولكنه الآن لا يحس بحبهم .. انه يحس

كانهم يكرهونه .. ويدسون له عند المدير .. ويكثون ضده

التقارير .. و .. و .. لا يهم .

لكرهه العمال .. المهم ..

هو الا ينسبر على تهاونهم ، ولا يشاركهم فيه .. ولكن ..

القانون يسمح ايضا منحه المكافآت للعامل الجاد المنتج ..

وبدا الاسطى خليل يطلب مكافآت للعمال المجدين .. ولكنه

سنيئا .. وكان لا يترك لِعواطفه ان تقوده وهو يطلب مكافأة

العمال .. عواطفه ليس لها دخل فى عمله وليس لِعواطفه ان

.. وهو يطلب مكافأة لأحد العمال عامل منتج وعامل غير منتج .

وهو لا يزال يحس ان العمال يكرهونه ..

وانتهى به هذا الاحساس الى ان يصبح انسانا كسرا .. فقد

سأله .. وفقد ضحكته العالية .. وفقد مرحه .. أصبح وهو

العمل محطب الحاجبين دائما ، غاذا عاد الى بيته أحس انه

وحيد وصدره ضيق . واعماله متويرة .. يشحط في

.. ويشحط فى أولاده .. ثم يحس برغبة فى البكاء .. واحتسب

.. هذا ..

بكل ما يعوضه ، هو ان انتاج القسم الذى يشرف عليه ، هو

.. 'ساح بين جميع الأقسام وان' عماله معروفون فى جميع

المؤسسات بأنهم أكثر العمال نظاما ودقة فى الانتاج ..

ومر عام .. وجرت انتخابات داخل المصنع ، لانتخاب مندوب

.. مال فى مجلس الادارة . ولم يرشح الاسطى خليل نفسه .

انه يعرف ان العمال لا يحبونه ، ولا يريدون اسطى مثله يمثلهم

بمجلس الادارة . انهم يريدون اسطى ينسبر على تهاونهم .

خضع لنزولهم ولا يحاسبهم على انتاجهم .

وجاء بعض العمال يرجونه ان يرشح نفسه ..

لا .. هؤلاء المنافقون ، انهم يحاولون التقرب اليه حتى يتهاون

بهم . او لعلهم يريدون ان يخدعوه .. ان يكيّدوا له .. يرجونه

أن يرشح نفسه حتى إذا قيل تخلوا عنه وتركوه يسقط ليمضوه
 أمام بقية الأسطوات وإمام مديري الشركة .
 لا .. أنه أعقل وأكثر حذرا مما يظنون ..
 وجهت الانتخابات .. و ..
 فاز الأسطى خليل .. فاز رغم أنه لم يرشح نفسه .. ولم
 يصدق ..

والتف حولة الصبال يهنئونه .. ويتسمون .. أنهم يحبونه .
 لم يكن يعلم أنهم يحبونه إلى هذا الحد .. وأغرورقت عينها
 الأسطى خليل بالدموع .. وابتنس .. لقد أوحشته ابتسامته ..

المنافسة

سنت تروح وتحيى في فرمتها بقميص النوم ، وشسعرها
 مهمل فوق حسنها ، وحاجبها معقدان فوق عينيها وشسفاها
 مر ومان ، وتفسط بأصابعها فوق ذراعيها ، كأنها تحاول أن
 يهيق الدم في عروقها ..

ثم فجأة توقفت .. وبحثت في دولابها عن ورق وقلم ، وجالست
 فوق سريرها وأسندت ظهرها إلى الحائط ، ثم حذيت الكنب
 المرسوم تحت الوسادة ، وأسندته إلى ركنيتها ، ووضعت فوقه
 الورقة ، وبدأت تكتب .. بلا تردد ، ودون أن تتوقف لاختار
 الكلمات .. أن الكلمات تتدفق من تحت طرف القلم ، كأنها كانت
 حبرنها من زمن طويل .. تختزنها لهذه اللحظة ..

« عزيزي .. »

« مضى على أسبوع وأنا لا أخرج من غرفتي .. وأفكر .. وأفكر ..
 ولم أكن أفكر فيك ، إنما كنت أفكر في نفسي .. ربما لأنك لست
 .. كلتي .. ولكن مشكلتي هي نفسي .. نفسي التي أحبتك .. هل
 حشنة أحبتك ؟ .. كل هذه السفالة وأحبك ؟ ! كل هذا الخداع
 وأحبك ؟ ! كل هذه الأنانية والنذالة والكذب .. وأحبك ؟ .. »

« مستحيل .. مستحيل أن أحب إنسانا بملك .. وقد أكون
 مدورة في حبي ، لو لم أكن أعرف أنك سامل ، كذاب ، محرم ..
 لشي أعرف .. فما هو عذري .. كيف أبرر هذا الحب أمام

نفسى .. هل الوبك .. هل أعانتك .. لا .. انك لا تستحق لوما
ولا عسبا .. بل ليس من حتى أن الوبك .. انت حر .. حر فى
سفالنك .. انما من يستحق اللوم هو أنا .. نفسى .. نفسى التى
أحبك ..

« ولكنى لا أستطيع أن اصدق انى احببك .. انى دهشه ..
صدقنى .. ان كل ما احس به هو الدهشة وقد قادنى الدهشة الى
أن أبحث فى أعماق نفسى عن سر هذا الحب .. حتى لك ..
وأكتشفت فى نفسى اشياء زادنى دهشة ..

« لقد رايت نفسى وأنا فى الرابعة عشرة من عمرى طالبة فى
مدرسة اللبسيه .. وقد بدأت فى هذا العمر أرسم أعلامى .. وكانت
أعلامى دائما تدور حول شاب طويل ، أسمر ، يركب سيارة
« ثندريد » بيضاء .. يقودها بسرعة مائة وعشرين كيلو فى
الساعة .. وأنا جالسة بجانبه ، وشعرى يطير فى الهواء ..
ويأخذنى الى قصر فى شارع الهرم ، او فى المعادى ..

ويعرفنى بأبه .. سيدة رائعة بضاء .. ولا أدري لماذا كنت اصر
على أن يكون انها أسمر .. وكنت أراها فى أعلامى ترتدى دائما
ثوباً أسود ، وحول عنقها عقد من اللؤلؤ خمسة أفرع ، وفى
أصبعها ثلاثة خواتم .. فى كل منها نص كبير من الماس .. وأتقدم
اليها .. فتأخذنى فى أحضانها وتقبلنى ، ثم تخلع من أصبعها أحد
الخواتم الثلاثة ، وتضعه فى أصبعى .. ثم انسحب من أمامها ..
ويأخذنى الشاب الطويل فى سيارته « الثندريد » ، لتتناول
الشاي فى نادى الجزيرة .. وينظر بنات النادى الى الخاتم فى
أصبعى ، وإلى الشاب الذى يصحبنى ، ويشبهن .. لم أكن احلم
بطلات الرجال ، ولكنى كنت احلم بنظرات البنسات .. وأرى
الشبهة والحسد فى عيونهن ، فأفرح بحلمى ..

« وقد عاش معى هذا الحلم حتى بلغت السادسة عشرة ،
أحبك .. أنت .. الشاب الطويل الذى يملك سيارة « ثندريد »
.. ! ..

« وأحببتك !!

« لم أتردد .. ولم يكلفنى حبك سوى نظرة واحدة اليك ، وإلى
سيارتك .. واندمعت منك .. اندفعت لأرسم بقية حلمى ..
سعرفى بأبك حتى تضع فى أصبعى خاتمها الماسى .. ولكن أباك
ثبت فى آخر طريق طويل .. طريق مزروع بسفالك ، وبكذبك ،
حداك .. طريق لا أستطيع أن أبقى فيه أكثر مما مشيت ..

« وبدأت أتعذب .. أتعذب بحبك .. ثم بدأت أسأل نفسى عن
هذا الحب .. وأبحث فى أعماقى عن جذوره ..

« وأخيرا عرفت .. عرفت انى لا احبك .. ولم احبك أبدا ..

« لقد كنت أحب سيارتك .. وكنت أحب اسم عتلك .. وكنت
حب ثراكم .. وأحب المجتمع الذى تعيش فيه ..

« انى لا احبك انت .. لو لم تكن تلك سيارة لما أحببتك ..
لو كان اسمك أحمد محمد ، لا حسام شرف الدين ، لما احببتك ..
لو لم تكن من أعضاء نادى الجزيرة لما احببتك .. ولم يكن حتى
اك الا نفاقا ..

« لم أنافقك انت .. ولكنى كنت أنافق نفسى .. فانى لم أكن
سطيع أن أواجه نفسى بأنى أحب السيارات او انى أحب الثراء ..
فصغت نفسى بأنى احبك انت .. أحب فيك الانسان .. لا السيارة
لا الثراء .. وصميت على هذه الكذبة الكبرى ، حتى صدقتها ..
اقتنعت بها .. وآمنت فعلا بأنى احبك .. وتعذبت ..

« هل فهمتلى .. لقد أسميت طموحى ، حبا ..

« أسميت الجشع ، حيا .. أسميت النظاهر ، حيا ..

« وأنا التى خُذمتك .. خُذمتك عندما خُذعت نفسى .. (١٤)
السافلة ، المجرمة .. المنافقة !

« أنى اعترف لك الآن بأنى لا احبك .. ولم احبك ..

« وهو اعتراف يريحنى .. اعتراف ليس لك فحسب ، ولكنه
أولا اعتراف أمام نفسى .. انى أستطيع الآن أن أنام مطمئنة وأ..
واثقة من أن نفسى لا يمكن أن تحب انسانا سافلا مثلك .. نفسى
ليست من الضعف والمهانة الى هذا الحد .. كل ما هنالك انى
ضحكت عليها .. ضحكت على نفسى ، وخُذمتها ، يوم اقنعتها بأنى
احبك .. لا .. انى أستطيع الآن أن اضربك بالشلوط .. أن
أخرجك من حياتى بكل فساد .. وإن كنت أريد سيارة ، فأصحاب
السيارات كثيرون .. على قفا من يشيل .. وإن كنت أريد اسم
كبيراً ، فأصحاب الأسماء الكبيرة أصبحوا يناعون فى شؤون
الكائنات .. وإن كنت أريد عضواً فى نادى الحزيرة ، فأعضاء
الننادى متلوعون كثيرون كالأحذية فى مغرينات شارع قصر النيل .
لا يكلفنى الواحد منهم إلا أن اتسمه على قدمه ..

« وداعا .. وداعا أيها السافل .. والحمد لله ..

انى قد اكون خسرت صفقة تجارية ولكنى لم أخسر قلبى ..
و ..

★★★

وتوقفت عن الكتابة ..

وأعادت ما قرأته ..

وتعقد حاجباها مرة ثانية ، وُزمت شفتيها ، واخذت تنثر
بالقلم والورق نقرات عصبية ، وراحت فى تفكير عميق ..

وفجأة خرجت من تفكيرها ، ومزقت الخطاب الذى كسبه ، ثم
میزت من فوق السرير ، واندفعت نحو التليفون ، وادارت رقبا .
ثم قالت فى صوت رقيق وهى ترسم ابتسامة فوق شفتيها :
— حسام موجود من فضلك !!

رجل أعلن إسلامه

إن في القاهرة ثلاثة ملايين قصة .. وأكثر .. إن كل انسان يمر بك هو قصة .. قصة تختفى خلف وجهه .. ماذا ما استطعت أن تطل خلف هذا الوجه ، رأيت حياة عجيبة .. حياة لا تخطر بالبالك .. حياة لم تكن تعتقد أنها تعيش في القاهرة .. ونذهل !
وأنا اذهل كلما سمعت قصة عجيبة تعيش في المدينة التي اعيش فيها .. ويبدو انى سأقضى صبرى كله مذهولا .. فانى مهما عشت لن أستطيع أن استمع الى خمسة ملايين قصة .. سنتنى دائما قصة لم اسمعها بعد ..

وهذه قصة جاعتنى في خطاب من الدائمرك ..
صاحب الخطاب جندى من جنود البوليس الدولى .. والنفقة التي تشاركه قصته اعرفها .. ولكنى لم اكن اعرف أبدا — ولا اتخيل — أنها تخفى خلف وجهها هذه الحياة ..
واقراوا معى هذا الخطاب ..

أحببت القاهرة .. أنها مدينة تأخذ القلب .. وقد عشت فيها وقلبي مأخوذ ، أسير في أحيائها كانى أسير في مدينة مسحورة بنيت فوق السحاب .. كل أيامى فيها كانت أشبه بالخيال .. ثم افقت من خيالى يوما لاكتشف أن قلبي سقط منى .. سقط في يد متاع من القاهرة ..

ولم يكن حبنى مجرد خيال انسقت فيه .. أحببتها .. لم أحبهها

سأتح .. لم أحبها كخامير .. لم اخضع للنزوة أثارها الحرقى المثير الذى احاطتنى به القاهرة .. لا لقد أحببتها بعقلنى .. بكل وعيى .. أحببتها كاتى عشت معها الصبر كله ، كأنها ناز من الدائمرك ، أو كاتى شأب من القاهرة ..

ونسل الحب في بساطة .. دون أن ادري انه الحب ..

التقينا في حفلة ، وقدمها لى زميلى في فرقنى ، كانت له صديقه يعرفها .. وقصينا المساء كله نتحدث .. حديثا عاديا مبهيا .. ثم التقينا نحن الأربعة — زميلى وصديقه ، وهى وأنا — في اليوم التالى .. وفي اليوم الذى يليه التقينا وحدنا ، ورحنا مطوف بمعالم القاهرة ، والحديث بيننا لا ينقطع .. حديث طويل يمكن أن يستمر العمر كله .. ولا أذكر عما كنا نتحدث ولكنها متعة .. أكثر ثقافة من اى بنت في الدائمرك .. وكان حديثا كله قاصه ..

وقصينا بعد ذلك أسسوما نلتقى فيه كل يوم .. وقدمتنى الى عائلتها .. عائلة بسيطة طيبة .. كنت اشعر وأنا جالس بين مرادها كان الدنيا كلها حلوة آمنة ، ليس فيها مشاكل ، ولا حروب .. ثم ..

انتهت اجازتى وعدت الى فرقنى العسكرية في غزة .. وتركت حبيبتى .. تركتها دون أن نبادل كلمة حب .. بل دون أن انتبه لى انى أحبها ..

وهناك .. وسط الحنود ، ووسط الصحراء .. بدأت استعيد ايامى معها ، ثم وجدت نفسى أسير هذه الايام .. لا أستطيع ان احلحر منها ، ولا أستطيع أن افكر في غيرها .. لم يعد لى يوم أذكره واعيش فيه الا يوم قضيتها معها ..

وحاولت أن انسى .. حاولت أن أقنع نفسى انه لم يكن بينى

وبينها سوى صداقة دفعني اليها غربتي عن بلدي وعن اهلي ...
حاولت كثيرا .. ولكني لم استطع .. وعرفت .. عرفت اني
احبها ..

وبلغت بي لهفة الحب الى حد ان قررت من فرقتي .. قررت
من واجى كجندى .. وعدت الى القاهرة .. اليها ..

ولم احاول الاختفاء في القاهرة .. بل اني لم احس باحساس
الجندى الهارب حتى اخطى .. كل ما كنت احس به اني اريد ان
اراه ، وان ابقي معها ..

والثقتي .. وبدأ حديثا الطويل ينقطع ، وكل منا ينظر الى
الآخر ، كأنه حائر فيه .. حائر في عواطفه نحوه ..

وبدأت بدى تلبس يدها لمسات سريعة ، تحتفض يدها في
يدي ، ويكتسى وجهها بلون الورد ..

هل هي تحبني ؟

لا ادري .. لا ادري ولا استطيع ان اعيش معها العمر كله ،
وانا لا ادري .. فكان يجب ان اسألها .. ولكن أخاف ان أسألها ..
أخاف من جوابها ..

وبدأت أحدثها عن حياتي الخاصة ، التي لم اكن قد حدثتها بها
من قبل ..

قلت لها اني متزوج .. فلم يبد على وجهها الذعر ولا الهلع .
وقلت لها اني اب لاربعة اولاد اكبرهم في العاشرة من عمره .
فابتسمت في حنان ..

وقلت لها اني منفصل عن زوجتي رغم اننا لم نطلق ..
مدهشت .. ولكني شرحت لها حياتنا في الدانبرك .. ان كثيرين
من الأرواح منفصلون عن زوجاتهم دون طلاق .. كل منهم له حياته
الخاصة ..

وصدقني .. ثم قلت لها اني احبها ..

وترددت قليلا ، ثم ابتسمت وقالت :

— اني سعيدة بحبك لي ..

ولم انهم ما تعنيه .. ولم تحاول هي ان تعينني على العمم ..
وأخيرا قلت لها :

— اني أريدك زوجة ..

وتعقد جبينها كأنها غضبت ، ثم قالت :

— انك لم تعلم مدى حاجتك الى الزواج بي ، الا بعد ان تطمين
على مصير اولادك من زوجك ..

وسكنت .. سكنت دون ان ادري اذا كانت موافقة على الزواج
لم ليست موافقة .. وكل هذا حدث خلال شهرين عشتها معها في
القاهرة ، هاربا من فرقتي .. ثم قررت ان اعود الى الفرقة لأسعى
الى العودة الى بلدي ، حتى اقرر مصير زوجتي وأولادي ، ثم اعود
الى حبيبتي ..

وسافرت الى غزة ..

وهناك اكتشفت ان فرقتي قد غادرت غزة ورحلت الى
الدانبرك ..

واكتشفت اكثر من ذلك ..

اكتشفت ان القيادة العسكرية ، بعد ان عجز السوايس الحرس
من العثور على ، اعتبرتني مفقودا .. كأنني قتلت .. مت ..

وعندما اكتشفت القيادة أنني لا زلت على قيد الحياة قبضوا
علي .. أدخلوني السجن باعتباري جنديا هاربا ، ثم أرسلوني
الى الدانبرك للاحكام هناك ..

وعندما وصلت الى بلدي ، عرفت ان زوجتي قد بدأت في اتخاذ

اجراءات الطلاق باعتبارى مفقود ، وبدأت تطالب باسم اولادى ..
بالمكافأة التى بصرفها الجيش للمفقودين من الجنود ..

وخاب امل زوجتى عندما رأتنى أمامها .. لا زلت حيا ..
ولكنى طمأنتها ورجوتها ان تعتبرنى مينا وساعدتها على اجراءات
الطلاق ، وتعهدت لها بما يكفيها ، ويكفى اولادى العبر كله ..

وقدمت الى المحاكمة .. وحكم على بالسجن سنة .. انا
الجندي الهارب ..

اتدرى ماذا قال المحامى دفاعا عنى وهو يلتمس الى البراءة
.. قال انى وقعت اسير سحر القاهرة ، الى حد انى نسيت
واجبى ..

المهم .. لقد قضيت العام فى السجن وأنا أحاول ان أنسى
حببتى .. وأنسى القاهرة .. لم ارسل لها اى خطاب خلال هذا
العام .. ولكن .. أتدرى ماذا كنت افعل ، وأنا انتظر بمحاولة
النسيان ؟ كنت أدرس الدين الاسلامى !!

قرأت القرآن كله .. مترجما .. وقرأت كل ما وصل الى يدي
من شروح الاسلام .. وكنت أحسن وأنا أدرس الاسلام بانى اكتشف
دنيا جديدة .. أحسنت كائن لم أبدا حياتى بعد .. كائن اولد من
حديد .. وأحسنت بقوة .. قوة الإقبال على حياة لم أعشها بعد
.. حياة مريضة لامال كار ..

وخرجت من السجن .. خرجت وأنا أكثر لهفة على حببتى ..
انى أريدها .. أريدها ليهدأ قانى بعد هذا القلق الطويل الذى
عشت فيه .. أريدها لتقف بجانبى فى الدنيا الجديدة .. لتشاركنى
آمالى الكبار ..

وارسلت لها خطابا طويلا .. قلت لها انى مستعد ان اعتنق
الدين الاسلامى ، اذا وافقت على الزواج .. وقلت لها كل ما تريد
سأة ان تعرفه عن الرجل الذى تتزوجه .. عائلتى .. ووثوقى ..

وشهادتى .. و .. و .. ثم قلت لها اننى بعد ان اعتنق الإسلام
لن أستطيع ان أعيش فى الدانمرك .. ان فى بلادى موجة من
العصب سىغلنى فى وجهى أبواب الرزق .. ولكنى مستعد ان أترك
بلدى وأعيش معها مسلما فى أى مكان من الأرض .. وأتظنرت
.. دها ..

اتدرى بماذا ردت على ؟ ..

قالت لى فى خطاب قصير : « الدين ايمان ، وليس مجرد اجراء
من اجراءات الزواج » ! هذا كل ما قلته لى ، وفسرته فى عدة
سطور ..

لم تقل انها قبلت الزواج فى .. ولم تقل انها ترفض الزواج
فى .. وحننت ..

انها دائما هكذا .. غامضة غموض برق .. تضع رايها فى
حمل فلسفية متورة كأنها تختبر ذكائى .. كانت تعذبنى ..

وارسلت لها خطانا غامضا ثائرا ، اطلبها فيه بان تعلن رايها
بصرحة .. هل تريدنى زوجا ، أم لا تريدنى زوجا .. وجاء
ردھا ..

رد قصير .. أكثر صراحة ، ولكنه لا يخلو من أسلوبها
الغامض ، وعقليتها المتفلسفة ..

قالت لى :

« ان أولادك الأربعة أولى بك منى ، وأولى بك من نفسك » !!
ولهبت انها ترفض .. وتملكنى ثورة عليها .. لكن ، لماذا
تثور عليها ؟

انها لم تخدعنى .. وفى كل أحاديثنا الطويلة لم تقل لى مرة
انها تحببى .. ولم تعطينى حقا تعطيه فتاة لحبيبها ..
ربما كان كل خطئها انها تركنى احبا ..

لا .. ليس لها ذنب .. انها فتاة رائعة .. فاضلة .. انها
غير البينات ..

وكنيت ثورنى ، واغلقت قلبى على حبها ..
اتدرى ماذا فعلت بعد ذلك ؟

اعتنقت الاسلام .. امتنقته بلا شين .. وبلا منفعة خاصة ..
امتنقته لا كاجراء شكلى ، ولكن كنيهان .. وهاجرت من بلدى ..
احمل اسمى واضرب فى الارض .. ولكنى لن اعود الى
القاهرة .

بنيت تكتب الخطابات

جائنى هذا الاسبوع خطاب يحيل طوايع بريد هولندية ..
وامسكت بالخطاب .. ونظرت الى الخط المكتوب به اسمى
وعنوانى .. وابتنسيت .. ثم القيته فى درج مكنتى دون ان
متحه .

وفى افراح مكنتى اكثر من مائة خطاب كلها تحمل نفس طوايع
ليريد .. وكلها تحمل نفس الخط .. كلها لم افصحها ..
الى اعين من اين تجيء هذه الخطابات ..

انها من فتاة هولندية اسمها « مونجى » .. والاسم له نطق ..
يردب لا يحمله الحروف العربية : واقرب الحروف اليه هي
« مونجى » !

وقد التقيت بها فى باريس عام ١٩٤٦ ، اى مد حمسه عشر
سما .. وكنت ازور متحف اللوفر الاول مرة ، واقف مشدوها امام
ل صورة وتمثال .. كانت المرة الاولى التى التقى فيها بهذه
الأنوحات والمناهل العالمية التى عشت طويلا اسمع بها .. وكنت
بذننى تحت كل لوحة احاول ان اقرا البيانات المكتوبة عنها ..
اكر لعمى الفرنسية كانت تفذلنى ، فلا استطيع ان اقرا شيئا ..
ووقعت امام لوحة رائعة للرسم ريمراند .. ان لوحات
ريمراند تاخذنى .. فاخذ كل اعصابى وتذيقها من هذه اللؤلؤ
لغامقة الداكنة التى اشتهر بها ..
وعرمت ان اللوحة للرسم ريمراند .. ولكنى لم استطع ان

اقرأ اسم اللوحة .. وفئة تقف بجانبى تتطلع الى لوحة اخرى ،
شعراء .. شعرا يميل الى لون الفضة .. هذا اللون الذى تتميز
به بذات الشمال .. وصغيرة .. ولعلها فى الثامنة عشرة من
عمرها .. وليست جميلة .. وجهها اشبه بلوحة تنقصها بضعة
خطوط حتى تستكمل جمالها ..

التفت اليها وقلت بلهجة أمرة لم أتمدها ، انها دفعنى اليها
اعجاسى بلوحة رمبراند :

— ما اسم هذه اللوحة يا آنسة ؟

وبسرة اقتربت الفتاة منى ، واخذت تحدثنى عن اللوحة ومن
رمبراند ، بلهجة انجليزية سليمة ، تكلمت كثيرا كأنها تلقى محاضرة
حفظتها عن ظهر قلب .. واسفدت من المحاضرة التى ألقاها ..
استفدت الى حد انى رجوتها ان تصحبنى فى الطواف ببقية
معروضات المتحف .. وقلت ..

ثم دعوتها لتناول العشاء .. فرفضت الحقيبة التى تتناولها فى
يدها امام عيني ، وقالت :

— ان معى غدائى ..

وانتهت الى حقيبةها لأول مرة .. انها حقيبة غريبة من خيوط
الشباك ، تسطيع ان ترى ما بداخلها .. وفى داخلها اشياء غريبة
.. رغيف كبير من الخبز وحذاء اسود ، وكتاب ، ومعطف واقي
للحمار !

وقلت وانا اضحك واشير انى رغيف العيش :

— اذن .. ادعنى انت الى الغداء ..

ولم تضحك .. انها قالت بحزم :

— آسفة .. ان ما معى يكفينى وحدى !

قلت :

— اذن دعيتى اشترى غدائى .. ثم تجلس سويا .. كل منا
بتناول ما معه ..

وقلت ..

وجلسنا فى مقهى صغير ، وظلت لنفسها فنجالا من القهوة ..
بحثت رغبة العيش من حقيبتها واخذت تقصم فيه ..

ولم يكن فى باريس فى ذلك العام — بعد انتهاء الحرب مباشرة
سكر .. وكانت المقاهى تقدم مع فناجيل القهوة والشاي ، حبوب
اسكارين .. وكنت أحبل فى جيبى دائما قطعة من السكر أحضرها
من مصر .. فأخذت قطعة ، واسقطتها فى فنجالها ..
وسرحت فى دهشة :

— سكر !

ثم أسرع وتقطعت باللمعة قطعة السكر التى اسقطتها فى
.. لها .. وقالت :

— خسارة انه نذيتها مع القهوة ..

ثم رشيقت قطعة السكر فى فمها ، وأخذت نذيتها تحت
اها ، وفى عينيها فرحة كفرحة الأطفال ، وعلى وجهها راحة
التفت محيرت كانت فى شوق اليه ..

ثم قالت وهى تنظر الى مبهورة كاتى رجل عجيب :

— من اين جئت بهذا السكر ؟

قلت :

— من مصر ..

وسكنت قليلا ، ثم تقطب جبينها ، واكتهرت حينها وقالت كأنها
.. دت نفسها :

— انكم لم تدخلوا الحرب !

قلت : لقد شاهدناها من قرب ..

عالت كأنها لم تسمعنى :

— لقد كنتم تاكلون السكر كل هذه السنوات ؟ !

قلت : اننا نزرع القصب ، والسكر يصنع محليا ، ولذلك لم
تقطع عنا خلال الحرب ..

وسكنت ، وعيناهما شاردتان ، وجينها لا يزال مطما ، كأنها
سرحت وراء ذكريات الية ..

وطال صمتها ، الى ان قلت لها فجأة :

« لماذا تحملين هذا الحذاء فى حقيبتك ؟

وانبسبت ابتسامة صغيرة ، وقالت :

« هذا حذاء للسماعات القصيرة .. وهذا .. ورنعت فدها -
للسماعات الطويلة .

وقلت :

« فهمت .. انك غداة مدبرة !

وهزت كتفيها وقالت بلا مبالاة :

« اى مضطرة ان اكون مدبرة ..

وعندما هممتا بالتصريف ، أصررت على ان تدفع حسابها ..
فمن فجال القهوة الذى شربته ..

واصبحت ارى « مونجى » كل يوم .. نلتقى فى الصباح ،
ونفترق قبل ان تغيب الشمس .. وكانت قليلة الكلام من نفسها
كانت لا تتحدث كثيرا الا عندما تسرد معلوماتها عن معالم باريس
ومتاحفها .. كأنها ترجمان يصحب سائحا .. وكانت معلوماتها
عزيزة .. كانت مثقفة فعلا .. وكانت تتحدث بخمس لغات وتجيء
باعتها وكتابتها على الآلة الكاتبة ..

ولكنى كنت أريدها ان تتحدث عن نفسها .. كنت أريد ان
اعرفها .. وبصعوبة قالت لى انها تركت بلدها هولندا فى طريقها
الى سويسرا لتلتحق هناك باحدى الجامعات المتخصصة فى بحريج
مربيات الأطفال ..

قلت فى الحاح :

« لماذا تردين ان تكونى مربية أطفال ؟

قالت فى اختصار :

« لانى أريد ان اكون مربية اطفال .. اليس هذا كافيا ؟
وسكنت ..

وشردت عينها ، ثم عادت تقول فجأة بعد فترة صمت طويلة :

« ان الأطفال يتعبون .. انهم يقتلونهم .. ما ذنب الأطفال .
يا دهم يا ربي .. لقد رايت طفلا فى شوارع امستردام تدوسه
دبابة .. وكان اخى الصغير .. و ..

وسكنت .. لم تتم حديثها .. وصحت فيها :

« ماذا عن اخيك الصغير .. ؟

عالت وهى مسرحة :

« لا أريد ان اتحدث .. لا أريد ..

ولم الح عليها .. ولكنها عادت بعد قليل تتكلم ، كأنها تتحدث
بنفسها :

« كان اخى الصغير بين ذراعى ، عندما دخل الجندي النازى
وام من يمينى ما يفعل بهى هذا النازى ، ولكن اخى الصغير وقع
على الأرض .. وكان يصرخ .. وكنت أصرخ فى وجه الجندي :
ام .. اخى .. اخى .. ولكن الجندي لم يرحم صراخى ولا
صراخ اخى ..

والفت مونجى رأسها فوق كتفيها ، وقالت :

« ربما لا يجب ان اكون مربية اطفال .. انى ساريهم لاراهم
بمعدون .. لا أدري .. لا ..

وقطعت حديثها فجأة ، والنقت الى « وهى تننفس واقفة ،
الاه :

« نعال نشاهد سجن الباستيل ..

و .. وبقيت الح على « مونجى » ان تحدثنى عن نفسها ..

من ابنيها واسمها ، عن حبيبها .. عن .. عن .. كنت أريد أن أكتبه
«نينا قصة .. ولكنها كانت ترفض دائما أن تتحدث .. الى أن
جاءت يوما والقت الى خطاب ..

قلت :

— ما هذا ؟

قالت :

— لقد حدثتك من نفسي في هذا الخطاب ..

فقلت فرحا :

— هل اقراه الآن ؟

قالت في اجمال :

— اذا أردت ..

وفتحت الخطاب بأصابع ترتعش بلهفنى .. وحاولت ان
اقرا ..

مستحيل .. انه مكتوب باللغة الانجليزية .. اننى اسطيع ان
أعرف ذلك من بضع كلمات .. ولكن الخط .. انه حداثي لا يقرأ
.. مستحيل أن تقرأه .

وقلت لها :

— انى لا اسطيع ان اقرا خطك ..

قالت في اجمال :

— لا يهم ..

قلت كاتنى أصرخ :

— كيف لا يهم .. انك كتبت له .. فعلى الأقل يجب أن تبيّننى
على قراءته .

فقلت :

— لا .. لم أكتب لك .. كتبه لنفسى .. لقد كتبت متضايقة

أوله أمس ، فحطت أكتب هذا الخطاب .. كاتنى أحدث نفسي
واسرحت بعد أن كتبت .. استرحت كثيرا ..

ملت :

— ولكنى لست نفسك ! !

مالت :

— انى أرتاح اليك كما أرتاح الى نفسي .. اتدري لماذا ؟
لأنك قريب .. وقد اكتشفت أن الغرباء أقرب الى من الأقرباء ..
أنا عندما تتحدث الى قريب فكأنك تتحدث الى نفسك ..

وعبثا حاولت أن أقمعها بأني تقرأ لى خطابها ، أو تعيننى على
قراءته ..

وسافرت « مونجى » بعد ذلك الى سويسرا .. وجاءنى منها
خطاب .. نفس الخط الذي لا يقرأ .. وكانت أحيانا تكتب لى
خطابا كل أسبوع .. وأحيانا كل يوم .. وأحيانا يصلنى منها
ثلاثة خطابات فى اليوم الواحد .. وكلها ، لا اسطيع ان أقرأها .
ولكنى كنت أحكم على حالتها النفسية والعصبية من عدد
هذه الخطابات ، وعدد صفحات كل خطاب اذا زاد عدد الخطابات وعدد
المدات ، فمعنى ذلك أنها فى حالة نفسية سيئة ، وفى حاجة
الى أن يكتب الى ، تكتب الى نفسها .. لتستريح ..

وعدت الى القاهرة ، وكتبت عن « مونجى » قصة خيالية نشرت
فى مجموعة قصص « بائع الحب » .

ولم سقطع خطاباتها عنى .. ودرت بهذه الخطابات على كثير
من الأصدقاء ، لعل منهم من يستطيع قراءتها .. ولكن دون
نجاح ..

وارسلت اليها أرجوها واتوسل اليها أن تكتب بخط واضح ،

او تكتب على الآلة الكاتبة .. ولكن بلا جدوى .. خطاب واحد
وصلنى منها عام ١٩٦٧ وفيه بضعة سطور مكتوبة بالآلة الكاتبة
.. فقد قرأت فى الصحف ان وبع الكوليرا منتشر فى مصر ، وتريد
ان نعلم ان الى انى لم اصب بها ، وانى ما زلت حيا .. واجبتها ..
طبائتها على نفسى ، وعدت اتوصل اليها ان تكتب لى خطابات
استطيع ان اقراها .. ولكن .. لا ابل ..

وقد مرت خمسة عشر عاما ، ولا اعرف من « مونجى » شيئا
ولكن خطاباتها لا تزال تصلنى .. دون ان اقراها .. دون ان
افتحها .. او ارد عليها ..
ولكنى واثق انها سعيدة مرتاحة النفس ، هادئة الاعصاب ،
لان خطاباتها اصبحت قليلة .. متباعدة ...

بنت تحب أمها

عدت من الخارج لاجد فى انتظارى كومة كبيرة من الخطابات ..
أحدث أقلب فيها دون ان أفتحها .. انى — من كثرة تجاربى —
استطيع ان اخبر ما يحمله كل خطاب .. هذا الخطاب يضم قصة
مطلب صاحبها نشرها .. وهذا الخطاب يحمل تعليقا سياسيا ،
وهذا يحمل مشكلة عاطفية .. وهذا يحمل شكوى مهالية .. و ..
و .. وكان بينها خطاب لونه فى لون الورد .. أحمر باهت ..
وكان قد سمي على سنين طويلة لم ار خطابات بهذا اللون .. منذ
كنت أسكن فى حى العباسية ، وكانت ألوان الخطابات معان
خاصة ..

واحسست ان الخطاب مرسل من العباسية فعلا .. ولكن
صاحبه لا يقصد من اختيار لونه اى معنى ، انها يبدو انه وجد
الطرف فى أحد ادراجة صدفه .. فالطرف يبدو قديما .. الورق
عليه بقع من الصدأ .. وعندما فتحته .. وجدت ان الخطاب
مكتوب على ورق كراسة من كراسات الطلبة ..

وجرت عيناى الى الامضاء قبل ان أبدا فى قراءة الخطاب ..
هدى .. « وبغية الاسم احتفظ به » ..

اننى اعرف هدى .. اعرفها منذ كنا نكنى معا فى حى
العباسية ..

كانت أيامها فى العاشرة من عمرها .. وكنا نسمى بيتهم :

بيت البنات .. فلم يكن في البيت كله رجل .. كان الاب قد توفي ..
وكن أربع أخوات بنات ترعاهن أمهن .. وكانت هدى أصغر
أخواتها وأجملهن .. ولكنها كانت منطوية .. كانت لا تشارك
الأولاد في اللعب ..

إنها دائماً بجانب أمها .. ترى ماذا جرى لهدى ؟

وقرات الخطاب ..

عزيزي أحسان ..

اسمح لي أن أضيع بعض وقتك في قراءة هذا الخطاب .. ماله
وحده يعلم ما كان يمكن أن يحدث لي لو لم أكتب لك .. أنني احترق
.. كل يوم يمر بي ، أحرق فيه .. ولعلك تشم رائحة الدخان في
مسطوري .. أنه دخان روحي .. دخان أعصابي .. ولعلك تسميتني
.. أنا هدى ..

هل تذكر هدى ؟ وشارع للجنزوري ..

لو تذكرت ، فليكن تذكر أننا كنا أربع بنات نعيش مع أمنا ..
ليس معنا رجل .. لا أب ، ولا أخ .. ولذلك فقد نشأت وأنا أحب
كل الرجال .. الصبيان ، والشبان ، والطلبة ، والعمال ، والوزراء
.. و .. و .. كل الرجال .. إذا رايت أختاً تمنيته أختاً لي ..
وإذا رايت أبا تمنيته أبا لي .. وإذا رايت زوجاً تمنيته زوجاً لي
.. وإذا رايت رجلاً تمنيته لنفسى حتى ولو لم يكن زوجاً !

ولكن هذا الحب ظل منطوي في أعماقي ، لا أفصح عنه .. ولا
أعبر عنه .. ولا يبدو في أي تصرف من تصرفاتي .. كان سرا
أكتمه حتى من أمي ..

هل نذكر أمي ؟ .. لقد كانت تدلّني وتحنّني أكثر من بقية
أخواتي .. ولكنه تدليل من نوع خاص .. تدليل يفسح بالإثنية
والقسوة .. والإرهاب .. لقد كانت تخص أخواتي الثلاث بارهابها

وتسوتها .. أما أنا فكانت تكنني مني بالخوف .. الخوف من أن
يسينى منها ما يصيب أخواتي ..

وكنيت أحبها .. ما زلت أحبها .. واجتمع الحب والخوف
ملوئتي تحت شخصيتها .. أصبحت أسيرة لها .. عبدة ..

وكان أخواتي يتحدّين أمي .. كانت أحداهن تحب ابن الجيران
والأخت الثانية أحببت هي الأخرى ، ودام حبها ست سنوات ، ثم
أسفلت إلى حب آخر .. وكنيت أعلم أن الاثنين تحايلان للخروج
ولقاء الحب .. بل أن أحداهن استغفلت مرة ثقة أمي بي ، وخرجت
معي ، وإذا بي أفاجا بها تأخذني للقاء حبيبها .. وكنيت أنور ..
خمي .. كنت أحتقر هذه العلاقات لأن أمي تحتقرها .. ولأنني
لا أريد أن يفقد ثقتها بي .. ولكنني كنت في قرارة نفسي أنهلل ..
كنت أتمنى أن أتحرق من هذه الثقة التي تضعها في أمي .. أريد
أن أذهب أنا الأخرى وأبحث عن حبيب .. ولكنني لم أستطع ..

الحب والخوف يطوياني تحت جناح أمي .. واستغفلت أمي
هذا الانطواء .. و .. قومي يا هدى أعلمي الشيء الفلاني ،
وروحى يا هدى .. تعالى يا هدى .. و .. و .. وكنيت أحيانا أمهم
بالثورة وأقول لها :

— اسمنى أنا ؟ .. ما تشغل أختي شويه .. !

وتقول أمي :

— لا .. ما حدث لي إلا أنتي .. أنتي الكويسه .. أنتي
المالحة .. ربنا يخليكي لي ..

ويضعف قلبي أمام هذا اللئيم ، وأخضع لأمي ..
وأطلقت كبتى في استذكار دروسى .. فكانت الأولى دائماً ..
حصلت على مجانية التوفيق .. وأردت أن استمر في الدراسة حتى

التحق بالجامعة .. ولكن أمي أصرت على أن التحق بالتعليم
الفنى ..

وحاولت أن أعارض .. فلم أستطع .. ودخلت التعليم الفنى
والثورة هى تلبى تشدد .. ولا أدري كيف أطلقها ، ولا أين أطلقتها ،
فأطلقتها فى رجة مدرسة الفرنساوى .. لا أدري لماذا ؟ ولكنى كنت
أرتاح عندما أثور عليها .. وعندما أثارى حتى لا أحضر دروسها
.. كانت ثورتى على مدرسة الفرنساوى ، تعبيراً عن ثورتى
على أمي ..

وكنْتُ أغنى ..

كنْتُ أقتضى السماعات أستمع إلى أم كلثوم ، وأغنى أغانيها ..
ولكن ليس أمام أمي .. لا أستطيع .. أن صوتى ينجس أدا
غاجأتى أغنى .. بل أنها طلبت منى مرة أن أغنى لها .. فرفضت
.. خفت أن يخرج منى « آهه » أرق من اللازم ، تصيح عما فى
نفسى .. فأمعدت ثقة أمي ..

وتخرجت ..

وأرُكنت أن أشتغل .. ولكن مستحيل .. أمي ترفض ..
بكيْتُ .. وتوسلْتُ .. وفكرت فى الهرب .. ولكن أمي ترفض ..
وجلسْتُ عاماً ماكِله فى البيت .. ثم غيرت أمي رأيها .. لا أدري
لماذا .. ربما أشفقت على .. وسبحت لى بالاستشفال ..

ولم أكن أستطيع أن أحصل إلا على وظيفة مدرسة فى إحدى
مدارس الأقاليم .. ولكن ، لا .. أمي ترفض أن أسافر إلى الأقاليم
.. فاضطرت أن أشتغل فى إحدى المدارس الحرة بالقاهرة ..
و .. من البيت للمدرسة .. ومن المدرسة للبيت ..

والرجال ؟ .. الرجال الذين أحبهم ؟ !

لقد كان يخيل لى أنى يجب أن أختار بين الرجال ، وبين
الاحتفاظ بثقة أمي .. وأخترت .. ثقة أمي !!

وأنا الآن فى الثانية والثلاثين من عمري ، وليس لى رجل ..
أحوالى الثلاث تزوجن ، وكل منهن لها بيت وأولاد .. لأنهم لم
يحاولن يوماً الاحتفاظ بثقة أمي .. وأنا .. أنا وحدى بجانب
أمي ، محنطة بثقتها !!

هل أحكى لك عن الرجال فى حياتي ..

عندما كنْتُ فى السادسة عشرة من عمري .. كان يتردد علينا
فى فترات بعيدة .. قريب لنا .. كان يكرتنى بأكثر من أثنى عشر
عاماً .. ولم يكن جميلاً .. ليس لى ما يعجب بنتاً فى مثل عمري
.. ورغم ذلك أحببته .. وأقيمت له فى قلبى تهادلاً بعيداً وأصله ..
له .. ربما لأنه كان مجرد رجل .. وربما لأنه كان ذكياً ، حلو
الحديث ، وكان يدعى اهتماماً كبيراً بى ..

وأخفيت هذا الحب الكبير فى قلبى .. لم يحس به أحد حتى
ولا هو .. كنْتُ ألاحظ فى تودده معانى خربش قلبى ، ولكنى لم
أكن أجيب على معانيه .. كنْتُ أخاف .. أخاف أن أفقد ثقة أمي ..
وفجأة تحطم التمثال .. تزوج الرجل ..

وبكيْتُ وحدى .. لم ير أحد دموعى .. لا أخوانى ، ولا أمي ..
ورجل آخر ..

قريب لزوج أختي .. كنْتُ أقاءه عندما تزورها .. وكان مرهلاً
سحوكاً .. كان لا يخفى إعجابه بى .. وأحببته وأخفيت حبى ..
أخيبته حتى عنه .. خوفاً من أن تعلم أمي ، فتنبهه عن زيارتنا ..
وتسمنى من ريادة أختي .. وكذت أسمع كلمات إعجابه وأحفظها
فى ظهر قلبى ، ولغات عينيه .. ولكنى لا ألتقى معه فى نظرة ..
ولا أشرکه معى فى ابتسامة تخفصنا وحداً ، لا .. بحسب أن أحتفظ
بثقة أمي .. وفجأة أختنى .. نقل إلى بلد آخر ..

وبكيْتُ .. لقد كنْتُ أنتظره ليتقدم لى ويخطبنى .. ولكنه
ساع .. وبقيت ثقة أمي بى ..

وبعد أن اشتغلت بالتدريس .. دخل حياتى رجلان .. زميلان ..
أحدهما ثقیل ، لحوح .. يبنى ولو مجرد ابتسامة أو حتى
« سلام صباحى » .. ولم أحبه .. ولكنه رجل .. وكفى أنه رجل ..
ورغم ذلك لم أرد على الحاحه .. ولم أمنحه « السلام الصباحى » ..
أنى لا أستطيع أن أمضى بثقة أمى من أجله ..

والثانى ، رائع .. انه بسيط ، طريف ، يضحك ويلقى بالنكات
التي نضحك لها .. وكلها نكات مهذبة .. وأحببته .. أحببته
مليلى ونهارى .. ولكنه جسر .. جرى جدا .. وأخافنى
جراته .. لم تخفى منه .. أخافنى من أمى .. صدقنى كنت كلما
لمست تودده الحريء لى ، خفت من أمى ، فأصبحت أتمد اهباله
.. وصده .. حتى ينس منى .. وأنصرف عنى .. وبقيت لى ثقة
أمى ! ..

هؤلاء هم كل الرجال فى حياتى ..

ولم أستطع أن أتحرك من « ثقة أمى » لأذهب الى واحد منهم ..
فل أنى لم أستطع أن أتحرك من ثقة أمى لأذهب الى السيما ..
صدقنى .. لقد طلبت منها مرة أن تسمح لى بالذهاب الى السيما
مع زميلاتى ، فرفضت .. وشمرت يومها بالفترة على الثورة ..
غثرت .. وخرجت من البيت رغم ارادتها .. ولكى لم أكد أبتعد
خطوات حتى بدا حبنى لها وخوفى منها ، يفلانى .. ورغم ذلك
استمررت فى طريقي الى السيما ، وخطوة تشدنى ، وخطوة
تدفعنى .. والتفتت بزميلاتى ودهشت عندما لححت وجوههن صامتة
ليس عليها أثر من المهرجة التي تدور فى نفسى ..

ان الذهاب الى السيما ليس شيئا بالنسبة لهن .. ولكنه شيء
كبير جدا بالنسبة لى ، ويجب أن يكون كذلك بالنسبة لهن ايضا ..
واحسست كائى انهم كل زميلاتى بالفجور لانهن يذهبن الى السيما
.. ومعاة وجدت نفسى أعذر لهن ثم أبتعد .. انتعد عن السيما

واعود الى البيت .. وأهمل حجرتى ، وأغلق بابها ورأى ..
يايكى !

والآن .. انى فى الثانية والثلاثين وليس لى رجل !
انى كمود الحطب الجاف .. ولكن نفسى لا تزال شابة ..
ما زلت احن الى الحب .. حب الاولاد .. وحب الأزواج .. وحب
الآباء .. وحب كل شيء ..

لقد تزوجت .. بكل ما فى الزواج من معان كثيرة ، وأعمال
كبيرة ، ولكن فى الحلم .. لقد أحببت .. وزلت قدمى .. ولكن
فى الحلم .. لقد ركبت سيارات الكاديلاك .. ورقصت التانجو ..
وسرت مع حبيبى على شاطئ النيل .. فى الحلم .. انى سيدة
فى الحلم .. وأنسة فى الحقيقة .. !

وانا أتعذب .. أتعذب بحرمانى .. وثقة أمى ..

بوجه امرأة تمر أمامهما..صدفة.. فتطلق الرصاصة .. ويخسر
أحد أسماء البلدة ثلاثة قروشي !

واخذنى زملائى الى الحاج خليفة البقال ، لاستأجر منه شمة
أر. منها ..

والحاج خليفة رجل منتفخ .. كل شىء فيه منتفخ .. وجفناه
.. بيناه .. شفتاه .. أصابع يديه .. وكرشه الذى ينسدل عليه
باب ملوث ببقع الزيت .. وحتى عيائه التى تميزه عن أهالى
ألمه الذين ليسوا بقالين ، تبدو منتفخة .. وكان الحاج خليفة يملك
بدا فى حارة ضيقة يقيم فيه ، ويقع فيه مكانه .. ويملك فى
مواحهبه ستا آخر .. من الطين النبىء ، مطليا بالجير ، بيت
صغير ، صغير ، مكون من فناء صغير مترب ، تقع فوهة غرفتان .

واستأجرت هذا البيت الحقيقى ، بثلاثة جنيهات فى الشهر ..
وفرحت به لأنه بيت من بابه لا يشاركنى فيه أحد !

ومرت الأيام .. والوحدة تزداد ضغطا على أنفاسى ..
وتسبى المحروم يزدحم فى صغرى ، ويشعل أعصابى .. وأنا
.. م ..

أسير فى الشارع مطاطيء الرس حتى لا تلتقى عيى —
.. بوجه امرأة .. وانفتح النافذة لأتنفس هواء الصعيد ..
هراء النار .. ثم لا أكاد أرى نافذة أخرى مفتوحة فى البيوت
المواجهة حتى أغلق نافذتى .. وكفى لله المؤمنين شر البصصة !

ثم .. ذات مساء .. عند الغروب .. كنت رائدا فى فراشى
أمر أنفاسى المختنقة .. وسمعت صوت الماء ينهر من الحنفية التى
.. مع فى الفناء الصغير ..

من يا ترى يأخذ الماء من حنفية بينى ؟
وترددت قليلا ..

موظف فى الصعيد

كنت موظفا فى طنطا ..

والحياة فى طنطا ليست عسيرة على موظف أعزب فى الثلاثين
من عمره .. الحياة هناك واسعة فيها كل ما يرضى شبابى وما
يخفف من رزقتى .. وكل رجل بلا امرأة ، وحيد !!

ومجأة .. نقلت الى الصعيد .. ولئن أصرح باسم البلدة التى
نقلت إليها ، حتى أكون أكثر صراحة فى سرد قصتى .. وقد جزعنت
عندما بلغنى أمر النقل ..

جزعنت على شبابى ، وجزعنت من وحدتى ..

هناك — فى الصعيد — كل الأبواب مغلقة فى وجه موظف أعزب
مثلنى فى الثلاثين من عمره .. وخلف كل باب فوهة بندقية .. وفى
السدقية رصاصة منها ثلاثة قروش .. تنطلق دفاعا عن الشرف
الرفيع ، وانشرق بعدها بنشر اسمى على صفحات الصحف فى
أعمدة الوثنيات ..

مجرد أسماء .. بلا شباب .. بلا امرأة ..

بلا شىء من نعم الحياة الواسعة !!

وحملت حقيبى وذهبت الى الصعيد .. والدموع فى عيني ..
والخوف يقلع قللى ..

وسرت فى شوارع البلدة وأنا مطاطيء الراس .. مسدلا
الجفون .. أنظر الى قدمى .. أخاف أن أرفع عيني ، حتى لا تلتقيا

ثم قبت من الفراش ، وخرجت من الغرفة وانحنيت فوق حاجز السلم اطل على الفناء .. وكان صوت انهيار الماء من الحنفية قد سكنت .

ولمحت ذيل ثوب نسائي يخرج من باب البيت .
لأنها امرأة .. امرأة فى بيتى ..

بعد هذا العمر الطويل .. تدخل امرأة بيتى .. ثم لا أراها !
كان كل ما أريده أن أراها ..
أرى أى امرأة !

ومصمحت شفتى حسرة على شهابى المحروم .. شهابى الذى تواضع الى حد أن أصبحت كل أحلامه تنحصر فى مجرد رؤية وجه امرأة !

وعدت الى غرفتى كسيرا وأنا أفكر : من تكون ؟

لعلها ابنة أحد الجيران جاءت تملأ زلستها .. لعلها زوجة ..
لعلها غداية .. لعلها عجوز .. لعلها صغيرة ..

ونمت والاهام تملأ رأسى ، ومئات الوجوه تقفز أمام عيني ..
وجوه نساء من مختلف الأشكال والأحجام والأعمار .. كلهن صعيديات .. ويتقز بينهن وجه مارلين مونرو ، وجه شيرلى ماكلين ، وجه شادية ..

وبعد يومين ، وفى نفس الموعد ، سمعت صوت الماء ينهمر مرة أخرى من الحنفية .. وخفت ..
صدقتنى ، لقد خفت .. خفت من أوهامى ..

خيل الى أنى لو حاولت أن اطل على الفناء مرة أخرى ..
فستطلق رصاصة تفرق عيني ..

وتجمدت فى غرفتى .. وكلى أذان تلتقط صوت انهيار الماء من الحنفية ، لكنها تلتقط همسات امرأة ..

وعندما سكنت صوت انهيار الماء ، نظرت من خلف ضلعة مائدتى .. لطفى أراها .. ولكنى لم أرى شيئا .. سوى الحارة المسقة الساكنة التى تتداعى بيوتها بعضها فوق بعض ، كان كلا منها يبنى على كتف الآخر ..

وزغرت فى حدة .. وبدأت أعد لنفسى طعام العشاء .. لم أكن حائما .. انى لم أجمع أبدا فى هذه البلدة .. معدتى متقبضة ككلى .. ولكنى فقط أريد أن أنمل شيئا .. وقد عملت لنفسى أربع بضات .. بالزبد والبسطومة .. انى أحب البسطومة !

ويعد أن تناولت العشاء ، وقفت أمام الصحن التى اكلت منها ، أتساءل : هل أغسلها ؟ لا .. سأتركها للصباح !

كنت ثقيلًا بعد أن حشوت معدتى بالبيض والبسطومة .. وأريد أن استرخى ! وفى الصباح عدت أتساءل : هل أغسل الصحن ؟

لا .. دعها الى أن تعود من عملك !

إن أشد ما أكرهه ، بعد زميلى عباس أفندى ، هو غسل الصحن ! ..

وذهبت الى على .. وعدت مطاطىء الرأس مسدل الجنون ..
ودخلت بيتى .. دخلت المطبخ .. ويطقت فى دهشة .. أن الصحن مفسولة .. تضوى كالنار .. ومرصوعة فى نظام !
وكدت أصرخ .. من غسلها ؟ ومن دخل بيتى فى غيبتى ؟

وخرجت الى غرفة نومي .. مشى معقول .. أن فراشى مرتب ، منظم ، وهو لم يكن مرتبا ولا منظما أبدا .. وبدأ رأسى يدور ..
هل أكون أنا الذى غسلت الصحن ، ورتبت الفراش .. ثم سبت ؟ ..

مستحيل .. لابد أن هذا البيت « مسكون » !
انها « جنية » .. او هفريته .. ولكن .. لعلها امرأة .. مش
معقول !!

« امرأة في الصعيد » تدخل بيت موظف اعزب وتفسل له
صحنونه ، وترتب فراشه .. هذا لا يمكن ..

ثم انى اغلق البيت بالمفتاح قبل ان اذهب الى عملى .. فمن اين
تأتى المرأة — أى امرأة — بالمفتاح ؟

لا يمكن ان تكون امرأة .. انها جنية .. قطعاً ..

ودرت كالجنون ابحت فى أرجاء البيت عن آثار هذه « الجنية »
تحت الفراش .. وفوق الدواليب .. وفى جيوب ثيابى ..

ولم أخرج يومها من البيت .. جهدت فيه .. وأنا انتظر فى
كل لحظة ، أن ينشق الحائط وتبرز لى منه الجنية .. ببصء فى
رداء أبيض .. وشعرها أسود طويل .. يصل الى ركبتيها ..
ولكن .. لم ينشق الحائط ..

وقمت أعد عشاءى .. استعملت كل الاوانى التى املكها ..
ثم تركتها دون ان اغسلها .. وحاولت ان انام .. ولم اتم ..
فى كل دقيقة افتح عيني واحلق فى الحائط لعله ينشق ..
ثم انظر الى السقف لعل الجنية تهبط منه ! ..

حاولت نفسى كثيرا حتى انام ، فقد كائن يخيلى الى ، انى لو
نمت ، فستأتى الجنية وتنام بين ذراعى .. وتتم جميلها ..

ولكنى لم اتم .. ولم تات الجنية .. ولم تتم جميلها ..

وذهبت الى عملى محطما من الارق .. والحيرة .. حيرة تكاد
تصل بى الى الجنون .. ولم استطع ان اروى لزلماى ما حدث
لى .. ماذا اتقول لهم .. انى لا استطيع ان اتول لهم ان « جنية »

اربنى .. ولا استطيع ان اتول ان امرأة زارتنى ! وانظرت بوعده
ابها .. على لى قلق ..

كانى على بوعده .. بوعده نساى !

وساعة الانصراف كدت احرى الى البيت .. ودخلت ..
وسعنت ..

الاوانى كلها مفسولة .. داسع .. والبيت كله مكتوس ..
وعراشى مربب منظم !

وكدت ابكى من الغيظ .. لا يمكن ان تفعل هذا الا امرأة ..
اريد ان اراها .. حتى ولو كانت جنية .. والجبرون يضع فى
راسى ..

واستمر هذا الجنون اسبوعاً .. ربما اكثر .. وأنا لا اخرج
من البيت لاجلس مع زملائى فى مبنى المحطة .. ولا اسير
بعادتى على شاطئ النيل .. انى منجم فى بيتى انتظر ان ينشق
الحائط لتخرج لى الجنية ..

ثم .. كنت قد عدت من عملى .. وبدأت أطوف بهاديت اتمس
بار اليد الرقيقة التى تفصل الصحن وترتب البيت .. واذا لى
اسمع طرقه خفيفة على الباب .. والفتت فى حدة .. شعرت انها
حانت .. الجنية جاءت .. او المرأة ..

وقلت فى صوت مرتعش :

— مين ؟

وسمعت خلف الباب صوتا خفياً يهمس كانه يتنهد :

— انا ..

وفتحت الباب فى لهفة كانى سألتنى بوجه اعمره منذ زمن
طويل .. وجه اعمره جيداً .. وجه يفسل لى الصحن ، ويرتب
لى مراشى ..

ورائها .. وقد رفعت طرف شمالها وغطت به شفتيها وانفها ،

ولم يعد يبدو منها سوى عيني .. عيني كبيرتين .. سوداهما
عميق .. جدير ..

وأرخت جفنيها كأنها تحببني من سحر عينيها ، وقالت في
صوت متهد :

— الجواف يا سي كمال أفندي ..

قلت واللغة مقتل قلبى :

— اتفضلى .. اتفضلى ..

قالت ، وهى تضم شالها أكثر فوق أنفها وشفتيها :

— مش عاجز حاجه يا سي كمال ؟

قلت ، وكأننى لم أعد أطبق .

— انت مين ؟

ونظرت الى كأنها تلومنى ، وقالت :

— أنا مرات الحاج خليفة صاحب البيت .

وابتسمت فى راحة .. وعدت انظر اليها ..

انها صغيرة .. حلوة .. قوامها مثير .. كمينيها .. كيف

يحتل كل هذا الجمال رجلا كالحاج خليفة ..

واستطردت قائلة :

— اصلك سمعت على يا سي كمال .. هابش لوجدك لاحد

بيخدمك ولا يشوفك . كنت ياخذ المفتاح اللى عندنا وآجى انصف

لك البيت : الجيران لبعضهم يا سي كمال ..

قلت :

— هو انتى ؟

قالت :

— ما انت ما تتأخضش بالك يا سي كمال .. همرك ما تبص

لحد !

و .. ولم يطل حديثنا ..

تركنتى سريعا .. تركنتى وهى تملأ كل راسى وكل اعصابى .
ونهاديت فى احلامى .. احسست كأنى لم أعد وحيدا .. ولا
محروما .. ثم فجأة شعرت بالخوف .. خوف كبير .. وفوهة
البنديقية تطل على .. ان الحاج خليفة لم يتردد لحظة واحدة من
اطلاق الرصاصة .. لن يبخل بثلاثة قروش ثمننا لشرفه ..

هل تستحق فكبة كل هذه المجازفة .. هل تستحق حياتى ..
ولكنى لم أكن أميش قبل أن تطرق فكبة الباب .. لم تكن لى
حياة .. انى لن أجازف بحياتى .. ولكنى سأجازف بلا شيء ..
وجاءت فكبة فى اليوم التالى ..

ووقفت عند الباب .. لم تدخل ..

ولم تدخل فى اليوم الثالث .. ولا الرابع .. ولا الخامس ..
فقط تقف على باب غرفتى .. وتحدث .. وطرف الشمال ينزاح
عن انفها وشفتيها .. وينزاح أكثر حتى أرى ثغرها وعنفها .. انها
بيضاء ! ..

وفى صباح يوم الجمعة .. قررت الا اخرج من البيت ، فى
نظارة فكبة .. نتحدث .. وسمعت الباب الخارجى يفتح :

وفزت لاستقبال فكبة ..

و .. وانطلق صوت الحاج خليفة من اسفل السلم يصيح :

— يا سي كمال أفندي ..

انها ليست فكبة .. انه زوج فكبة ..

وارتعدت .. لقد جاء ليقنطنى .. لأبد ان البنديقية فى يده .
ولكنه يجب أن يعلم انى لم أعتقد على شرفه .. لأبد أن يعلم انى
لا استحق القتل .. لأبد أن ادافع عن نفسى ..

وعاد الحاج خليفة يصيح :

— يا سي كمال أفندي .. انت لسه نائم والا ايه ؟

وقلت بصوت يرتعش :

وعشت في الصعيد سنتين .. ولم أعد وحيدا ولم أعد محروما .. فكيهة معي ..

فنسل لي الصحون ، وتغسل ثيابي ، وترتب فراشي ، بعد أن أحج إلى علي .. ثم تزورني في الأسبوع مرتين .. كل يوم سبت .. وكل يوم الثلاثاء .. فإذا رحل منظم ، خصوصا في هذه المسائل !

ثم نقلت فجأة إلى الاسكندرية ..

وفرحت بالنقل .. ان الحياة هناك أوسع ..

ولم تحزن فكيهة عندما سمعت خبر نقلي .. لم تذكر .. ولم تصرخ .. بل جاءت تساعدني في ترتيب حقائبي دون أن يبدو عليها أي تأثر .. كأنها مستنقلة معي .. أو كأنني كنت مجرد مهمة ، وانتهت ..

وتركتني بعض منقولات بيتي لدى الحاج خليفة ، لأنني لم أستطع أن أشحنها في القطار ، ثم سافرت ..

ونسيت فكيهة قبل أن يصل بي القطار إلى الاسكندرية .. واضمرت في الحياة الجديدة .. عام كامل وأنا أعيش في الدنيا ادواسة ..

ثم .. اختلعت مع رئيسي ..

وتقرر نقلي مرة ثانية إلى بسس البلدة التي كنت فيها .. في الصعيد ..

وما كاد القطار يفادر محطة الأسكندرية حتى تذكرت فكيهة .. وبمجرد وصولي إلى البلدة ، جريت إلى بيت الحاج خليفة .. أم يكن في مكانه .. وطرقت باب البيت في لهفة .. وفتحت لي .. فكيهة ! ..

— أيوه يا حاج .. افتضل !

وخطوت على أطراف أصابعي لأطل عليه .. كنت أريد أن أتأكد من أنه جاء يحمل البندقية .. لا هرب ..

لأنني أستطيع أن أقتز من الشباك على الأطل ..

ولكن الحاج خليفة لم يكن يحمل البندقية .. وهو يتنسم .. وأخذ يصعد السلم في خطوات هادئة .. ثم صامحنى في حرارة .. ودخل إلى الغرفة ووضع جسده المنفوخ فوق الأريكة .. وأخذ يتكلم .. لا يتوقف عن الكلام .. ثم قال :

— ما نقوم بينا نصلى الجمعة ..

ولم تكن من هادئي أن أصلى الجمعة ولا الأحد .. ولكني أحببت :

— بس لما أتوضأ يا حاج !

— ودخلت إلى الحمام وأنا أتوى الوضوء فعلا ، وأتوى الصلاة .. لاكسب ثقة الله .. وثقة الحاج خليفة ..

واستمر الحاج يحدثني وأنا أتوضأ :

— والله يا سي كمال أنت راجل طيب وأبن حلال وفي هالك .. ده حتى التسوان بتوع الحارة كلهم يقولوا عليك أنك مؤدب وما بترفعش عنك لا كده ولا كده ..

وابتسمت .. أه لو علم ماذا كنت أفعل في طنطا .. وماذا كانت تفعل عيناى .. ولكن لاند أن فكيهة هي التي انتعته بأى مؤدب ..

وانتسمت .. حتى نساء الصعيد — وليس نساء طبطا فحسب — يستطعن أن يقنعن أزواجهن .. بأى مؤدب !

وصلت مع الحاج .. وفي المساء .. ساعة الغروب جاءت فكيهة ..

وفي هذه المرة ، دخلت !

ولكن فكيف تنظر الى بعين جامدين كأنها لا تعرفنى ..
وقلت وأنا ابد لها يدى :
— اريك يا فكيفه ؟ ..

وردت فى برود وهى ترفض أن تمد لى يدها ، وتضغط بطريقة
الशल فوق أنفها وشفتيها :
— الله يسلمك ..

انها لم تقل « الحمد لله على السلامة » ، وعدت اقول لها فى
دهشة :

— أنت مش فاكرائى .. أنا كمال ؟

قالت فى صوت جامد :

— فاكراك ..

وصحت :

— جرى ايه يا فكيفه .. ده أنا رجعت مخصص علشانك ..
فضلت اسمى لما رجعتنى لك !

قالت وهى تتأخر خطوة :

— عايز ايه يا افندى ؟

قلت :

— عايزك ..

وسكنت قليلا ، ثم قالت :

— اسمع يا مسى كمال .. اللي مات راح لحاله .. احنا كده ..
الى يروح ما يرجعش !

وأحسست كأنها سكبت فوق راسى زلعة ماء بارد ، وقلت :

— طيب عايز اجر البيت !

قالت :

— لا .. ما بنأجروش ..

قلت :

— هو مش فاضى ؟

قالت :

— فاضى .. يس ما بنأجروش !!

ثم أغلقت الباب فى وجهى ..

وخرجت وأنا أتعثر فى دهشتى .. ماذا حدث .. هل ندمت
فكيفه على ما كان بيننا وقررت ألا تعود الى .. هل أثرت شفتها
فى المرة السابقة ، فقدمت لى نفسها ، لتقضى من وحدتى
وحرمانى ، ثم اعترت أنها أدت لى الكفاية ، ولم يعد من حقى
المزيد .. أم انها جاءت الى تحت ضغط « عقدة الافندى والجلباب »
الى يتحدثس عنها كثيرا مجتمع موظفى الأرياف .. فنحن الموظفون
نعتقد أن « الدلة » نهر نساء الريف ، وتجذبن .. تماما كما
يجذب السيارة الكاديلاك بنات القاهرة .. انها تريد أن تجرب
« البدلة » بعد أن عرفت الجلباب طويلا ..
ربما كان هذا هو السبب ! ..

وحرمت مكه الدلة .. وانتهت وحلت عقدتها !!

ولكننى لن أسكت .. ائى فى حاجة اليها ..

وذهبت فى اليوم التالى الى الحاج خليفة ، ودهشت اكثر
— عندما استقبلنى ببرود ، وهو ينظر الى بعين حادتين ينطلق منهما
الشر .. وبلغت بروده وشره وقلت له ائى أريد أن استأجر البيت
.. وصاح الحاج فى وجهى فجأة :

— وهو الى عايز يأجر بيت يروح عند النسوان .. انفضس

يا افندى ..

قلت :

— يا حاج ما يصحش .. و ..

وقاطعنى الحاج :

— اقصر الشر يا افندى وانتضل .. وحتتين العنشى بتومك
الى عندي حابعتهم لك على المصلحة ..
قلت :

— بس افهمنى يا حاج .. و ..

وقاطعنى صارخا وهو يرفع سكينه لى وجهى :

— با اقول لك انجر من هنا .. ما نتكلمش .. والله لو شفتك
فى الحارة تانى لاجز رقبتك ..

وجريت .. وانا ادمو على فكبة .. عيلتها فكبة .. واقنعت
زوجها انى لست مؤدبا !! وظللت اجرى ..
اجرى الى وحدتى وجرماتى .. والخوف .. الخوف من
انطلاق رصاصة لى عيني !! ..

بنت تجسرى وراء الشمس

قابلتها فى روما ..

فتاة من الترويج ، فى الخامسة والعشرين من عمرها ..
حبيلة .. جمالها هادى مريح ، وعيناها خضراوان تطلان على
الناس فى حنان .. وابتناسمتها متزنة ، وكأنها ام صغيرة ..
وعندما علمت انى عربى بدأت تحدثنى بلغنى .. كلمات عريضة
مُسرة تتسلط من بين شفتيها كقطع السكر ..

وقلت لها :

— كيف تعلمت لغتنا .. ؟

قالت :

— لعد عشت فى القاهرة ..

قلت فى لفظة :

— كيف .. متى ؟

قالت :

— هذه قصة طويلة ، اتبنى يوما ان اكتبها .. قصة حياتى ..

قلت ولهمنى تشمتد :

— وموضوع القصة ؟ !

قالت :

— فتاة نحت الشمس ..

وسرحت عيناها فى الفضاء كأنها تشد بهما خيوطا من
الذكريات .. واستطردت تروى قصتها كأنها تتحدث عن انسانة
اخرى .. انسانة بعيدة عنها :

— كنت أحب الشمس .. لا اكاد ارى شمعا منها حتى أجري الى مخور الشباطي وأطلع نياي .. واستلقى عارية كاني استحم في الشماع .. ولكن الشمس في النرويج شمس بحيلة .. صنيعة .. لا تكاد تلمس أرضنا حتى تختفي .. وكنت أحس بالضييق كلمة أخفت .. أحس كأن الحياة تسحب مني .. وأطلع الى السماء أبحت عنها دين الغيوم السوداء ، واكاد أبكي ..

وكنيت وأنا في الثامنة عشرة أرسلت بنات وشبان من بلاد بعيدة .. كل البنات في مثل سني كن من هواة المراسلة .. واستطعت أن أحصل على عنوان شاب من مصر .. أن مصر فيها شمس .. كلها شمس .. وكنيت اليه كاني أكتب الى الشمس .. ورد علي .. وأحسست وأنا أفزع خطابه اني سألتني بالشمس .. بل أحسست كأن الورق الذي يكتب عليه أكثر بياضا وسخونة من الورق الذي أكتب أنا عليه .. لأن في بلده شمسا ..

واستمرت المراسلات بيننا أكثر من عام .. لم أعد أرسل احدا غيره .. وأرسلت له صورتي .. وأرسل لي صورته .. أنه أسمر في لون السمك المقلبي !

ثم .. ثم لم أعد أطيق أن أعيش في بلدي .. لم أعد أطيق أن اقضي يومي كله أطلع الى السماء باحثة عن الشمس بين الغيوم .. وقررت أن أقوم برحلة الى فرنسا .. أن شمس فرنسا أكرم من شمس النرويج .. ولم أكن أستطيع أن أسافر الى مصر ..

ان المسافة بعيدة والنقود معي قليلة .. ولكن صديقي بالمراسلة عندما علم اني مسافرة الى فرنسا بدأ يلح علي في السفر الى مصر .. أنه يدعوني .. سأقيم في بيته مع عائلته .. لماذا لا أسافر الى بلاد الشمس ؟ ..

وقلت لامي :

— اني مسافرة الى مصر ..

وقالت لي امي :

— أنت مجنونه ..

وأفكر في تلك الاثناء ان التفتيت باثنين من المصريين كانا في زهرة النرويج .. وقلت لهما اني مسافرة الى مصر ، وذكرت لهما اسم صديقي بالمراسلة وعنوانه .. وسماها الاسم والعنوان ، ثم ملر احدهما الى الآخر ، ثم اذا بهما يصحاني الا اعتد على هذا الصديق ، واعطيناني عنوانهما في مصر ، لعلني أحقق اليهما ..

ولم انهم ما يقصدانه .. هل يفاران من صديقي ؟ .. وسافرت الى مصر .. الى الشمس .. وسافرت بالبخارة ، لأنها أرخص .. ووجدته في استقبالتي ..

الشباب الأسمر .. أنه كصورته ، وكما تخيلته .. كل ما هنالك انه اقل اناقة مما كنت أعتقد ..

وركبنا سيارة أجرة من محطة القاهرة .. الى شارع شبرا .. ثم الى شارع اقل اتساعا .. ثم الى شارع ضيق .. ثم شارع اقل ضيقا .. وحارة .. وحارة اخرى .. ثم وقفت السيارة لأنها لم بعد تستطيع أن تتقدم .. ونزلنا منها وحمل لي حقائبي ، وسرنا الى رفاق ، ودخلنا في بيت قديم مظلم .. ثم نزلنا الى حجرتين في الدوروم .. هذا هو بيه ..

وعائلته كلها مكومة في هابين الحجرتين ..

ولم تهمني كل مظاهر الحياة التي مررت بها .. ولم يهمني ان بيته في بدروم .. بل ربما اثارت هذه المظاهر صورة اسطورية الشرق الذي جئت اليه .. كل ما هنى اني سأنام في حجرة بها اربعة أشخاص .. أمه وابوه وأخته وأخوه !! ..

لا .. لا أستطيع ! ولا أستطيع ايضا ان أجرح احساس صديقي ، وأهرب من فقره .. لقد تبادلنا كلمات حلوة في محلاتنا ، ولا يمكن أن أنسى هذه الكلمات لأنه فقير ..

ورغم ذلك مكان على فى اليوم التالي أن اهرب .. وهربت ..
ذهبت الى العنوان الذى تركه لى الصديقان اللذان التقت بهما
فى الهروب .. ودبرا لى حياتى فى القاهرة ..

ولا تسألنى أسئلة صغيرة تافهة .. فقد نعمت بحياتى فى
القاهرة .. لقد كنت اشرب الشمس طول النهار ، حتى يكفىنى
ما شربته لاقضى طول الليل ..

ثم أحبيت .. أحبيت مصر ..

كان أول حب لى .. وهو الى الآن ، آخر حب .. وعاش خي
سنة شهر .. منطلقا مرحا ساخنا كالشمس .. وكاد ينتهى
بالزواج .. ولكنه كان ضابطا فى الجيش .. والقانون عندكم يحرم
على الضباط أن يتزوجوا من أجنبيات .. وجاء من ابغنى أنى
يجب أن أغادر القاهرة .. ومصر كلها .. اذا كنت أحرص على
مصلحة حبيبى ..

واضطرت أن أتترك مصر .. والدموع فى عيني !

ولم أستطع أن أعود الى بلدى .. ولم أستطع أن أبعد عن
الشمس ..

ذهبت الى لبنان .. ولا تسألنى من أين جئت بالمال الذى عشت
به فى لبنان ..

دعك من هذه الأسئلة الصغيرة التافهة .. فقد عشت هناك
حياة سعيدة .. فى الشمس ، استطعت خلالها أن أحمى قلبى
الذى جرح فى القاهرة .. ثم اشتغلت مضيئة فى إحدى شركات
الطيران اللبنانية .. والتقت نساء على بامير عربى كبير عرض
على أن أكون مضيئة خاصة لطائره التى يملكها .. وقلت ..
وسافرت الى بلده .. الى الصحراء .. ان الشمس هناك أكثر مما
أريد .. والحياة تسير بطيئة جدا .. وطائرة الأمير لا تطير الا

بادرا .. واكتشفت أن عملى هو أن أكون مضيئة للأمير لا لطائرة
الأمير .. انضى اليوم كله فى بيت يطل على الصحراء .. وفى
المساء اذهب الى مجلسه ليُشاهد جمالى .. فقط ليُشاهد جمالى ..
وزهقت .. زهقت من الأمير .. ومن شمس الأمير ..
واستقلت .. وكان كريما بى .. اعطاني مكانة سخية ..
ولكنى لم أجد الى بلدى .. انى لا أستطيع أن أبعد كثيرا عن
الشمس .. خلاص .. لقد أصبحت الشمس فى دمي ، وعلى
جلدى .. معدت الى روما ..

اننى أعمل الآن فى أحد بيوت الأزياء .. ولكن عملى ليس هو
كل شيء .. ان كل شيء هو شعاع من الشمس يتسلل من نافذتى
كل صباح .. انك لا تعلم ما يفعله بى هذا الشعاع .. انه يبعث
فى الحياة .. يهوك دمي .. يغرينى بأن استعد لمغامرة جديدة ..
ولى فى كل ليلة مغامرة .. مغامرة مع مجهول .. رلا تسألنى ..
عن تفاصيل مغامراتى .. دعك من هذه الأسئلة التافهة ..

وسحبت عينيها من ذكرياتها ، وعادت بها الى .. وبين
شفتيها ابنسامتها الممزقة كأنها ابنسامة أم صغيرة .. وقلت لها :
— ألا تشرعين بالحنين الى الاستقرار .. الى بيت وأولاد ..

قالت كأنها تتنهد :

— الشمس هناك أكثر دفئا .. ومن يدري .. ربما أجد هناك

زوجها .. وبيتا ..

وتركتنى ..

هكذا قتلت زوجتى

كلكم ستتولون انى مخطئ .. واغلبكم سيتول انى مجرم ..
سائل .. اتانى .. منقط .. الى آخر هذه النعوت التى تعود كل
واحد أن يلصقها بشيره ، رغم أنه لو تمن قلبا لاكتشف أنه يستطيع
ايضا أن ينعت بها نفسه ..

وكل ما أرجوه أن تسمعوا قصتى قبل أن تحكموا على ..
لا لآنى اطمع فى اتصافكم ، فليس لى ثقة فى عدالتكم .. ولكن فقط
لنتشعروا انتم بانكم احذرتم حكمكم الظالم بعد ان استمعتم الى
اقوال المتهمين ، استكمالا للشكليات ، وللجراءات وللמظاهر ..
لا تحريا للعدالة ..

اسمعوا ايها الظالمون ..

لقد حدث كل شيء فجأة .. وبسرعة عجيبة .. وبدأت الجريمة
وانتهت فى يوم واحد .. وفى اقل من يوم .. ودافعها الحقيقى ،
هو كلية واحدة قتلت فى التليفون .. كلمة واحدة .. ربما قيلت
علوا .. ولكنها كانت السبب .. سبب الجريمة .. كنت ايامها
قد سافرت الى الميوم للتفتيش ، وأنا كما تعلمون مفتش فى وزارة
التربية والتعليم .. وقصيت هناك يومين .. والجو حار ، يرهق
انفاسى .. والهواء رطب ثقيل ، يجثم على صدرى .. ووجوه
الطلبة والمدرسين الذين امر عليهم تفرأى لى كتقطع بن الحبر
تنفت النار فى وجهى واعصابى .. كانت اعصابى تالفة ..
لا انكر ان اعصابى كانت تالفة .. وزادها الحر والهواء الراكد

الثقل تلقا .. ولكن ، كل موظفى وزارة التربية والتعليم مصابون
بثلث الاعصاب .. اكتشفوا على اعصابهم جميعا ، وستجدوننى
رغم كل ما حدث ، اقواهم اعصابا ..

وفى اليوم الثالث من سفرى الى اليوم ، اتصلت بزواجتى
بالقاهرة بالتليفون .. كنت ارد ان اجد فى حديثها ما يخفف
وحدى ، وما يربط النار المشتعلة فى اعصابى .. ولكن وجدت
حديثها راكدا كالهواء الذى يحيط بى .. وقلت لها :

— مالك ؟ ..

قالت وهى تزغر :

— ما ليش ! ..

قلت :

— مالك يا سعاد .. قولى يا حبيبتى ؟ !

قالت :

— زهقانه .. زهقانه موت ! ..

قلت :

— زهقانه من ايه ؟ ..

ومجأة صرخت فى وجهى :

— زهقانه من عيشتى .. من دنيتى .. خلاص مش طايقة

نفسى ..

وسيطرت على اعصابى .. انها تشكو « الزهق » وهى لى
القاهرة ، وحولها اقاربها وصديقاتها .. وفى البيت فريجدير ،
وبطبخ منلج .. وأنا .. أنا المبعد وسط العرق والذباب والناموس
.. لا اشكو .. وليس من حتى ان اشكو .. بل على أن اخفف من
شعورها بالزهق ..

وقلت فى نهجة مسكينة :

— ما تروحي تعمدي عند مامتك شويه ..

وَصِيْرُ خُصْمَتِهِ :

— ماما ، ماما ، ايه التى كل شويه تقول لى روحى عند
مامتك ؟ امال انا كنت انحوزت ليه ؟

وقلت فی مومل :

— طيب روحى زورى حد من صاحباك . .

قالت وهي تصرخ :

— وهم صاحبانی جاپستیزی لغایه ما ازورهم .. زمان کل
واحدہ خدت چیزها ، وخردوا بتفسحوا .. -

قلت :

— اَمالِ حانِعلی ایہ ؟ ..

تأملت :

— حَا اَعْمِلْ اِلٰى حَا اَعْمَلْ ، ، خَلَّصْ مَا لَكَشِ دَعُوهُ بِي . .

وأقلت سماعة التليفون في وجهي ..

وحاولت أن أنسى .. حاولت أن اشغل نفسي بأى شيء ..
ولكنى لم أستطع وكلمة « زهقانه » طعن فى أذنى .. زهقانه ..
زهقانه .. زهقانه .. ماذا تفعل المرأة عندما تكون زهقانه ..
لإلاذ أنها الآن تطوف بحجرات البيت وهى مرتدية قميص النوم ..
القميص الوردى الشفاف .. وذراعاها البضتان مكتوفتان ..
ونهداها بطلان من فوق فتحة الأتھيس .. ومنعها الطويل منتصب
كشعاع النور يشقه خط ربيع من العرق .. وشعرها الحريري
يمهل فوق جـسـمها ووجنبيها .. وعياها مسترخيتان ملولتان ..
وشفتاها المكتنرتان مكسورتان كوردة تهم بالتفتح .. أنها مثيرة
مغرية عندما تكون فى قميص النوم فى يوم من أيام الصيف .. أمي ..
أعرف كم هى مثيرة ومغرية ..

ثم لا بد أنها تعبت من الطواف بحجرات البيت ، وتعبت من

.. ابننا الوحيد الصغير .. انها تريد شيئا آخر .. شيئا
.. شيئا يبدد من حولها المثل والزهرق .. شيئا يملأ هذا
الكبير .. ولابد انها خرجت الى الشرفة ، وهى يتميص
واظلت على ابن الجيران .. ائى أعرفه .. هذا الشاب
.. واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، وعلى الأخص ، من الخروج
منعت زوجتى مرارا من الوقوف فى الشرفة كلما كان هذا
الرشع واقفا فى نافذته .. ومنعتها ، على الأخص ، من الخروج
الى الشرفة وهى يتميص النوم ..

وليس معنى ذلك انى لا اثق فى شرف زوجتى .. ولكنى اعلم
بما مدلة ، خبنة العقل ان ترى جمالها المخير فى أعين الرجال ..
واخذت فى وحدتى وأنا فى الفيوم اتصورها واقفة على الشرفة
محصى النوم ، وهذا الشاب الرقيم أمامها ..

لأد أنها امتنعت له لتسلي نفسها .. واتسعت ابتسامتها ..
سمعت أكثر .. وذراعاها الضئيلتان المكشوفتان .. ونهادها ..
عنتها .. كلها أصبحت نهباً للأمينين الجادظتين .. !
وشهاديت في خيالي ..

★ ★ ★

لأمرها يتبادلان النحية .. ثم هو يلح عليها أن تخرج من البيت للبقاء .. وهى تتنجم كعادتها .. ولكنها تقبل أخيراً تحت ضغط وحدها والمثل الذى تعانيه .. ثم أنها تعلم أن أمامها ليلاً طويلاً مستقضيه وحيدة بلا زوج .. فلهذا لا تلغو فى جزء من هذا الليل . وحولت أن انزع من رأسى هذا الحبال الشرير ، فأتى اتفاق فى أن زوجتى امرأة شريفة .. ولكنها قالت لى أنها زهقانة .. والمرأة الزهقانة تستطيع أن تفعل أى شيء ..

ووجدت معنى انبساط في خيالي . . تصورتها وقد قبلت

مقابلته .. ودخلت من الشرقة لترتدى ثوب الخروج .. والتاير
الاصفر الذى يضيق حول جسدها ويرز كل قطعة منه ..
ونصورتها وقد التقيا فى مكان ما .. فى الجزيرة .. على باب
السينما .. فى اى مكان ..

ثم .. لقد امسك يدها .. انه يقول كلاما جميلا يشبع
غرورها .. والليل يزحف عليها .. وهو يقبل يدها .. ثم ذراعها
.. ثم يقبل عنقها ..

ان زوجتى زهقانة .. والمراه الزهقانة نستطيع ان نعمل اى
شئ ..

و .. قاما من مجلسهما .. وصعدا الى البيت .. والذئب
ظلام .. صاحبها الى بيته وهى تقف عند الباب مترددة .. هل
تدخل .. ان امامها ليلا طويلا مستقصيه وحيدة فى ملل وسأم ..
فلماذا لا تتدخل لتستزيد من الكلمات الحلوة ، والقبلات التى تندد
وحدنها وسابها ..

انها شريفة .. ولكنها زهقانة ..

وحطت داخل بيته ..

وانتفضت أنا من خيالى كالمجنون .. ولم ادر بمسى الا وانا
اجرى فى الشارع نحو موقف سيارات الأجرة ، ووضعت نفسى فى
احداها وانا اصرخ فى السائق ؛

— اطلع على مصر .. بسرعه ..

★★★

وطارت السيارة فى الطريق الصحراوي .. وانا مجنون ..
انصور زوجتى بين ذراعى هذا الشاب الرقيق .. فى بيته .. فى
بحيرة نومه .. والصحراء من حولي لونها اسود .. والليل اسود
.. واستغلت الطريق اسود ..

ووصلت الى بيتي ، وصعدت الدرجات تقفزاً .. وفتحت الباب
غناحى الخاص .. وبحثت عنها بعينين مجنونتين ..
انها ليست فى البيت .. والساعة التاسعة مساء ..
لاند انها معه .. فى بيته .. فى بحيرة نومه ..

وخرجت الى الشرقة ، وسلطت عيني على بيت الشاب الرقيق
.. ان النواخذ معلقة .. والنور مطفاً .. طبعاً .. لاند ان تكور
سواذ معلقة .. والنور مطفاً .. وعدت من الشرقة وأنا انخط فى
طع الاثاث .. وما كنت اخرج الى الصالة حتى رايتها داخلية من
اباب .. وصرخت فيها ؛

— كنتى فىين ؟

قالت فى هدوء ؛

— كنت عند ماما !!

وصرخت ؛

— عند ماما ، يا مجرمة ؟

ورفعت يدي وهويت على صدغها بكل قواى .. وصرخت
— حة حادة .. ووقعت حقيبة يدها .. ورفعت يدي مرة ثانية ،
وكنت صرختها بصفعة أخرى اقوى من الاولى .. وعادت
صرخ ؛

— يادهورتى .. الحقونى .. حاموت .. حاموت ..

ثم استدلت وجرت من امامى .. وخرجت من باب الشقة ..
وانا اجرى خلفها .. ونزلت السلالم تقفزاً .. وانا اتفزع خلفها ..
.. وقعت فوق السلم ..

وارتطم رأسها بحافة السلم .. فشبجت .. وسال دمها ..
وجأت ..

وهكذا تظلتها .. وبرائتى المحكة .. ولكن الناس لم تبرئنى ..

★★★

أيها الناس الظلمة .. قبل أن تحكموا على .. فليحاول كل منكم
أن يجرب ما حدث لي .. ليجرب أن يغيب عن بيته أياما ، ثم يسمع
زوجته أن تقول له بالهاتفون « أنا زهقته » .. يقولها في ليلة من
ليالي الصيف .. وليرى بعد ذلك ما يمكن أن يحدثه هذه الكلمة
الصغيرة في حياته .. إنها تقووه إلى الحنون .. إلى الجريئة .
ولعلكم بعد ذلك تعذروني .. وتبرئوني .. لكن لا أمل فائده
كلكم ظالمون .

في في

كنت لا أزال في التاسعة عشرة من عمري .. وكبت مندعما ..
حرما .. طالبا في كلية البوليس .. والحياة ضحكة كبيرة ..
بشيء أریده أصل إليه .. بالذوق .. بالعافية .. لاد أن أصل
إليه ..

وفي إحدى أمسيات الصيف .. كنت أسير مع شلة من
أصدقائي نجرب شوارع حينا .. الحقى .. نضحك .. ونعكس
السيارات .. يندخ السحائر .. كل اثنين مما سبجارة .. ثم وقفنا
.. مدوس النور .. وضحكنا لا تنتهي .. ورفعت عيني
بالصدفة إلى إحدى النوافذ ، فلمحت فتاة عيناها مسطرتان على .
وتبتسم .. وما كادت تلحظ أنني لمحتها حتى أخفت بعد أن قدفت
لي بأكبر ابتساماتها .. وكذبت عيني ، وعدت إلى ضحكات
الشلة .. وبعد قليل رفعت عيني مرة ثانية إلى النافذة .. ورايتها
واقفة فيها .. عيناها مسطرتان على .. وتبتسم .. وما كادت
لمس عيني حتى اختفت ..

رغم هذه المرة لم أكتب نفسي .. وبكل بساطة .. تركت الشلة
دون أن أقول لهم شيئا . ودخلت العمارة التي تطل منها الفتاة
وصعدت إلى الدور الذي أطلت منه .. ووقفت أمام باب الشقة التي
تدرت أنها تسكنها ، ورايت بجانب الباب لوحة مكتوب عليها
« المذكور » راعية المرجوشى » .. ولم أتردد .. فضغطت خرس

الياب ، وقررت اذا فتح لي رجل أو سيدة كبيرة أن أسأل عن محمد
أمندى .. ثم اعتذر بأنى أخطأت فى الشقة ..

وفتح الباب .. ففتحته هى ..

إنها أجمل مما صورتها ، وأصغر .. سمراء لا يزيد عمره
عنها الخامسة عشرة .. فوق وجهها اسماة كبيرة ، وعلى خديها
غمازتان ترتعشان ، وفى عينيها لمعة جريئة .. ترتدى ثوبا أزرق
منقطا بنقط كبيرة بضاء .. وفى قدميها شبشب بلا كعب ..
ووقعت برهة أنظر الى ثوبها .. أنه ثوب لا يبدو أنيقا ، ولا يبدو
مهلهلا .. ولكن خيل الى أنه ليس ثوبها ..

وظلت أنظر الى "صامتا" ، والغمازتان فوق خديها ترتعشان ..

وقلت فى لهجة حادة دون أن أضحك لها :

— عندكم تليفون ؟

قالت واللعة الجريئة فى عينيها :

— أيوه ..

وأخرجت من جيبى البطاقة التى تحمل اسمى ورقم تليفون

ببى ، وناولتها لها ، قائلا بنفس اللهجة الجادة :

— ابقى اضربى لى تليفون فى الزمرد دى ..

ثم نزلت السلم قبل أن أسمع ردها .. وقضيت ليلتى أحلم

بها .. فقد خلعت قلبي ..

وفى اليوم التالى اتصلت بى بالتليفون .. وانتصت أيام كثيرة

وهى تتصل بى كل يوم .. أحيانا ثلاث مرات فى اليوم .. وفى كل

مرة أحاول أن أقنعها بأن تتحدد موعدا للقائنا .. ولكنها ترفض ..

ما أقدرش .. أختى الدكتورورة نبوتى .. و .. وبدأت أجن ..

لا بد أن أصل إليها .. وأصبحت أصرخ فى وجهها .. وصعدت

الى شقتها أكثر من مرة .. ولكنها لم تكن تفتح لى الباب أبدا ..

كانت تفتح لى الدكتورورة .. أو رجل لا أعرفه .. واضطر أن أسأل

عن محمد أمندى !

ويعود تحادثنى فى التليفون .. وبصارحنى بحبها ..
يسطيع دائما أن تجد حجة حتى لا تقابلنى .. وكأنت سنى
حائنا ..

ومرة واحدة كنت عن حديث التليفون .. لم بعد بحادثتى ..
ومررت أمام بنينا عشرات المرات .. مئات المرات .. فلم أرها فى
النافذة .. وصعدت الى شقتها فلم تفتح لى الباب ..

فانصلت ببيتها بالتليفون ، برد على "صوت أحش" سألته :

— معنى موجوده ؟

ورد على "الصوت الأجش" :

— ما عندناش حد اسمه مبنى ..

ثم القى سماعة التليفون فى وجهى ..

توترت ثلاثة شهور وأنا حائر .. وبدأت حيرتى تنقلب الى يأس

.. ثم ذهبت مرة لزيارة صديقى عصام بمناسبة مرضه بالأمراض

.. وقضيت على جرسى الباب ..

فمحت لى .. هى ..

فيمى .. وكانت ترتدى ثوبا أقل أناقة من الثوب الذى رأيته

به أول مرة ..

ووقعت أنظر إليها وفى مفتوح كانى عبط .. والغمازتان فوق

وحنيني ترتعشان أمامى ..

وقالت فى لهجة بريئة :

— انتفضل ..

وفرت من أمامى قبل أن تتقدمنى داخل الشقة ..

وجلست مع صديقى نتحدث .. ثم سألته بصراحة :

— مين الللى فتحت لى الباب ؟

وقال صديقى مخدث :

— عايبك ..

قلت :

— أبدا .. أصلى ما شئتاهش عندكم قبل كده ..

قال :

* — دى بنت خدامه ، جاءت لما من يومين ..

وذملت .. أحسست انى طاعت فى كرامتى .. لتد خدعتنى ..
.. أحببت خادمة ..

وبعد يومين من الزيارة ، حادثتنى فىفى فى للتيفون ،
وصرخت فيها :

— عايزة ايه يا بت يا خدامه ..

وصرخت فى وجهى بكل وقاحة :

— انا مش خدامه ..

واشد النقاش بيننا . وعادت تحدثنى فى التليفون فى اليوم
التالى .. والذى يليه .. وأصبحت انسى كثيرا انها خادمة ..
ولكنى كنت أجد من الصعب على أن اطلب لقاءها .. وهى لم
تطلب أبدا لقائى ..

ونجاة انقطعت عن الحديث للتليفونى ..

وسألت عنها صديقتى عصام ، فقال ببساطة :

— سرقت فستانين من فستانين أختى .. وهربت !

قلت مذعورا :

— وبلغتم عنها البوليس ..

قال :

— أبدا .. الحكاية ما تستاهلش .. وأهى زى ما انت

عارف مست طيبة !

وانقضى عامان .. نسييت فيها فىفى ، أو كنت .. ثم عدت
مرة من الكلية ، فقلت لى أختى إن فتاة اسمها فىفى سألت عنى

.. فنون .. وتذكرتها .. الفمازتان اللتان ترتعشان فوق وجنتيهما
وثوبها الذى لا يبدو أنه ثوبها ..

وفى نفس اليوم دق جرس التليفون .. وكانت فىفى .. وقلت
أها ساحرا :

— أزيك يا بت .. انت لسه بتشتغلى خدامه ؟

ورمت السماعة فى وجهى دون أن ترد على .. ثم عادت بعد
بمسة واحدة ، وحادثتنى مرة ثانية ، وقالت سارخة بمجرد أن
سمعت صوتى :

— اسمع يا مددوح .. انا مش خدامه .. وعبرى ما كنت
بإيه .. مش عايزك تجيب السيره دى تانى ..

قلت وأنا لا أزال اتهكم :

— أمال كنتى بتعملى إيه فى بيت عصام ..

قالت محتدة :

— أنا أيامها هربت من بيت أختى الدكتور .. واضطريت أن
تسفل .. كنت عايزنى أعمل إيه يعنى .. أروح أبيع نفسى فى
سكك ..

وأحسست انى أميل الى صديقتها .. وارفع أمام خيالى
حيها الأسمر المبتسم .. والفمازتان .. والعينان .. أحسست
لى لا أزال أحبها .

قلت :

— يمكن ..

قالت :

— إذا ما كنتش مصدقتى ، انا مستعده أشوفك ..

واتفقتنا على أن نلتقى مساء يوم الجمعة ، قبل موعد عودتى
الى كلية البوليس ، أمام سينما ريفولى .. وقلت لها فى لهجة
السيد :

— الساعة ستة .. ستة وبقية حامشي ..

وفى الساعة السادسة الا خمسة وقفت امام سينما ويقولى :
وانا مرتدى بذلتى العسكرية وجاء بعض زملائي ووقفوا معي ..
محاولت ان اتخلص منهم .. حتى لا يروا فيفى عندما نلتى للقائى
٩ . كنت اخاف ان يروها وهى فى ثوبها الذى لا يبدو انه ثوبها ،
فيما يرونى بها . ولكنهم ظلوا واقفين حولى ، وقد عرفوا بحاستهم
السادسة انى على موعد مع فتاة ..

وفى الساعة السادسة بالضبط ، وقفت سيارة اجرة امام دار
السينما وفى داخلها فتاة انيقة .. انيقة جدا .. شعرها ..
والبروج فوق شفتيها .. وثوبها كانه مصنوع فى باريس .. و ..
و .. فتاة من الطبقة الراقية .. تشير لى .. وارتبكت .. من
هذه التى تشير لى .. واذا بها تنادىنى بصوت خافت .. ممدوح
٥ . تعال يا ممدوح .. واقتربت منها .. انها فيفى ، فيفى بعينها
.. وقد كبرت .. ونضجت .. وكتبت .. كل ما فيها شهى ..
لذيذ .. لذيذ جدا ..

لقد كنت واحدا .. انها لم تكن خادمة ادا ..

والنلت الى زملائي الطلبة ، وانا مرفوع الراس . وحينهم
بطرف اصمعى ، ثم ركبت السيارة بجانب فيفى .. وتركتم اثنيه
المصعوقين ..

وتحادثا طويلا .. حديثا حلوا .. رقيقا .. وطاقت منب
السيارة الاجرة طويلا .. ونزلنا منها عند كورنيش النيل ، وحاولت
ان ادفع الحساب .. ثمانية وخمسين قرشا .. فأسرعت وفتحت
حقيبتها وأخرجت ورقة من ذات الخمسة الجنيهات .. معها خمسة
جنيهاً ، وكل ما معى لا يكمل جنيئين ..

وقالت لى فيفى انها تقيم مع امها واختها نادية فى مصر

الحديدة .. وقالت لى انى حبها الاول والاخير .. وانها اخلصت
.. طول عمرها .. و .. و .. واعطتنى رقم تليفونها وطلدت منى
ان احادثها فى التليفون .. كل يوم .. وفى اى ساعة .. إلا أكد
انها دائما فى البيت .. ودائما فى انتظارى .. الى ان نقابل يوم
الخميس عندما اخرج من الكلية ..

وكانت لى طرقتى للخاصة فى استعمال تليفون. كلية البوليس
.. فكنت احادثها فى التليفون كل يوم .. ودائما اجدتها فى انتظار
حديثى .. الى ان كان يوم الاربعاء .. قبل يوم الخميس الذى
سألقاها فيه ، واتصلت بها بالتليفون .. نفس الرقم الذى استعملته
كل يوم .. وردت على امرأة يبدو انها عجوز : وسألناها :

— فيفى موجوده ؟

وقالت :

— ما عندناش حد اسمه فيفى ..

وذهلّت .. وعدت اتصل بها مرة ثانية .. وثالثة .. ورابعة
.. ودائما .. ما عندناش حد اسمه فيفى .. وفى مرة سألت من
اختها نادية .. فرد الصوت للعجوز :

— ست نادمه خرجت ..

والن فان لها اختا اسمها نادية وهى تقيم معها .. انها تكذب
لى .. ولكن أين ذهبت .. فيفى ..

وكنت أجن .. وانقضى أسومان وانا مجنون .. ثم فجأة ..
رمى يوم خميس .. اتصلت فى التليفون فى بيتى .. وقالت لى ان
ابها قد غيرت نمرة للتليفون تخلصا من المعاكسات .. فسألناها عن
النمرة الجديدة .. فقالت ان ابها تخفيها عنها وعن اختها لأنها
يهمها بأنهما يشجعان الشبان على معاكساتهما .. وقالت انها
ستتصل بى دائما ..

وتركتنى وأنا لا أستطيع تصديقها .. كيف تقول ان امها قد
غيرت الرقم ، فى حين انى لما سألت عن اختها ، فى هذا الرقم ،
قالوا لى انها خرجت ..

* وعشت حائرا .. من هى غنى .. هل هى خادمة .. هل هى
من بنات العائلات .. هل هى ساقطة .. ومن اين تأتى بهذه
الثياب اللغالية التى ترتديها ، بعد ان كانت ترتدى ثوبا لا يبدو انه
ثوبها .. ثم هذه النقود التى تملأ حقبتها ؟ ..

وكانت تتصل بى دائما .. وتتقابل كل خميس وجمعة ..
وعرضت عليها يوما ان نتقابل فى شقة أحد أصدقائى .. نعتبت ..
واختدت .. انها غفاة .. غفاة شريفة .. واعتذرت لها .. وبعد
بضعة اسابيع قبلت ان تأتى معى الى شقة صديقى ، فقط حتى
لا يراا الناس وأنا اسير بجانبها ببذلى العسكرية .. وهناك
عاملتها على أنها غفاة .. غفاة شريفة !

واصبحت احبها .. احبها فعلا .. ولكنى لا زلت حائرا فيها
.. من هى .. ما هى .. حتى اسمها لا تريد ان تقوله لى ، وكلما
سألتها اجابت ضاحكة :

— كفايه عليك دلوقت .. غنى .. وبمدين حانعرف كل حاجة .
وهرمت الى صديقى عصام ، فقال لى ان اسمها عندها كانت
تشتغل عندهم .. كان « نصبت » .. لا بد انه اسم مستعار ..
وفى يوم كنت أسير معها فى الجزيرة ، ومررنا بنادى الجزيرة
فقالَت :

— تيجى نقعد فى النادى ..

قلت :

— انا مش عضو ..

قالت :

— انا عضو ..

قلت :

— مش معقول ...

وابتسمت .. وأخرجت من حقبتها بطاقة مضيوية النادى ،
عليها صورتها ، وختم النادى .. وقبل ان انقط منها البطاقة
نرا اسمها ، اخفتها داخل حقبتها ، وهى تقول : ضاحكة :

— ممنوع ..

لا يمكن ان تكون خادمة .. ولكن لماذا لا تكون خادمة .. ربما
ساقطة .. ان للساقطات اللاتى ييمن أجسادهن هذه الأيام ..
يدو عليهن السقوط .. و .. انا احبها .. احبها .. احبها بعدد
سى ..

ثم .. ثم اخفتت .. وعدت مجنوننا .. ابحت عنها .. ولا
انام ..

فج .. تم بعد شهرين ، ظهرت من جديد ، وعليها بقايا هزال
.. وثوبها .. ليس اثبقا كما تعودت ان أرى ثيابها .. وتصرفاتها
ست مرحة ولا مسلية .. كأنها فقدت شيئا ..

وقلت لها انا اكاد اصغعها من غيظى :

— كنت فين ؟

تالت فى ضعف :

— كنت عيانة ..

وهذأت من غضى ، وقلت :

— اسمعى يا غنى .. أنا بأحبك ..

وقاطعتنى وعلى شففتها ابتسامة خيل الى انها ابتسامة
ساخرة :

— عارفه ..

— ما غير اتجوزك .. ولازم اعرف عنك كل حاجة قبل
بالتجوزك .. انت مين .. وأبوكى مين .. وعائشه ازاي .. و ..

وقالت وقد اتسعت ابتسامتها الساخرة :

— صحيح هايز تتجوزنى يا مدوح ؟

قلت :

— أنا بانكلم جد ..

قالت :

— أمني .. امتى تتجوزنى ؟

قلت :

— بكره .. النهارده .. دلوقتى .. زى ما انتى هايزه !

قالت لى تهكم :

— تتجوز خدله يا مبحوح ؟

قلت كانى اذافع منها :

— انتى مش خدابه .. ميرك ما كنت خدابه .. ازاي خدابه

وانت مضوه لى نادى الجزيرة ! ..

وسكنت قليلا ، ثم قالت :

— سيبنى أفكر .. بكره حاقولك رابى ..

ولم أرها فى الغد ..

أخفت ..

لم تعد أبدا الى حياتى ..

ولا زلت احبها ..

لا زلت حائرا .. من هى ؟ !

لم أعد طفلا

شاهدت فانت حياة لأول مرة ، عندما مثلت أول دور لها فى فيلم « يوم سعيد » .. كانت فانت حياة أيامها فى السابعة من عمرها ، وكنت أنا فى العاشرة من عمرى ..

واحببها .. صدق او لا تصدق .. لقد احببتها .. احبتها بكل ما يستطيع الحب أن يحمل الى طفل فى العاشرة من نقاء وأوهام .. أصبحت اذهب الى المدرسة وأجلس فى الفصل مسارحا وراء صورتيها .. وقد ضربنى المدرسون أكثر من مرة لعدم انتباهى الى الدرس .. ولكنى كنت اطلقى العلقة ، وأعود واسرح وراء صورة فانت .. وفى الطريق الى البيت .. وفى البيت .. والى أن سام .. دائما فانت معى ..

وأصبحت أحرص على أن أشاهد كل فيلم تظهر فيه فانت .. وأصبحت احفظ بكل صورة لها تنشرها الصحف والمجلات .. وكل هلى يصحكون على ويسموننى « مجنون فانت » ، ولكنهم لم يحاولوا أن يفهموا هذا الحب .. بل كانوا يأخذوننى الى الأفلام التى تظهر فيها فانت .. ويهددوننى اذا أخطأت بحرماتى من مشاهدة أفلام فانت ..

وكبرت .. ولم افق من حب فانت .. كبر حبى معى ..

وأصبحت أشاهد أفلام فانت أكثر من مرة .. بعضها شاهدته عشر مرات .. وأصبحت صورة فانت تملأ جدران حجرتى فى البيت .. واضعها بين صفحات كتبى ، والصقها فى داخل الدرج الخاص

بى فى المدرسة .. وصورة كبيرة لها فى اطار جميل بجانب فراشى .. وزدت على ذلك ، فأصبحت أحتفظ بكل قصاصات اللورق التى تكتب عن فائن .. وخصصت لهذه القصاصات ألواناً خلصاً ، الصتها فيه بعناية .. وأصبح عندى بدل الألبوم ، اثنان .. ثم ثلاثة .. ثم خمسة ..

وكبرت أكثر .. وتبينت حقيقة هذا الحب ..

انى لست مجنوناً .. انى أعرف بالضبط حقيقة هواطلى .. انى احب فائى التى أراها فى الأعلام .. احب فائى الفنانة .. ولكنه حب .. حب بكل ما فى الحب من عصى .. ولم أحاول أن أقاوم هذا الحب .. بالعكس .. ازدت استسلاماً له .. أصبحت وأنا فى العشرين من عمري لا أزال أجمع صور فائى ، وألصقها فوق جدران غرفتى .. ثم أجلس كل مساء الى الصورة التى بجانب فراشى ، وأحفظها .. أحفظها عن كل ما يجرى لى فى يومى .. وعن كل مشاكلى ثم أستمع الى رايها .. وأحس بها تنبسم لى أو تفضب منى .. ولم يكن هذا أيضاً جنوناً .. فكل انسان محتاج الى مناقشة نفسه .. وفائى هى نفسى .. هى للشخص الآخر الذى يعيش فى صدر كل انسان .. وابتنساية فائى لى هى ابتسامة لى نفسى عندما أكون راضياً عنها .. عن نفسى .. وغضبها منى .. هو غضبى على نفسى عندما يكون ضميمى ثائراً على شىء فعلته .. كانت فائى هى نفسى أناقشها .. وأروى لها أخبارى .. وعندما أنجح فى الامتحان ، أجرى الى غرفتى ، وأمسك صورتها وأصبح :

— أنا نجحت يا فائى ..

ثم أدور أرقص فى الغرفة ..

وكان هذا هو حى الوحيد ..

لم يكن لى حب آخر ..

ظللت حتى وصلت الى الثلاثين من عمري ، وليس فى حياتى اة .. لا حب ، ولا شبهة حب .. لقد حتمتى فائى من كل النساء او حرمتهن ..

وقد تزوجت فائى خلال ذلك .. تزوجت عز الدين ذو الفقار ، تزوجت عمر الشريف .. ولكن زواجها لم يكن له اثر فى حى .. لم يثر غيرتى .. ولم يجملى أيقى .. لقد كنت أنظر الى أبحا كأتى انظر الى أحد املاها .. وأحفظ بصورتها فى زواجها سمن الصور الأخرى التى تصورها فى ادوارها .. لم يكن لفائى فى سرى حياة خاصة ، حتى يكون لزواجها نفس المعنى الذى يحمله رواج اية فتاة أخرى .. كانت فائى فنانة .. فنانة .. فقط .. عشت مجرد انسانية ، ولكنها فنانة .. ولو رايتها بعينى رأسى تأكل لا اعتقدت أنها لا تأكل كبقية الناس .. او لحاجتها الى الأكل .. ولكنها تقوم بأحد ادوارها كفنانة ..

وأصبحت فى الواحدة والثلاثين من عمري ..

وأصرت أسمى على أن أتزوج ..

وأنت لا تعرف أسمى .. انها دكتاتورة .. اذا أصرت على شىء ملايد أن ينفذ .. وعبتا حاولت أن أقنعها بأننى لست فى حاجة الى 'زواج' ، وأسى أسعد مخلوق فى الدنيا ولست فى حاجة الى مزيد من السعادة ..

ولكن الديكتاتورة أصرت ..

وزوجتني من فتاة جميلة ، مثقفة ، ذكية ، طيبة .. ولكنى ما زلت احب فائى .. وتقلت معى الى بيتى الجديد كل صورها ، وكل الألبومات التى أحتفظ فيها بقصاصات الصحف .. شىء واحد نعيم .. وهو أنى لم أعد أستطيع أن أحتفظ بصورة فائى الكبيرة

بجانب فراشي فاحتفظت بها في غرفة مكنتي ، وكنت اخلو بها من مساء واحدها كعادتي .. ثم اذهب الى زوجتي .. ولم تكن زوجتي بالنسبة لي سوى عمل طلبت مني ان اؤديه ..

ولاحظت زوجتي منذ الايام الاولى لرواجنا حبى لفاتن .. ولاحظت عليها انها ربما كانت عاصبة .. او حائرة .. ربما بدأت نفا من فاتن .. ولكنها سكنت .. لم تطلب مني ان اتخلص من صور لفاتن .. ولم تسألني عن الساعات التي اقضيها في عرمة المكتب وجيدا مع صورة فاتن .. لم نخدش عن فاتن اطلاقا .. وكنت كلما دعوتها الى مشاهدة فيلم من افلام لفاتن .. ذهبت معي دون اعتراض .. بل انها ذهبت معي لمشاهدة فيلم « لا ايام » ثلاث مرات ..

الى ان كان يوم .. ودخلت مرة فوجدت زوجتي واقفة في غرفة النوم تنظر داخل دولابها الخاص الذي تحتفظ بمفتاحه .. وما كادت تحس بي ، حتى ابتعدت عن الدولاب في ارتباك ، واعلقتني بالمفتاح ، ثم نزع المفتاح من القفل ودسسته في حبيبي .. وومض امامي مرتبكة ، ووجهها محترق ..

وانارت هذه الواقعة انتباهي .. ولكنني تلميت عنها .. ولم احادثها بشأنها .. الى ان مر اسبوع ، وضبطتها مرة ثانية في نفس الموقف ، تنظر داخل دولابها .. وتكرر منها نفس الارتباك الذي اعتراها اول مرة .. وسكت ..

ولكنني لم اهدأ ..

كنت حائرا .. تملأني شكوك لا استطيع ان اصدها ولا استطيع ان اتخلص منها ..

ثم حدث يوما ان كنا في غرفة النوم ، وتركنتي زوجتي ودخلت الحمام .. وسقطت عيني على دولابها .. فرايت المفتاح في القفل ،

وكما يفعل اللصوص ، قمت على اطراف اصابعي ، وسبحت للدولاب ..

ووقلت مبهوتا .. لقد وجدت ..

اتدري ماذا وجدت داخل الدولاب ؟

لقد وجدت صورة عمر الشريف .. !

واغلقت الدولاب ، ولم ادر ماذا افعل .. لم استطع ساعنها .. اسين حقيقة عواطفى .. وعادت زوجتي .. ونظرت في وجهي وقالت :

— مالك ؟ ..

قلت :

— حبيبي .. عندي شوية مفص بسيط !

وقضيت بعد ذلك اياما قلدا حائرا .. ان زوجتي تحب عمر الشريف .. وحاولت ان اتنع نفسي بانها تحبه كما احب فاتن .. تحبه كفتان .. وبدأت اتذكر انها تحرص دائما على مشاهدة كل افلامه .. وانها في مناسبات كثيرة كانت تبدي اعجابها به كفتان .. وحاولت ان اعطيها الحق في حبه ، ما دبت اعطيت نفسي الحق في حب مان .. ولكنني لم استطع ، وكان على ان اواجه نفسي بالحقيقة .. اني اغار من عمر الشريف .. نعم .. اني اغار منه ..

والهم انني في خلال هذه الايام بدأت اعمل حبى لفاتن .. ثم اعد قلب في صورها التي احتفظ بها .. واصبحت كلما خلوت الى صورتها في غرفة مكنتي .. تبعد عني الصورة .. تخفيها عني عواطفى نحو زوجتي وغيرتي عليها من عمر الشريف .. بل اني اصبحت اختصر اوقات هذه الخلوة ، واجرى لاجلس مع زوجتي حتى لا اتركها تخلو مع صورة عمر الشريف ..

ودخلت يوما الى زوجتي ، وكانت جالسة فوق السرير بقميص

النوم وما كادت ظهنتى حتى أخفت تحت الوسادة شيئاً كان فى
بديها .

انى احرق هذا الشيء ..

انه صورة عمر الشريف ..

ولم اتكلم ..

ولم استطع النوم ، وصورة عمر تحت وسادتي .. اننى مهما
سأدبت فى حبي لفاتن ، فلم أضع صورتها أبداً تحت وسادتي ،
لا قبل الزواج ولا بعده .. ان زوجتى مجنونة .. ومن يدري لعلها
سحب فى عمر الانسبال لا الفنان .. حتى لو لم تكن تنصل به ..
فربما تتمناه .. ربما تفضله .. كرجل .. عنى ..

وكدت اجن ..

احسبت بالنار تشتعل فى فراشي .. وزوجتى بجانبى نائمة فى
هدوء لا تحس بنارى .. وفى الصباح .. ولم أكن قد أغضبت عسى
طول الليل لحظة واحدة .. لم أستطع ان أسيطر على اعصابى ..
وقابت المخدة ، ثم أمسكت بصورة عمر ، وقلت وانا افعل الهدوء :
— اننى بنجى عمر الشريف ؟

وقالت زوجتى فى حياء :

— أيوه ..

واخذت اروح واغدو فى الغرفة ، وصورة عمر فى يدي وثورسى
خفى صوتي ..

وقالت زوجتى فى براءة :

— انت زعلت ؟ ودى فيها حاجة دى ؟

وقلت صارخاً :

— ده لعب عيال .. اننى كبرتى خلاص يا ست هاتم ..

وقالت كأنها تتحدثنى :

— طيب ما انت كبير ، وبتحب فاتن حمامه ..
وكنت قد نسيت فى تلك الليلة حى لفاتن : صدق ولا تصدق ..
لقد نسيت حى .. هبطت من السماء التى عشت فيها طول حياتى ،
ووقفت على الأرض تعذبني الغيرة على زوجتى ..
وصرخت :

— انا باحب فاتن كنانة .. و ..

وقالت تقاطعنى وهى تصرخ مثلى :

— وانا باحب عمر كففان ..

وعدت أسرخ :

— فنان واللامش فنان .. دى مرقعة بنات .. دى قلة احترام
لبتك وجوزك .. اذا كان على فاتن أنا بمستعد أقطع كل صورها ..
سواندفت الى غرفة مكتبى كالمجنون .. وامسكت بصورة فاتن
وهيمت ان أمزقها .. ولكن زوجتى لحقت بى ، وامسكت بيدي
.. وقالت وهى تبتمس :

— ما تقطعش صور فاتن .. خذ صورة عمر قطعها لو كنت
عايز .. اصلى باحب فاتن اكتر من عمر ..

ووقفت انظر اليها مشدوها ، وهى تبتمس لى .. ابتسامة حلوة
حانية .. واحسست انى افقت .. افقت من غيرتى من عمر ، ومن
حى لفاتن .. واحضنتها ..

واحسست انى اريد ان أبكى على صدرها ..

وانسلت الى مرحلة اخرى من عمرى .. اجمل ايام عمرى ..

وكانت جلستى امام دكان النقاله هى نزهتى الوحيدة .. ارقب
حلالها الناس المارين فى الشارع ، وارقب صديقى السيد نظمى .
وهو يغازل البنات المترددات على دكانه .. ان السيد نظمى قاموس
فى كلمات الغزل ..

ولم لكن اعترض على غزل السيد نظمى للبنات .. ولم احاول
مرة ان اشركه فيه ، فله دينه ولى دينى .. وعلى العكس كنت اجد
فيه كثيراً من التسلية ، توفر على الذهاب الى سينما شبرا ..

ولكننى لاحظت ان السيد نظمى يتجرا على مغازلة كل البنات
الا واحدة .. فتاة فى التاسعة عشرة من عمرها .. بيضاء ..
شعرها أصفر .. وعيناها فى لون البرسيم ، مبتلئة القوام قليلا ..
وكانت تأتى الى الدكان وتشترى ما تحتاج اليه وهى جادة ..
أكثر من جادة .. كأنها غاصبة .. ثم تنصرف دون ان تتكلم او
تسمح لأحد بأن يكلمها ..

وسألت السيد نظمى مرة ، لماذا لا يتجرا على مغازلتها رغم انه
احمل زبونات ، فأجاب سيادته :

— لا يا فوزى أفندى .. ما لناش دعوه بيها .. دى اصعب
تركبه ورأسها ناشف ..

وضحكت بنى وبين نفسى .. وحيدت الله ان قاموس السيد
نظمى لا يستطيع ان يصل الى كل البنات ..

وكان السيد نظمى يفيب عادة من دكانه فى الساعة السابعة
مساء ، ريثما يذهب الى بيته ويعود بعد قليل ، وكان فى هذه الفترة
يعهد الى بالدكان لثفته بى .. وهى ثقة لا زلت أعتز بها .. وهذه
النسرة هى عادة فترة ركود تجارى ، ينقطع خلالها تكثر الزبائن .
ورغم ذلك فلو صادف وجاء زبون ، فأتى لا اتردد فى ان ابيع له

بنت السلطان

اسمى : فوزى فهمى .. واذا أردت ان تكون دقيقا ، فان اسمى
بالضبط هو : فوزى أفندى فهمى !!
عمر الا ٢٥ سنة ..

وانما انسان جاد .. طول حياتى حاولت ان اكون انسانا جادا .
ومنذ تسع سنوات نلت شهادة الثقافة العامة ، وعينت موظفا فى
مصلحة السكك الحديدية .. درجة تاسعة .. المرتب عشرة جنيهات
.. ولم يكن يهمنى ابدا انى لم أتم تعليمى .. او ان مرتبى ضئيل
.. كان كل ما يهمنى ان اكون انسانا جادا .. وكنت قد وضعت
نفسى مجموعة من المقاييس والاوزان ، أحرص عليها فى دقة ..
وكل تصرفاتى ، وكل تصرفات الناس نحوى تدور حول هذه المقاييس
والاوزان ..

انى اختار ثيابى بحساب ، واسوى شعرى وشنبى بحساب ،
واذهب الى المصلحة بالدقيقة ، وفى الساعة الثانية والرابع تهما
تجدنى أتناول غذائى فى بيتى مع والدتى .. واستطيع ان احدد لك
بالضبط ماذا سيكون غذائى فى يوم الاثنين الأول من شهر يناير
عام ١٩٦١ ..

وفى الساعة السادسة مساء اخرج من بيتى ، واتوجه الى
شارع خلوصى — بشبرا — واجلس امام دكان صديقى السيد نظمى
هلال النقال وولده .. وولده لا يهمنى فى قصتى ، لانه لا يتجاوز
العام الثالث من عمره ..

ما يريد ، اذا كان ما يريده لا يحتاج الى مهارة خاصة : اسبرين ؛
ساكو شاي ، ابرة وابور جاز .. الخ ..

وحدث يوما ، بينما كنت في الدكان مكان السيد نظمي أن جاءت
المائة التركية ، وطلبت في لهجة حازمة :

— اسبرين من فضلك !

واربكت .. ولا ادري لماذا اربكت .. ربما لان السيد نظمي
كان قد رسم لها في مخيلتي صورة قاسية .. وربما الانى كنت
اعتبرها اجمل بنات الحي .. وناولتها الاسبرين ، واخذت منها
الثمن ، وأنا لا استطيع أن ارفع يدي الى وجهها ..

وبعد يومين .. وفي نفس الوقت .. جاءت مرة ثانية :

— اديني ربع اقة حلاوة طحينيه !

واعترضت .. طلبت منها أن تنتظر حتى يعود السيد نظمي
وولده .. لاني لا استطيع أن اتحمل مسؤولية وزن الربع اقة .. ارا
فقط ابيع الأشياء التي لا تحتاج الى وزن او مساومة .. ولكنها لم
يقل اعتذاري .. انها تريد الحلاوة حالا .. ثم دخلت الدكان ،
وبحثت قاتلة :

— اوعى انت ..

وامسكت بالسكين الكبير ، وقطعت في لوح الحلاوة الطحينية ،
ووزنت لنفسها ربع اقة .. ودفعت الثمن .. وانصرفت .. وأنا
اربعش .. ووجهي مبتنع .. لا ادري ماذا اتول ولا كيف اتصرف ..
ولم يغضب مني السيد نظمي عندما هاد ، بل ضحك قائلا :

— أنا عارفا .. عقل تركي ..

وتكرر حضور قدريه — وكنت قد عرفت اسمها — في المواعيد
التي يتقرب فيها السيد نظمي من دكانه .. ولم تعادني مرة ..
او تبسم لي .. فقط تطلب ما تريد وتشي .. الى أن كان يوم جاءت

طاب شراء اسبرين ، وناولتها ترصين ، وأنا صامت ، لا ارفع
يدي اليها .. ودفعت الثمن .. ولكنها ظلت واقفة وهي تنظر الى
يدي ثابت ، ثم قالت :

— بفكر الاسبرين يضيع البرد ؟

ونظرت اليها ، واربدت نظرتي سريعا .. كأنني خفت من
حمايتها وخفت من عقلها التركي .. خفت من نظرتي اليها .. وقلت
في ناعث كائن مخاطب بنت السلطان :

— والله يا اقدم .. بذر الكتان احسن ..

قالت في لهجة آمرة :

— طيب اديني بذر كتان ..

قلت لبنت السلطان :

— مايفيش عندنا .. أنا أسف .. انها موجود في الاجزخانه
الى حسنا ..

وقالت الآمرة :

— طيب تعالى ..

ووقفت مشدوها لا اهتم ماذا تريد .. فشخطت في وجهي :

— تعال اشتره من الاجزخانه ..

وخرجت من الدكان صاغرا ، وسرت وهي بجاني ، وركتاي
مرسهان حتى وصلنا الى الاجزخانه .. واشتريت لها بذر الكتان ..
ودفعت لي الثمن .. ثم ادارت ظهرها .. وانصرفت ..

وعادت مرأت اخرى .. والموقف لا يعبر .. ارتجف كلها
رايتها .. وانظر اليها كأنها نجم في السماء ، يتنازل احيانا ويطل
على الأرض .. ولا اخفى عنك أن اهتمامي قد زاد بها .. وجمعت
عنها بعض المعلومات .. انها تسكن في نفس الشارع .. شارع
خلوصي .. وهي طالبة في مدرسة الفنون الطرزية .. وجميع شئس
الحي يرمونها ، ولا يجري أحد على مغاللتها ..

وفى يوم جاءت الى الدكان .. فى نفس الموعد الذى يتعقب فيه
السيد نظمى وولده .. وطلبت شراء « كمون » .. وارتيكت ..
ففى لا اعرف مكان الكمون فى الدكان .. فاذا بها تدخل الى
الدكان وبهاى لتدلى على مكانه : ثم تنس فى يدى ورقة ، دون ان
تتكلم .. وارتمشت يدى فوق الورقة .. وخرجت ..

وانطرت الى ان فابت عن مئى ، وفحت الورقة ، وقرات فيها
« انتظر غدا ، على محطة ترام النوفيقية ، الساعة السادسة » .

وارتكت مغاييس حياتى .. فلم يكن من بينها مقياس لمثل هذا
الموعد .. واربتك يومى كله .. واربتك تفكيرى ، وقلبى .. ولكنى
قررت ان احتمل كل هذا ، وان اجازف بكل الماييس والموازن فى
« ميل بنت السلطان .. والواقع اى خمت .. خمت من كل هذه
لضجة التى بدأت تزحف على حياتى .. وذهبت الى الموعد ، وانا
ايضا خائف .. خائف منها ..

وانطرت .. ربما انتظرت طويلا .. ولكنى لم انظر الى ..
بعد الساعة الثامنة .. ليس اكثر من ساعتين .. ولم تحضر .
وعدت الى البيت ، وقد ضاعت منى — لأول مرة — جلستى امام
دكان السيد نظمى وولده ..
ولا اكتمل انى لم اتم ليلتها ..

وفى اليوم التالى ذهبت الى دكان السيد نظمى .. ومعدتى
مرتعى .. واخذت اتطلع الى الطريق ، فى نظرتى مختلصة .. ثم
نام السيد نظمى وذهب الى بيته ، وبقيت وحدى فى الدكان ،
ومعاجة ، رايتها امامى .. قدرية .. بنت السلطان .. ولم يتبسم :
ولم ننكلم .. لم تطلب حتى شينا تشتريه كعادتها .. اما دست
سدى ورقة ، وانصرفت ..

ايها تعذر .. لم يستطع ان يعادر البيت .. وهى تحدد اليوم
الى .. نفس الموعد .. ونفس المكان .. وذهبت ..

وانتظرت .. وبعد نصف ساعة جاءت .. ولكنها لم تنف ،
وله تحادثتى .. اشارت الى بطرف عينيها وبهزة خفيفة من يدها
ان اتبعها .. ونمتعا .. اسير وراءها ، الى ان وصلنا الى اول
شارع شمرا .. فتجملت حتى اذتربت منها .. وقفزت فى احدى
سيارات التاكسى ، وهى نهمس :

— تعال ..

ثم استعردت :

— قول له يطلع قوام ..

قلت :

— على من ؟

قالت :

— اى حته ..

قلت وقد بدا العرق يتصبب من يدى :

— يعنى .. بس قولى حضرتك .. اصل ..

ونظرت الى فى حدة ، ثم قالت للسائق :

— كازينو الحمام ..

وذهبت الى كازينو الحمام ، وقادتنى الى خيمة بعيدة تظللها
قروع تخفيها عن اعين الناس ، وجلست بجانبها وانا لا استطيع
ان اتكلم .. كائن انتظر منها ان تطلب قرص اسبرين .. او باكي
شاي .. وربما تعمدت ان تكشف عن مساقبها قليلا ، او تميل
على اكثر من اللازم .. ولكنى كنت فى حالة من الارتباك والرهه
بحيث لم استطع ان اتول شيئا ، او امد يدى اليها ..

وانصرفنا بعد ساعتين ، وهى تبدو جادة كما هى ، قاسية ..
وانا اسير بجانبها كالفندول ..

وبعد يومين قابلتها مرة ثانية ، وركبنا سيارة تاكسى ، وقلت
كائن اعرف الطريق :

— كازينو الحمام ..

مقاتل في حدة :

— لا ..

ثم استطردت تخاطب السائق :

— أطلع على الدقي !!

وغاص قلبي في صدري .. خفت .. فلم أكن أدري إلى أين
ساخذي .. ولم تكن لي من التجارب ما يؤهلني لأن أحتمل هذه
التجربة ..

وبقيت ساكنا .. وكل شيء في داخلي يرتعش .. إلى أن
دخلنا فيلدا في الدقي .. كان الجو الذي يحيط بالفيلدا يوحى إليك
أنها أعدت خصصا لاستقبال هذا النوع من النساء والرجال ..
وفتحت لنا الباب سيدة في حوالى الأربعين من عمرها ترتدى
الملابس الفاتمة وتضع على وجهها أصباغا فاتحة ، وتطل من عينيها
بظرات حازمة .. وقادتنا إلى غرفة .. غرفة نوم .. وأغلقت
الباب علينا .. ثم انصرفت ..

وقالت بنت السلطان :

— معاك جنينه ؟

وكنت مستعدا لمثل هذه الاحتمالات .. أحمل في جيبى كل ما
أدخرته .. فأعطيتها الجنية ، وخرجت به .. وربما أعطته المرأة
التي فتحت الباب .. ثم عادت .. وجلست بجائني .. ولاحظت
أنها التصقت بي أكثر من اللازم .. وأنها كشفت ثوبها من ساقها
.. ثم قالت :

— أف .. الدنيا حر !

ثم جلعت جاكيت التابير ، وظهر لحم كتفها وصدرها في لون
الشفرة .. ورغم ذلك فلم أكن أستطيع أن أفعل شيئا .. كانت

رهبة تهزني .. والخوف يملأ صدري .. لم أكن أستطيع أن أحرر
أحاسيسي بأني جالس في حصرة بنت السلطان ..

وبعد فترة قامت من جانبي ، وأردت الجاكت ، ثم خرجت وهي
تقول :

— دقيقة واحدة من فضلك !

وبقيت جالسا في انتظارها .. كم انتظرت ؟

وربما أكثر من ساعتين .. إلى أن فتح الباب ، ودخلت المرأة
في فتحت لنا الباب والتي عرفت فيما بعد أن اسمها هزيمة ..
صبطت صدرها قائلة :

— أنت لسه قاعد .. دي ست قدرية خرجت من زمان ..

وازداد ارتباكى ، دون أن أحيّر جوابا ..

وعادت هزيمة تقول :

— ده انت باين عليك خام حاص .. ويريني كده ..

ثم اقتربت مني ، وأخذت وجهي بين يديها .. ثم انصت على
نفسها .. ولم أكن أشعر نحو هزيمة بنفس الرهبة التي
أشعر بها نحو قدرية .. فبادلتها القبلات .. وانسقت معها إلى
خز الطريق ..

لقد قلت لك اني رجل جاد .. حياتي كلها تدور حول مجموعة
من المفاتيح والموازين .. وقد أصبحت هزيمة ضمن هذه المفاتيح
الموازين ، أذهب إليها كل مساء في الساعة الثامنة .. وقبل ذلك
ذهب لأجلس أمام دكان صديقي السيد نظمي هلال وولده ..
وأستظر إلى أن تأتي قدرية ، وتقول لي في لهجة بنت السلطان :

— أدنى اسبرين من فضلك !

فأعطيتها الاسبرين وقلبي واجف .. لا أستطيع النظر إلى
.. .. !!

بلاكسرامه

كنت أجلس في مقهى «الدونيه» بروما ، وآثار انفلونزا ، مضى عليها عشرة أيام ، لا تزال تنهش في رأسي ، وتكوى أذني . وتثقل جفوني ..

وعندما تجلس في مقهى «الدونيه» لا ترى إيطاليا وحدها ، ولكنك ترى العالم كله .. أنه مقهى يقع في شارع «بافانو» أحد الشوارع المشهورة في أوروبا كلها .. وروادة كلهم من الأجانب الأمريكيان ، وألمان ، وإنجليز ، وعرب ، وسنغاليين .. و .. و .. و كلهم من الثراء ، أو من النجوم .. نجوم السينما ، أو السياسة .. أو نجوم المال !

وهي متعة كبيرة أن تجلس في مقعد ، ترتب العالم وهو يمر من أمامك .. وكنت استمعين بهذه المتعة على مقاسمة آثار الانفلونزا ، عندما سقطت عيناى على فتاتين تجلسان إلى مائدة قريبة .. جيلتان .. لا تزيد عمر كبراهما عن الخامسة والعشرين .. وكل منهما ترتدى ثوبا أثيقا .. كل شيء فيهما أثيق .. الحذاء .. السوار .. الانسامة .. ولفاتات العينين .. اناقة ليس فيها .. الصغرى منهما لها وجه لا تستطيع أن ترفع عينك عنه .. وانسامتها تطل من تحت سستين بارزتين بروزا خفيفا .. وتسلل إلى قلبك ، وتكاد تأخذ .. والاثنان منهكتان في حديث طويل .. لا ينتهى .. ولا تنظران إلى أحد كان كلا منهما قد اكدنت من العالم ، بالأخرى ..

واحدته أحاول أن أرسم لكل منهما قصة من خيالي .. من أين ما .. لعلها من ألمانيا .. لعلها من إنجلترا .. لعلها من .. ومن يدري ربما كانت صغراها ابنة المليونير العالمي .. أسس .. وعندما أحترت في تحديد جنسيتها ، قررت — بنيتي .. نفسى انها من أمريكا .. فإن الشخص الذي لا يبدو على .. خطوط واضحة تحدد جنسيتها ، غالبا ما يكون أمريكيا ..

وبخلت الصغرى ابنة مليونير أمريكي .. عاشت حياتها في .. كبير ، ونلت علومها في مدرسة داخلية للبنات ، وقضت عاما .. واحدة في الجامعة .. ثم خطبت .. وتزوجت منذ أسبوع واحد ، جاءت إلى إيطاليا مع عريسها لقضاء شهر العسل .. لابد أن عريسها زهير الآن ليحدث عن تذاكر لمباريات الأولمبياد ، بينها هي حاضرة في انتظاره مع صديقتها .. و ..

وقطع خيالي صديق عربي جاء وجلس بجانبى يتحدث إلى .. ولاحظ خلال الحديث أنى ما زلت أنظر من تحت جفوني الثقيلة إلى ويتنعم عيني .. ثم ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

— هل معك عشرون ألفا ؟

واعتقدت أنه يريد أن يقتضى ، فقلت على الفور :

— معى ..

ووضعت يدي في جيبى لأخرج العشرين ألفا ليرة .. وهو ساوى — بالسعر الرسمى — حوالى خمسة عشر جنيفيا ..

ولكن صديقى لم ينتظر حتى يأخذ منى النقود .. بل قام على الفور وأوجه إلى الفتاتين ورايته يصافحهما ببساطة ، ثم انحنى .. حاطب العانة الصغرى .. ورايتها بعد لحظه تقوم واقفة ، ثم أتى معهما إلى مائدتنا ..

ووقعت استقبلها ، وقد رمعت الدهشة جفونى الثقيلة من فوق .. واطارت آثار الانفلونزا من رأسي ..

لقد نهبت ماذا كان يقصد صديقى عندما طلب منى العشرين
الف ليرة ..

وقدمها الى باسبا :

— روسانا ..

واختصر اسمى وهو يقدمنى اليها :

— حسن ..

وجلسنا .. وأنا مخرج ، مرتبك ، لا أستطيع أن ألتقط طرف
حديث أبداه معها .. وبعد قليل ، غمز لى صديقى بعينه ، ثم قام
مورا ، واستاذن ، وابتعد .. وأنا الهك وراءه بعينى ، كأتى
استغيت به الا يتركنى وحدى .. !

ولكنه تركنى .. معها .. جالسين على رصيف مقهى الدونيه
والعالم يمر من أمامنا !

وازددت ارتباكاً . مرت لحظات طويلة وأما احث فى راسى
عن كلمات اقولها لها .. والذين يعرفوننى ، يعرفون ابنى أستطيع
أن اثرت بقلبي ، ولا أستطيع أن اثرت بلسانى ..
وسمعتها تقول :

— هل تريد أن ننصرف من هنا ؟

وانفتت اليها وقلت فى ارتباك :

— لا .. ولكن صديقى سيعود الآن .. حالا !

وقالت وابسامتها الاثيقة الرقيقة تطل من تحت منثبها
البارزتين :

— هل يجب أن تنتظره ؟

قلت بسرعة :

— نعم .. نعم ..

وسكتت وهى تهز كتفيها بلا مبالاة ، وابسامتها تزداد رقة
واناقة ..

وكان على* بعد ذلك أن أبداها اى حديث ، والا اعتقدت انى
أعتمد افعالها .

وقلت ومسخونة الخجل — لا مسخونة الانفلونزا — تشعل
محتى :

— لقد كنت اتخيل الآن قصه أدت بطلها ..

قالت فى صوت رقيق :

— انا ؟

قلت :

— نعم .. انت .. لقد نذلكت انة مليونير أمريكى ، تربيت
فى عصر .. وتزوجت فى الاسبوع الماضى ابن مليونير أمريكى آخر ،
وجئت الى روما لقضاء شهر العسل .. و ..

وريت ضحكها رسنا رقيقا ، وقالت :

— يا ريت ..

قلت :

— هل كذب خيالى ؟

قالت وهى لا تزال تضحك :

— جدا .. انك على الأقل عرفت من اسمى انى ايطالية ..

ومر بنا جرسون المتهى : داستوقفته وسألنها ، وقد بدا
الارتباك يزايلنى :

— ماذا تطلبين ؟

قالت :

— ألا تريد أن تذهب الى مكان آخر ؟

قلت وقد بدأت ارتبك من جديد :

— أن صديقى على وشك أن يعود .. لقد قال لى بالعربية انه
سيعود ..

وهزت كتفيها بلا مبالاة ، ونظرت الى الجرسون ، وقالت :

— برونو ..

وجاء لها بكأس من البرتو الأحمر .. وقالت وهي تلمس مفتيها حافة الكأس :

— هل تتخيل دائما قصصا عن الناس ؟
قلت :

— أحيانا .. وأحيانا يصدق خيالي ..
قالت :

— ولكنه كذب معي ..
قلت :

— دعيني أسمع الحقيقة .. حقيقة قصتك ؟
قالت :

— ليس لي قصة ..
قلت :

— كل إنسان له قصة ..
قالت :

— ولكن قصتي بسيطة .. لا شيء فيها .. لا تصلح حتى لمجرد الحديث عنها ..

قلت :

— لنسمعها .. على الأقل لنقارن بينها وبين خيالها ..
ونظرت إلى في حمة ، وقد بدا وجهها يكسو الغضب %
وقالت :

— لماذا تريد أن تسمع قصتي .. ؟
قلت ببساطة :

— لأنني كاتب قصة ..
وانقسمت ، وقالت :

— ظننتك مجرد ثرثار .. هل تعرف أنني من هواة القصص ..
أنى ذوب في قصص البرتو مورانيا ..

وأخذنا نتحدث عن قصص مورانيا .. تكاد تحتفظها كلها عن ظهر قلب .. ثم عدت أقول لها :

— دعينا نسمع قصتك ..

وانقسمت كأنها تشفق على من لهفتي .. ثم قالت :

— حسنا .. أسمع ..

وبدأت تروي قصتها .. بسرعة % واختصار .. كأنها تقرأ علانا في صفحة الإعلانات الموبة ..

كنت في الساعة عشرة .. موظفة في بنك ، وأدرس في المؤقت معه لئيل ديلوم من مدرسة التجارة .. وقابلت برونو .. أنه طبيب شاب ، تخرج في نفس العام الذي التقينا فيه .. مهذب .. هادئ .. رائع .. لم يكن مه عيب إلا أنه أضعف من أمه .. وأحبته ..

لا تتصور كم أحبته .. أصبحت حياتي كلها هي برونو ..

ولم يكن ينوب حنا إلا خوفه وخوفى من أمه .. ثم .. ثم .. ثم أخذني برونو إليها .. إلى أمه .. وكان قد مضى عام على لقائنا .. وتبدد خوفى ..

إنها لم يست كما كنت أعتقد ..

إنها حلوة .. رفيقة .. طيبة .. مريحة ..

وابتسمت لي كأنها تبارك حبي ..

وأصبحت صديقتها .. أسأل عنها بالتليفون ، وتسال عني .. وأزورها لأجلس بجانبها إذا مرضت .. وأرسل إليها هدايا صغيرة ، وأرسل لي هدايا كبيرة ..

وجعلتني صداقتي لام برونو ، اعتر نفسي خطيئته .. لانام
تحدث عز الزواج .. ولكنه كان شيئا مفروضا بيننا نحن الاثنين
.. وكنت امنحه كل حقوق الخطيب .. اسبح كلامه .. واتحدث عنه
امام امي واخوتي ..

ومضت اربع سنوات على حبنا !

وفي كل شهر ، سبب يؤجل زواجنا .. بسبب اصدقه بسهولة ،
وبلا مناقشة ..

ثم .. اتصلت بي احدى صديقاتي صباح احد الايام ، وصاحت
تائها تنعي الى قلبي :

— هل تعلمين ماذا حدث ؟

قلت وانا اثناءه :

— ماذا ؟

فالت :

— لقد تزوج برونو !

وقفزت فوق فراشي والهلع يمزقني :

— متى . وكيف ؟ !

فالت :

— امس .. الم يقل لك ؟

ولم اصدقها .. مستحيل ان اصدقها .. لقد كان برونو معي
حتى اول امس .

واتصلت به بالتليفون ، وما كاد يسمع صوتي ، حتى قال قبل
ان اساله شيئا :

— يستحسن ان نقابل ..

ولا ادري كيف ارتديت ثيابي .. ولا كيف ركبت الاوتوبيس ..
اني البت .. وامام عني ضباب كثيف ، لا اكاد اري من خلاله

شيئا ..

ووقف امامي برونو .. وراسه منكس على صدره ..
.. سطيع ان ينظر الي .. ومهت ..

صدقت صديقتي ..

ورفع برونو راسه ، وقال :

— ان امي كانت .. و ..

ولم ادعه يتم .. تركته وجريت عائدة الى بيتي .. ودموعي
دني وتكاد تغطي بي على الارض ..

والالم .. انك لا تتصور مدى هذا الالم .. اربع وعشرون
ساعة في اليوم ، وكل شيء في متقلص .. وحفوني لا تنسدل ..

شيئا بلا جنون .. ودموعي لا تكف عن عيني .. فموج هستيرية
نبا من قدر يغلي في داخلي ..

وكنت اعلم ان معي هذا الالم ليس حتى ، ولكنه كرامتي ..
كرامتي التي مزقها برونو واه ..

وكان علي ان احتمل الالم .. او انسي كرامتي ..

ولم احتمل الالم ..

ونسيت كرامتي ..

وعدت الى برونو .. عدت اليه .. وهو متزوج ..

ولم اكن اعتقد اني عندما تنازلت عن كرامتي ، تنازلت ايضا
عن ارادتي .. لقد منحته بعد عودتي اكثر مما تمنحه زوجته ..

وكنت اناول ان افزع نفسي بانى اسمى لان يطلق برونو زوجته
ويعود الى وحدى .. لقد تزوجها لانها غنية ولانها ابنة عمه ..

انكى مساجله يزهد في غناها .. وينسى انها ابنة عمه .. وكنت
.. ذاك اضحك على نفسي .. كنت اخدع كرامتي .. وكنت اعلم انه

دام قد تزوجها فلن يطلقها ..

ولكن برونو تغير .. لم تعد بيننا هذه الامسيات الجميلة التي
.. فيها على رصيف النهر .. ولم تعد بيننا هذه الاحاديث
الزاهية ، لم يعد بيننا امل .. لم يعد ملكي .. اصيحنا كلها التقينا

مخبتىء فى شقة .. وبأخذنى متعحلا .. ثم يتركنى سريعا قبل أن
يُسال عنه زوجته ..

وكرامتى تنوب ..

واحاساسى باللامبالاة يسرى فى كيانى ..

وفى يوم عرفنى برونو بصديقه فيليو .. شاب رائع هو الآخر
.. وتركتنى معه .. وكان فيليو رقيقا ، عاطفيا ، استطاع بحديثه
أن يشغلنى عن نفسى وعن برونو .. ذهبت معه .. مع فيليو ! ..

ذهبت معه فى أول لقاء .. ولم أحس بأنى أخون برونو ..
ولا بأنى أنقم منه .. كل ما أحسست به أنى لا أريد أن أعود إلى
بيتى ، إلى وحدتى .. وكرامتى المزعقة ..

وببساطة أصبح لى رجلا أذهب معهما .. برونو ، وفيليو ..
ثم سافر فيليو .. وحل محله غيره ..

ثم أصبح لى كثير من الأصدقاء .. أصدقاء أذهب معهم ..
وكل ما أحس به وأنا معهم ، ثم بعد أن أتركهم ، هو .. اللامبالاة !
وفى وسط هذا الزحام ضاع برونو .. ضاع بلا تعدد مقفه
أو تعدد منى .. فقط ، ضاع ، وضعت ..

وانسقت فى طريق اللامبالاة ..

إن الخطيئة كالرمال المتحركة ، عندما تقف على أرضها تفوح
فيها شيئا فشيئا ، حتى تختفى ..

وقد فصت فى أرض الخطيئة .. وأهملت دراستى فى كلية
التجارة ، واكتفيت بوظيفتى فى البنك ..

وأصبحت أبيع الخطيئة ..

أبيعها للسواح الأغنياء الذين يأتون إلى روما .. أنهم يدفعون
كثيرا ويأخذون قليلا .. أنهم خير من الرجال الإيطاليين ..

وابتسمت رومانا ، ابتسامتها الرقيقة المبهدة ، وقالت :

— ألا تريد أن تذهب إلى مكان آخر ؟

قلت :

— لا .. أن صديقتى سيعود ..

قالت :

— لا أظن أنه سيعود ..

ثم قامت لتصرف .. ووضعت يدي فى جيبى وأخرجت العشرين
الما .. وقلت فى تردد وأرتباك :

— هل أستطيع .. لقد أخذت من وقتك كثيرا .. وأخذت قصة !
وكنت أعتقد أنها مستغرض ..

ولكنها أخذت النقود بحركة رشيقة ، ثم يلحظها أحد من
الجالسين .. وهمست :

— جراتيسيا ..

أى منشرة ..

ثم تركتني ، وعادت تجلس إلى المائدة المجاورة مع صديقتهما
اندة .. رشيقة .. أرسقراطية ، كأنها ابنة مليونير ..

— أنت مالك يا بائخ .. أنت حائستعندنى .. أنت فاكرك نفسك ..
سحورنى ! ..

لماذا لا أتزوجها ! ! ..

انى استطيع لو تزوجتها ان استريح .. استريح من كل
الرجال .. وأحتكرها .. تصبح لى وحدى ..
وفقدت نصف عقلى .. وتزوجتها ..

ومنذ تزوجها ازداد عدد الرجال الآخرين أمام عيني .. أصبح
كل رجل يمر أمامى عشيقاً لزوجتى ، أو كان عشيقاً لها ، أصبحت
أدبر الى زملائى المحامين كلما ذهبت الى المحكمة ، كائى أبحت فى
وجوههم عن آثار شفتى زوجتى .. وأتساءل باستمرار .. من منم
ربها .. ومن منهم استضافها ذات ليلة .. ؟
وحسبتي فى الميت ..

كنت أخرج فى الصباح الى عملى ، وأغلق الباب عليهما
سالمفتاح ، مفتاح واحد للبيت ، أحتفظ به فى جيبى ..
واستسلمت هى .. لم تحاول أن تعترض ..

ولم تكن ترى الطريق الا فى صحبتي .. فاذا نظر اليها رجل ،
اعفيت أنه كان أحد المتزدين على جسدها ، وكتمت ثورتى الى أن
تعود الى البيت ، وضريتها .. أما اذا التفتت هى الى رجل ، فلا
أقبلها .. أصفعها ونحن داخل السيارة أو أمام الناس ..
وهى دائماً مستسلمة ..

ومرضت .. مرضت بالسل .. فجلست بجانبها أعالجها ..
لم أكن أنام .. دائماً بجانبها .. وكنت أشعر بالراحة وأنا أراها
« ريمسة » هزيلة ، صفراء .. كانت فيرتى تكف عني .. كائى
ضمنت انها لى وحدى ، ما دامت مريضة .. أنه يسمو خبيث
قفس ، وأكنى كنت ارتاح له ..

لست مفقداً

لا أدري بالضبط متى قررت ان أتزوجها .. والواقع انه لم يكن
هناك أى داع لاتزوجها .. كانت قد مضت ثلاث سنوات وهى معى
.. تاتى الى وتقتضى الليل بين دراعى .. وكنت أعلم انى لست
الوحيد الذى تطرق بابه فى الليل .. كان فى حيانها كثير من الرجال ..
وكنت أعلم .. ولم تكن تخفى عني .. وكان يجب ان أرضى بها
على حالها .. ولكنى أحببتها .. صدق أو لا تصدق .. لقد أحببتها
.. أحببت واحدة من هذا الصنف من النساء ..

وعندما أحببتها فقدت ربع عقلى .. هدأت أغار عليها ..
وكنت أكنب غيرتى عليها .. كنت أحاول ان أقتنع نفسى بأن هذه
الغيرة ليست سوى مجرد ادعاءات وحركات تمثيلية أقوم بهما
لاكتسب قلبها ، لعلها تعطينى شيئاً آخر غير ما تعطيه لبقمة
الرجال .. ولكنى كنت أغار عليها .. ولانى أغار عليها بدأت
أعتمد ان التقي بها كل ليلة حتى لا تذهب الى احد غيرى من الرجال
.. كل لياليتها يجب ان تكون لى .. لى أنا وحدى .. وللنهار ؟
لعلها تذهب الى الرجال الآخرين فى النهار .. فبدأت ادعوها الى
الفداء معى .. وبعد الفداء تذهب الى السينما .. وبعد السينما
.. الى البيت ! ..

وبدأت غيرتى تشتد .. كنت أقرصها فى ذراعها اذا حدثت
رجلاً آخر .. واضربها اذا اعترفت لى ان احدا لمس جسدها ،
وكنت تصرخ فى وجبى :

وشفيت .. وبعد شفائها حملت .. وأنجبت لى ولدا ..

وانا لا أكل عن حيا ..

ولا اكف عن غيرتى عليها .. غيرة صفراء مدمرة ..

وهى دائما مستسلمة .. مستسلمة وهى حبيسة البيت
والباب مغلق عليها بالفتاح .. مستسلمة وانا اضربها .. مستسلمة
وانا اصرخ في وجهها ..

ومرت سنوات ..

مرت خمسة عشر عاما ، انجبنا خلالها ولدا آخر ، وبناتا ..

ولم يهنت حتى يوما ..

ولا هفنت غيرتى ..

وهى دائما حبيسة البيت .. والفتاح في جيبى .. وعندما كبر
أولادنا أصبحت انا الذى أخذهم الى المدرسة ، وانا الذى أعيد
هم ، حتى لا يفتح الباب غيرى ..

وفي يوم أخذتها لرؤية عمى ، وتركها هناك ريثما اذهب
لاداء عملى .. وعدت وأخذتها للبيت .. وقالت لى ونحن في
الطريق ، انها سمعت عمى تقول ان فى الحى « قبلا » معروضة
للإيجار .. واسعة .. ست غرف .. وأيجارها خمسة عشر جنيها
.. وكنت اياها افكر فى الانتقال من مسكنى .. فذهبت لأشاهد
« القبلا » التى قالت لى عنها .. فأعجبته واستأجرتها وانتقلنا
اليها ..

انها نصف قبلا .. الدور الأول سكنا فيه .. والنور العلوى
مسكنه فامس لا اعرفهم .. من هم ؟ .. ورفعت رأسى يوما ورايت
شاما وسيميا يقف فى شرفة الدور العلوى .. وفجأة تنهت ..
اكتشفت الماساة .. ان زوجتى أرادت ان تسكن فى هذا البيت
لتكون قريبة من هذا الشاب .. من عشيقها .. ان خمسة عشر

سنة لم يطهر جسدها من الدنس .. ان اولادها لم يثيروا غيها
.. امة الأمومة ، وعرتها .. انه الآن فى الأربعين من عمرها ،
ولا تزال كما كانت .. امرأة نبل .. ودخلت البيت كالمجنون ..
.. وانهلت عليها صفعا .. وركلا .. اعرضى .. اعرضى ابنتها
الخاطنة يا محرمة !

ولكنها لم تعترف ..

انها تصرخ فى وحى :

— يا مجنون .. يا مجنون !

قد أكون مجنونا .. لكننى لست معفلا .. وظللت اضربها
ثلاثة أيام متوالية .. واولادى يصرخون .. وهى تصرخ .. ثم ..
ثم غيرت قفل الباب .. فلابد انها صنعت مفاحا للقفل القديم ..

وانا اضربها .. واصفعا .. وصرخت ذات يوم :

— طلقنى ..

وبهت ، انها اول مرة تطلب غيها الطلاق .. من أجل هذا
الشاب الرقيق .. لا .. لا .. لن اطلقك .. وانهلت عليها ضربا
صفعا ..

ولكن .. لعلى مغفل .. لى اغلق الباب عليها بالمنح .. فى
.. اننا نسكن فى الدور الأول ، والنافذة قريبة من الأرض .. كم
انا مغفل .. انى أخرج الى عملى ، وهو — بكل بساطة — ينسل
اليها من النافذة .. ويأخذ جسدها .. يأخذها فى ينى .. سامجرة ..
وانهت عليها ركلا وصفعا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى ..

لا .. لن اطلقك .. وحنت بنجار سد نوافذ البيت بالواح
خشبية ، مثبتة بالمسامير .. واصبحنا نعيش فى ظلام .. ولكن
هذا أرحم من ان أعيش انا واولادى فى اللخينة ..

ولكن .. ان هذا الصنف من النساء لا يعجز أبدا عن الخطيئة ..
 .. ان الجسد الملوث يستطيع دائما ان يجد طريقا الى الخطيئة ..
 وقد تعودت كل مساء قتل ان اتام ان اشرب غنجالا من الشاي ..
 وقد لاحظت ان النوم يغلبني بمجرد ان انتهى من قدح الشاي ..
 ثم اتام هوما عموما كالمت .. واصحو متعبا وصدا عفيف يضح في
 رأسي .. انها تضع لي مخدرا في الشاي .. حتى اذا نبت .. او
 على الاصح مت .. مرقت مفاح الباب من جيبى .. وفتحته ..
 وتسللت الى عشيقتها .. يا مجرمة .. اتى لست مفغلا الى هذا
 النكد .. وانهلت عليها ركلا وصفعا .. ولمتنعت عن تناول الشاي
 قبل النوم .. لم أعد اشرب ماء .. الا من الحنفية .. ولم أعد أكل
 الا طعاما اشترته من أحد المطاعم واحمله معى الى البيت .. واكثر
 من ذلك .. لقد استدعيت مهندس كهربائيا فوضع في باب البيت
 جهازا .. من شأنه اذا فتح الباب ان تنطلق في كل أنحاء البيت رنات
 أجراس صاخبة .. توقظنى من النوم .. اذا كنت نائما ..

ورغم ذلك .. من يدري ما تستطيع ان تفعله هذه المرأة .. قلت
 لك ان الجسد المسموم يستطيع ان يجد طريقه دائما الى الخطيئة ..
 وكبت عتدا الى البيت .. اقود سيارتى .. والفيرة تعمنى ..
 وفجأة .. وقبل ان اصل الى البيت ببضعة أمتار .. لمحت هذا الشاب
 يرتجع بسررى الطريق .. لماذا لا اقده واسترجع .. ولم أمكر
 طويلا .. مرهة واحدة مرت بى .. ثم انحرفت بالسيارة ناحية
 الشاب وأنا اقودها بأقصى سرعة .. سادمه .. سائقه .. ولكن
 اللعين تنبه قبل ان اصل اليه .. قفز الى الرصيف .. واحتفى خلف
 سور أحد البوت .. ووقفت للسيارة ونزلت اصرخ فى وجهه ..
 .. جبان .. يا نذل .. انتظن انك تستطيع ان تنعم بزواجى .. انظر
 لك دون جوان ؟ انا دون جوان أكثر منك ومن أبك .. وسائقك ..
 سائقك يوما ما ..

وهجم على الملعون .. وامسك منى .. واخذ يصرخ .. وكان
 الناس قد التقوا حولنا على صوت فرملة السيارة .. وصوت
 صراخنا .. وصمم الشاب الرقيق على ان اذهب الى القسم ..
 وهناك اتهمنى بالشروع فى قتله .. لائى اتهمه بأنه على علاقة
 .. زوجى ..

لماذا لا يباح قتل مثل هذا الشاب .. حتى يستريح المجتمع ..
 ولكنى طبعاً أنكرت التهمة أمام النوابس .. ثم أخلنا الى النيابة
 وعاد اتهامه لى .. واستعملت كل لى لى كبحام من صد الاتهام
 .. واستدعت النيابة زوجتى لأخذ أقوالها .. وقلت لوكيل النيابة
 .. سرلحة .. ان زوجنى لا يستطيع ان تانى .. لماذا ؟ لانها حبيسة
 البيت والمفتاح فى حبيى .. واقنعنى وكيل النيابة بأن امرح عن
 زوجتى ريثما تدلى بأقوالها .. وما لى محسام واعرف هذه
 الاحراطة .. فقد ذهبت مع الضابط .. وفتحت الباب .. وعدت الى
 النيابة بصحبة زوجنى ..

اندرى ماذا قالت زوجتى أمام النيابة ؟
 ايدت الانهام .. قالت انها سمعنى عدة مرات اهدد بقتل هذا
 الشاب .. وانها راتنى من خلال النافذة وأنا اهاجم عليه بالسيارة ..
 الكاذبة .. المحرمة ..
 لولا النيابة لانتهلت عليها ركلا وصفعا ..
 انها تريد ان تسجننى حتى يخلو لها الجو وعشيقتها .. حتى
 تتحد من بشى وكرا لجسدها الناس المشرب بالخطيئة .. ونعمت
 .. سوداء ..
 وانتهت زوجتى من الادلاء بأقوالها .. وسمح لها بالانصراف ..
 .. رطب متى وكل النيابة ان اعطها المفتاح لتعود الى البيت ..
 وكنت من موقف حرج .. كنت مهددا بالسجن بتهمة الشروع
 فى قتل .. علم لرد ان اجادل وكيل النيابة .. واعطينها المفتاح ..

وذهبت زوجتى ، وهى مطمئنة الى انها تخلصت منى .. انها
نن اترانى بعد اليوم .. ولكن وكل النية افرج عنى بكفالة خمسين
جنيها .. رشكرا للباقي كمحلم .. وعدت الى البيت وأنا اغلى
.. ودماغى تغلى ، ورأسى يغلى ، وقللى يغلى .. وانتهت عليها
ردلا .. وهى تصرخ :

— طلقنى .. طلقنى .. انت محنون .. والله لاحنك .. والله
لأوديك فى داهيه ..

— لا .. لن اطلقك .. الآن وقد ثبتت جريمك لن اطلقك .
ساكون أنا تضاعك .. أنا عتابك ..

وفى ثانى يوم جمعت اثاث البيت ، وحملتها هى وأولادى
وامتنا مى حجرة بمكنى ، حتى يكون دانا بجانبى .. فى متناول
يدى لأصنعها ، وفى متناول يدي لأركلها ..

ولكنى لم أستطع أن أعمل ..

بدا زمانى ينصرفون عنى ..

وجلست يوما أفكر فى هدوء .. ماذا أعمل ؟ انى لا اسطيع ان
اطلقها .. فأنا الآن متهم فى حناية شروع فى قتل ، وهى شاهد
الانثى فيها ، ولو طلقتها فستكون شهادتها أقوى تأثيراً على
القضاء .. ماذا أعمل ؟ هل أقتل نفسى واسريح ؟ امى لو قتلت
معدى .. لو اتحرت .. فكأنى أقدم لها ولعشيقها مراثيا على جنى
.. هل أقتله هو ؟ انى سأسق أو قتله .. او على الأتل سأسجن .
سؤند .. واتركها هى تبرح بجسمها ، وتشتين به أولادى ..
وذكرائى ..

لم يبق الا حل واحد ..

أن أقتلها ..

وفى هدوء قمت اليها والمسدت فى يدي ..

واتطلقت الرصاصة ..

ورأيتها نحت قدمى ، والدم ينزف من رأسها ..
وفجأة .. احسبت كأنى خرجت الى النور .. انراحت غمامة
من امام عيني .. وسقطت فوقها ، اقلها .. وأبكى ..
انى لا زلت احبها ..

ولم أعد اغار عليها ..

وعندما مساقوني الى المحكمة اعترفت .. ولكنى لم اقل انها
خانتنى ..

وحكم على بالسجن المؤبد ..

وأنا الآن فى السجن .. وكل يوم يمر ، فتزاح غمامة أخرى عن
عقلي .. لأزداد تأكدا من أن زوجتى لم تخنى ..

كانت اشرف الزوجات ..

يحبها الله .. ويرحمنى ..

• • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •

وعدت الى البيت الكبير • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •



والنحقت بالمدارس الثانوية • • • • •
 ولم ارسب ادا في امتحان • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •

وخبت • • • • •
 الحق بجامعة القاهرة • • • • •
 • • • • •
 • • • • •
 • • • • •

ريدا الفراغ يزحف على • • • • •

ولم اكن اخرج من البيت الا مع بقية سيدات وبنات العائلة
 • • • • •
 • • • • •

وحاولت ان ابدد فراغ حياتي بالمساهمة في اعمال الرب • • • • •
 • • • • •

خلف العباءة

عزيزى احسان • • • • •

اكتب اليك من بعيد • • • • •
 تغسل الرمال • • • • •
 الليل • • • • •
 جدرانه عالية • • • • •
 متوسط الدار • • • • •
 وبابه ضخم • • • • •
 «سغيرة نسجها» خوخة • • • • •

وابنى رجل مجوز ثرى • • • • •
 زوجات • • • • •
 من المهر • • • • •
 وكلنا نقيم معا في البيت الكبير • • • • •

وعندما كتبت صغرة • • • • •
 الى «العلمية» اى الى المدرسة • • • • •
 حاصة بالبنات • • • • •

وحفظت جزءا من القرآن عن ظهر قلب • • • • •
 • • • • •
 اى انتهت دراستى • • • • •

وعنديا «خبت» • • • • •

زوجات .. وجيش من الصبيان والنات .. انه ليس بيتنا ، انه
تشلاق .. سجن !!

ولم أحد ما افعله الا ان اقرا المجلات والتقصص .. كثير من
التقصص .. واستمع الى أغاني عبد الحليم حافظ ، وفريد الأطرش ،
وأهل الحلوى والشيكلات .. وأنفوس الفراغ الذي يطبق على
صدري ..

ثم .. سكن في حيننا ، وفي البيت المقابل لبيتنا ، شباب من
مهاجرى البلاد العربية الأخرى ، الذين ازدحمتم بهم بلادنا بعد
اكتشاف البترول ..

وتحت الحاح الفراغ ، والكبت ، بدأت أطلع اليهم من ثقب
الباب الكبير .. وبدأ كل منهم يثير في رأسي ذكري قصة قرأتها ،
أو أغنية سمعتها .. وانخيل كلا منهم وقد اختطفني وتزوجني ،
وعشنا العبر كله في قصة حب ..

الى ان التقت عيناى بعينى واحد منهم .. ولا أدري كيف
اعتقدت انه ينظر الى .. وعنايه الصارختان بالرجولة ، تأسر
عينى ، مع انى لم اكن أنظر اليه الا من ثقب الباب !!
وأحبته .. نعم .. أحبته .. من وراء ثقب الباب !! ..

وكان من عادة أبى ان يخرج بعد صلاة الفجر ، ولا يعود الا
في الظهر لتناول غدائه .. فكنت أقضى كل هذه الفترة ، وعيناى
ثابتتان على ثقب الباب .. فاذا عاد أبى أخبأت في حجرى أستمع
الى أغاني عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش .. وأبكى ..
ومعجاة اكتشفت ان أختى التى تكبرنى .. وهى من زوجة أخرى
تحب هى الأخرى واحدا من الشباب الذين سكنوا قبلتنا ، وانها
استطاعت ان تصل اليه ..
وسألته فى لهفة :

— كيف ؟

— سألت لى :

— أمى ساعدتني !!

— قلت :

— كيف تساعدك أمك ؟

— قلت :

— لعلها أرادت الا تحرمنى مما حرمت منه !!

وانا .. أنا .. هل أقضى عمري محرومة كما حرمت أمى ..
فى عمري فى هذا الفراغ الى ان أزواج رجالا عجوزا كنى ؟ !
وساعدتني أختى ..

أصبحت أسل سل معها الى البيت المقابل .. هى الى حبيبها ..
أنا الى حبيبى .. وكنت أحاف .. ارتعد .. ولكن ما أدت الخوف
الى مدد .. يعلم بعد الا الحب ..

ثم أضلقت حبيبى مع حبيب أختى .. وكان الحلاف بسبينا ..
ترك حبيبى البيت الذى يقع قبلتنا ، وسكن فى بيت ملاصق ..
لنا .. الحائط فى الحائط ..
وبدأت حياة جديدة ..

كنت بعد ان يخرج أبى ، أصعد الى سطح بيتنا ، وأقفز الى
سطح بيته ، وأتسل اليه حاملة له فطوره وغداه .. وأنظف له
.. ونقصى لحظاته هنية .. ثم أعود من طريق السطح الى
.. ساقبل ان يأتى لى ..

وفي الليل .. بعد ان ينام كل من فى السجن الكبير ، أصعد
غاية القدمين الى السطح ، وأقفز الى مسكن حبيبى .. حتى فى
الى السماء ، والبرد ، والمطر .. لم يكن شئ يحول بينى وبين
حبيبى .. وعشت .. لم يعد فى حياتى فراغ ! ..

و ذات ليلة .. بينما كنت غائبة من عند حبيبي .. وبعد أن
مهرب إلى سطح بيتنا ، وبدأت أنزل السلم المبنى من الطين ..
زلت قدمي .. وتحدثت حتى وصلت إلى فناء البيت .. وأنا
أصرخ .

واستيقظ وادى .. وخرج إلى مهرولا .. لم يسأل ماذا جرى
لي .. ولكنه صرخ :

— ماذا نصنعي في الليل ؟ أين أنت ذاهبة ؟ أين كنت ؟
وبالكت نفسي .. وقلت :

— كنت في طريقى إلى الحمام .. ومر بين قدمي فار ..
فذهبت ، واستقطت !

وصدق والذي .. وشكرا لظلام الليل الذى أخفى آثار سقوطي
من فوق السلم ..

وقضيت يومين .. وأنا أجن على أن أذهب إلى حبيبي .. ولكن
حتى ما لذث أن اتدبر على جيبى .. وعدت أنسلل واقفز سطح
البيت إليه ..

وقامت أمي ذات ليلة من نومها فلم تجدني في فراشي ..
وأعتقدت أني في الحمام الذى يقع في الناحية الشرقية من البيت
بعيدا عن الغرف .. وانظرت .. وانظرت طويلا .. ولم أجد
.. فقامت تبحث عني .. ثم بدأت تناديني بصوت عال .. واستيقظ
والذى .. ماذا جرى ؟ ..

— أنت ليست في فراشها ، ولا في البيت كله ..

وقامت الضجة .. وبدأوا يبحثون عني .. وينسحبون ..
ونبهت زوجة أبي الثانية إلى أني قد أكون في بيت حبيبي ..
فعملت بقية العائلة ، وأتت حجرا على البافذة .. نائذة العرمة
التي تضمني معه .. وافقت من نشوتي .. وشعرت بالكارثة ..
والتي قطعت أني صدى الضجة التي تدور في بيتنا ..

ماذا افعل ؟ .. يا ربى ..
سيقولونى !! ..

وحبيبي بجائتي يرتعش .. ولونه باهت .. انه خائف .. وبأن
عني متى خرجت .. خرجت من الباب الرئيسي إلى الشارع .. إلى
بد أن أكون في أى مكان الا هذا المكان .. مكان فضيحتي ..

وما كنت أصل إلى باب بيدي .. حتى خرجت إلى روضة أبي ،
وحسنتي بسرعة إلى الداخل ، وهيمت في أذني بكلمات سريعة ..
بدي بها ما يجب أن افعله .. ثم وضعت على عبايتها السوداء
وتسللت كالشبح إلى الحمام الخارجى الذى يقع في فناء الدار ..
وانظرت عيلا في الحمام ، وأنا أرتجف ، وأسمعيد الدرس
.. لى لفتته لى زوجة أبي .. ثم خلعت العباءة وخرجت فحاة ..
وأجهت الجميع ، وصرخت في وجوههم .. وغى وجه أبى بالذات :

— سمعت صياحك .. ماذا تظنون بي ؟ لاند انكم تطون من
سواء ، والا لما أقسمت كل هذه الضجة .. هل حرام أن أذهب إلى
الحمام ؟ هل من العار أن اضطر إلى الذهاب إلى الحمام ؟

وظللت أصرخ في وجوههم .. واستعمل الفاظا بذينة .. دون أن
أراهم احترام أبى ، وهيبته .. والجميع ساكنون .. وأنى ينظر
لنى بعين حائرة بين الشك واليقين ..

وانصرفوا عني .. وحاولت أن أعود إلى غرفتي .. ولكن أمي
حذنتني من يدي ، وقالت في همس غاضب :

— لا .. من اليوم مستأمن معي .. وفى فراشي ! ..

وذعرت :

— ولكن يا أمى أن ..

وقاطعتنى :

.. لقد بحثت عنك فى الحرم الخارجى .. ولم تكونى فيه !!
ومن يومها ، وأنا انام بجانب امى .. ناحية الحائط .. واعيش
تحت مينبها .. لا تتركى لحظة املت من رقابتها .. وحسبى خاف
.. هرب .. انتقل من الحى كله .. لا ادرى الى اين ذهب ؟ ..
والبيت سجن كبير .. والعباءة السوداء تغطينى من راسى الى
اطراف قدمى ..

لم امد يدى

أنا تعيسة .. أنا سيئة الحظ ..

لا .. لا .. أنا فاسفة .. أنا غشة ..

لا .. لا ادرى .. لا ادرى ما هو الفرق بين التماسه والضعف ؟
ولا ما هى العلاقة بين سوء الحظ والغباء ..
ربما كان هناك ناس يولدون تعساء بلا حظ فى الحياة ، وناس
يولدون مستعدين محظوظين ..

وربما لم يكن هذا صحيحا ، انما الناس يولدون جميعا
سواسية ، ثم يجر كل منهم على نفسه الشقاء او السعادة ، والخط
' او اللا حظ ، بنصرفاته .. التصرفات التى تعتمد على مدى ذكائه ،
ومدى قوته .. او على الاصح مدى قوة ارادته ..

وهذه هى قصتى :

انا لست جميلة .. ولكنى استطيع ان اجذب الرجال ..
لا ادرى كيف .. ربما كان فى شىء يجذبهم الى ، دون تعمد منى
فلم اشك يوما من الحرمان .. لم اشك يوما من حاجتى الى رجل .
وقد خطبت وأنا فى السابعة عشرة من مهرى ..

وكان خطيبى شابا رائعا ، وسيما ، ذكيا ، مرها ، شibus كل
فقائق مهره بالحياة .. ان كل دتبقه من مهره تحمل حياة مساعه
.. لا .. حياة يوم كامل ..

وكان طيارا .. واحبته ..

لم يعد يرمى انه خطيبى .. لم يعد يهمنى الزواج .. كل ما

يهمنى أمه حبيبى ، كل ما يهمنى اللحظة التى أجلس فيها إليه ..
 اسمه الذى يجمع أيدنا .. القلة التى تقادها .. ولم يحتفل حتى
 لم يسطر حتى تتم إجراءات الزواج .. كانت لهفة احدا على
 الآخر جارية .. عارمة .. لا تطيق الانتظار .. لمسلمته نمسى ..
 اسلمته نفسى قبل أن نكتب الكتاب ..

ولم نشعر أننا ارتكبنا اثما .. أنه خطيئى .. أنه زوجى ..
 به أمه حبيبى .. ورغم ذلك .. رغم اقناعنا أننا لم نرتكب اثما ..
 وتد احميننا الخسر من أهلنا .. لم اقل شيئا لأمى .. بل اتى لم
 اسجل كتب الكتاب !!

ثم .. مات .. سقطت به الطائرة .. هل أنا سيئة الحظ لأنه
 مات ؟

أم هل أنا غيبة ضعيفة لأتى اسلمته نفسى قبل كتب الكتاب ؟
 لا ادرى ..

كل ما أدريه اتى تعذبت كثيرا .. واختلط عذابى بموته مع
 عذابى محالى .. وطال عذابى .. شهور طويلة قضيتها منطوية
 أبكى .. اذكره فأبكى .. وأذكر حالى فأبكى ..

ثم بدأت أخرج الى الحياة من جديد لعلى أنسى .. وبدأ هذا
 الشيء الغامض الذى أمتاز به يجذب الى الرجال .. تقدم الكثيرون
 الى .. بعضهم يطلب قلبى .. وبعضهم يطلب يدى .. وكنت
 أستطيع أن اخار واحدا منهم ، وأهه تلى .. أو على الأقل أهه
 يدى ..

ولم يكن ما جرى لى يشغلنى .. لم تكن حقيقة اتى لست
 دراء تخيفنى .. اتى أستطيع أن أعترف للرجل الذى يتزوجنى
 .. على أسوأ الفروض — أستطيع أن أجرى هذه العملية
 الخراجية التى يعبدنى مرة ثانية .. عذراء .. عذراء مزينة ! ..

ولكن .. لم تكن هذه مصيبتى ..
 كانت مصيبتى اتى اخترت من بين كل هؤلاء الرجال المزارعين
 حلى ، واحدا ..

اسمه ربرى .. ورمزى تبطى .. وأحبته ..
 أحسه بؤس وجنون .. أحبته أكثر مما أحست خطيئى ..
 " ليس أكثر .. ولكنه نوع آخر من الحب .. حب أكثر بصوحا ..
 أكثر قوة .. وأكثر عنفا .. حب سيء ليسب عذراء ..
 هل أنا سيئة الحظ أن حببى تبطى .. وبينى وبينه حائل عال
 حول دون زواحنا ؟

أم أنا غيبة ضعيفة ، لأتى لم أغلق قلبى دونه ، ولم أقاوم حتى
 تنل أن يتمكن منى ؟ لا ادرى ..

ولكن .. نسقت فى حنى الى آخره .. كان احساسنا يتحدى
 المجتمع ، ويحدى القساوسة والشيوخ ، ويحدى آلاف السفين من
 العقائد .. كان هذا الاحساس دلتحدى يزيد حينا وهجا وعنف ..
 وكان هناك دائما أمل .. أمل فى أن يعلن اسلامه ويتزوجنى ..
 ومرة خمس سنوات ، والأمل يتجدد كل يوم .. ولكنه لا يعلن
 اسلامه ويتزوجنى ..

لقد كان ينجنى ، وكان متحررا ، وكان يريد أن يعلن اسلامه
 .. فلا ، ويتزوجنى فعلا .. ولكنه كان يخاف على أبيه وأمه من أن
 تلها الصدمة .. وربما كان اعجز من أن ينتلع من صدره صفة
 انتصفت به منذ ولد ..

وتعنت .. تعنت من هذا الحب .. وبعت من السنة الناس
 الى تلاحقنى .. ومن ضغط أبى وثورته التى تلقىها فى وجهى ..
 وتركته .. تركته فعلا ..
 وكاد يجن .. أصيب فعلا بحالة عصبية كانها الحنن ..
 وأرسل الى كى أعود إليه ، وانقسم أنه سيتزوجنى ..

وعدت اليه .. ولكننا ما كدنا نلتقي حتى عدنا الى خلافنا من جديد .. يبدو اننا لا نستطيع ان نقدر مدى التصاق الدن بنا الا عندما نفكر في التخلي عنه .. تهما كما لا نحس باننا عرابا الا عندما نهم ان نخلع ثيابنا ..
ولم يستطع ان يخلع دينه ..

وقررت مرة ثانية ان اتركه .. وتركته فعلا ..
وقبل ان تجف دموعي تقدم اليّ رجل آخر يخطئني ..
وكان يجب ان اتزوج .. اتزوج اى رجل ، حتى احمى نفسى من ضعفى ، راخف من حياتى عذاب فشلى ..
ولكن محمود لم يكن اى رجل .. انه رجل كامل .. هادى ، محترم ، راجع العقل .. يتكلم فتع اسير منطقته ..
التقيت به فى جلسة عائلية .. ولم احبه .. ولكنى ارتحت اليه ..

وخرج يسأل عنى .. انه تكية الرجال المحترمين لا يتزوج الا بعد ان يسأل ، ويجمع المعلومات ..
وقال له للناس .. لا تتزوجها .. انها فاسدة .. انها ليست عذراء .. انها تحب شابا قبطيا اسمه رمزى .. و .. و ..
وحتى اخنى وقتت ضدى .. قالت له عنى اكثر مما قاله الناس ..
ورغم ذلك عاد الى .. قال لى انه يريد ان يتزوجنى رغم كل ما سمعه عنى .. ولكنه فقط يريد ان يسمع الحقيقة منى ..
وقلت له الحقيقة .. كل الحقيقة ..

قلت له انى لست عذراء .. وانى عشت مع رمزى خمس سنوات ..

★★★

واحس رأسه واخذ ينظر نى يديه طويلا .. ثم رفع عينيه الى ..
.. لطلهما على وجهى ، وسمعته يقول فى صوت صيق :
— لا يهمنى جسدك .. لا يهمنى انك لست عذراء ، او انك كنت رجل آخر .. كل ما يهمنى هو ان اعرف .. هل لا زالت تحبين هذا الآخر .. هل لا زالت تحبين رمزى ؟

وارتبكت .. احسست انى لا استطيع ان اجيب على هذا السؤال .. انى اعرف بصمات الحياة على جسدى .. ولكنى لا اعرف بصمات الحياة على قلبى .. لا اعرف اذا كنت لا زلت احب رمزى .. ولا اعرف اذا كنت استطيع ان احب محمود ..
وقلت وانا اخشى عنه عيى :

— لو تزوجت .. فتق انى استطيع ان اكون زوجة مخلصة ..
قال وصوته يزداد عمقا :
— اخلاص الزوجة بجسدها : سهل .. والصعب هن ان تخلص قلبها وروحها .. وانا اريد الصعب .. اريد ان اتأكد من ان قلبك وروحك أصبحا لى ، انى اتزوج قلبا وروحاً ..
وعدت الى اربابكى .. انى لا استطيع ان اعده بقلبي وروحي الا اذا كذبت عليه ..

وكذبت .. قلت وانا اشعر بدمائى تصهر وجنتى :
— انى لم اعد احب رمزى .. بل انى اكرهه .. لقد خرج من حياتى ..
قال :

— كيف اصدق .. لقد عشت فى حبه خمس سنوات فكيف تدسينه فى خمسة شهور ؟
قلت :

— ربما بدأت انمائه قبل ان اتركه .. اننا فى العام الاخير كنا نعيش كعربيين ..

قال :

— كيف أتأكد ؟

قلت :

— لا أدري .. ليس لقلبي دليل مادي أستطيع أن أقدمه إليك ..
كل ما أستطيع أن أقدمه لك هو أن أتزوجك ..
ولم يكف عن النقاش ..

ومضت أسابيع طويلة وهو لا يكف عن النقاش .. ولم يكن يذكرني بجسدي .. لم يكن يلومني لأنني لست عذراء ، أو لأنني اعطيت نفسي لرمزي .. كان كل ما يريد أن يتأكد منه ، هو أنني أحبه ، أو على الأقل أنني لا أحب غيره ..

وكان يعذب .. يتعذب بحيرته وشكوكه !

أنه يحبني .. وأنا .. لا أحبه ، ولكني استريح له ، واحترمه ،
وأريد أن أتزوجه ..

ولم يكف محمود بنقاشي بل ذهب لنقاش رمزي أيضا !
سأله :

— هل لا تزال تحبها ؟ ..

وكذب رمزي .. أنكر أنه لا يزال يحبني .. وأصر على الإنكار ..
أصر إلى حد أن ثار محمود في وجهه وانهمه بالنفالة ،
والسفالة .. وصرخ في وجهه :

— كيف تعيش مع فتاة خمس سنوات ثم تذكر أنك لا تحبها ..

ورمزي لا يزال يصر على الإنكار ..

ربما حبنا منه .. ربما لأنه خاف من محمود ..

وأخيرا .. وأخيرا خرج محمود من حيرته وتزوجني ..

وشعرت لأول مرة في حياتي بالاستقرار .. شعرت لأول مرة

أنني ستا .. وأن لي رجلا .. وبدأت أتمنى أن يكون لي أولاد ..

وبذلت كل ما أستطيع لأسعد محمود ..

أنني لا زلت أحب رمزي .. أنني لا أستطيع أن أنكر هذا الحب ،
في أعماقه .. أناومه بكل ارادتي .. لم أحاول أن أتصل به سعد
أدنى .. وكنت أشغل نفسي عنه طوال يومي بأعمال البيت ..
بمساعدة أبي خلال شهور ستاساه .. مسرعا منه قلبي ، وتبرا
روحي .. وبعد ذلك أستطيع أن أحب محمود .. أحبه بكل قلبي
روحي .. ومحمود سعيد ..

ومن خلال سعادته ، أحس أنه يراقبني .. يراقب قلبي وروحي
لأنك أنتما أصبحا له ..

الي أن كان يوم ..

وكان قد مضى ثلاثة شهور على زواجنا .. وكنت واقفة في
المطبخ أعد الطعام ، وعقلي سارح وراء قلبي .. وراء حياتي كلها
، وراء ذكرياتي .. ذكرياتي مع رمزي ..

وعاد محمود من عمله ..

ودخل دون أن أشعر به ..

وتسلل على أطراف أصابعه ووقف خلفي ، وأنا أمام الموقد
.. أبي سارح وراء قلبي ، ثم لف ذراعيه حولي ..

— أيه ده يا رمزي !!

وخرست مرة واحدة !!

خرست ، وقد شعرت باسم « رمزي » يكوي لساني ..

وأرخت محمود ذراعيه عني .. ووقف ينظر إلى وفي عيني
.. ثم انهارت عيناه ، وانهارت كل ملامح وجهه ، ونكس

رأسه .. واستدار لى وخرج فى خطا بطيئة .. كأنه يمشى فى
جنازة ..

وأنا واقفة .. عيناى مذعورتان .. وشهقة تشق قللى ..
ولطرافى ترتعش .. ثم جريت وراءه وأنا اصرخ :

— محمود .. محمود ..
ولكنه لم يلمع الى ..

خرج من البيت .. وأنا اصرخ واشد شعري .. ثم انكثت
أنكى ..

وفى اليوم التالي .. وصلنى ورقة الطلاق ..

★★★

هل أنا سيفة الحظ لأن اسم حبيبى للسائق انطلق على لسبلى
رغم ارادتى !!

أما أنا ضعيفة غبية لأنى تركت عقلى بمرح وراء قللى .. وركبت
لسائى يفلت مئى ..

لا أدري .. كل ما أدريه أنى لا زلت أبكى ..

وأنى أحب محمود .. ربما لم أحبه أبداً ، قل أن أحب
محمود ..

رجل ينفخ البالونات

سأب هوأبته : صناعة الأسماء الكبيرة .

أبـه منان .. مخرج سينمائى « وصاحب شركة اساح » وأحياناً
بـ الفصص « وأحياناً يرسم » وأحياناً يؤلف قطعاً موسيقية .
أبـ . طلت هوأبته الأولى : صناعة الأسماء الكبيرة ..

أبـ يخلق فى كل وجه يقابله .. وجوه بأسماء البائسبب ،
أبـ الخائبات ووجوه فتيات الكومبارس ، ووجوه الطلبة
« الطالبات .. و .. و .. و .. يخلق فيها بعين خبيرة ، كأنه
أبـ عن قطعة من القماش يصنع منها ثوباً حبيداً .. ماذا وحد
أبـ القماش وضع كل فنه .. كل حماسه .. كل ما يملك .. حتى
أبـ منها نعمة أو نحماً سيمائياً مشهوراً .. ذا اسم كبير !

ولم يكن يلحق الوجه الجديد أصول الفن وحده .. كان يلغنه
الأمارة نفسها .. كان يعلمه كيف يأكل ، وكيف يتكلم ، وكيف
أبـ .. كان يخلق له شخصية جديدة يواجه بها الناس ..
حسنة من صنعه هو ..

لقد عرفته عندما التقط إحدى الخاديات .. كان يدخلها بنفسه
الى الحمام ، ويقف على الباب إلى أن تستحم .. ثم يصحبها إلى
اللاق والخياطة .. ويجلس أمامها وهي تأكل ، ويعلمها كيف
عمل للشوكة والسكين .. وكيف تغفل شفيتها وهي تبضع
البلعام .. وكيف ومتى تتكلم .. ثم يأتى لها بمدرس ليعلمها اللغة
الفرنسية أو الإنجليزية .. ويختار لها الكتب التى تقرأها .. و ..

انه يخلق شيئا جديدا .. انه يتفخ من انفسه روحا من الجسد الذى احتاره ..

ولم يكن يريد شيئا من الاسماء التى يصنعها ..

• لم يحدث مرة ان قامت بينه وبين بنت من البنات اللاتي يصنعهن • علاقة عرامية .. ولم يحدث ان استغل اسما من الاسماء الكبيرة التى حقها من ملهم من افلامه • بل كان دائما يعطى احرا على العمل فى افلامه اكثر من الاجر الذى يعطيه اى منتج آخر ..

كان كلما يريده هو ان يتباهى بالشئ الذى خلقه ..

كانت كل سعاده ان يطر الى الاسم الكبير المعلق فى اعلانات الحائط • ويهمس : هذا من صنعى .. وعاش هكذا طويلا ..

كان كپائع المألونات • ينفخ فيها انفسه حتى تكبر .. وتكبر .. ثم يعلقها بخيط خفى عليه سده • ويدور متباهيا سن الناس .. هذه البلونات كبرت بانفاسي !

واحيانا كانت تطير بالوثة بعدا عنه .. فينظر اليها وهى تحلق فى السماء • جزعا ملهوما • كالطفل .. ويتعذب .. يكاد يبكي .. كان لا يصدق ان هذه المألونة تستطيع ان تعيش بغيره • كيف يستطيع وهى تحمل اساسه .. ورغم ذلك تفسخ المألونات عاثت بهيره .. ظلت ملحقة فى السماء .. صحيح ان بعضها سقط • ولكن البعض الآخر ظل معلقا !!

ثم كان يعود الى هوايته .. صناعة الاسماء الكبيرة ..

ورايته وقد البقط طالبة محبولة .. كانت انسانية ضائعة الشخصية .. ربما كانت ذكية .. ولكنها كانت ضائعة .. لا تدري ماذا يمكن ان تكون .. ماذا يمكن ان تصنع فى الحياة ..

وبدا الفنان يزيح عن شخصيتها الضياع • ويمسح الاتربة عن

تسبها وعلمها .. وينفخ فيها حتى كبرت .. وكبرت .. اصحبه ..

اسما كبيرا ..

وفرح بها .. كان مزهو بها ..

ومجد • وقتت سعده .. صرخت :

— سأنحر منك ..

مال حزعا ..

— مسبح .. انك لا تسدسنى ان سحرى من نفسك ..

وار نفسك ..

وصرخت :

— انت لا شئ .. انا اكبر منك ..

قال فى هدوء :

— ان الله لا يصنع شئ اكبر منه ..

قالت :

— انت مغرور .. انك لست الها .. انت تحربة .. مجرد

حربة استعذت منها .. انت عكاز استندت عليه عندما كنت ضعيفة

• ولست الآن فى حاجة الى عكاز ..

وصرخ :

— سأحطيك ..

وصرخت وعيناها فى عينيه :

— لن تستطيع لانك لست الها .. جرب ان تحطمنى • وسنعم

انك لست الها ..

وطارت المألونة .. طارت بانفاسه التى نفخها فيها ..

ولم تكف بان تتحرر منه • بل اخذت تحاربه .. تحاربه فى

سده .. ومى سمعه .. بذات تحاول تحطيمه ..

ووقع صريع حالة نفسية عيفة .. انه لا يستطيع ان يحارب

كما تحاربه .. انها من صنعه ولا يستطيع أن يتبرا منها ..
لا يستطيع أن يخرج الى الناس ويقول لهم انه صنع شيئا قذرا ..
اناسا ، انتهزيا .. لا يستطيع .. انه يريد ان تبدو دائما جبهة ..
هائلا كبيرة .. دائما محبوبة .. لانها من صنعه ..

ولكنها تحاربه .. تتجرا عليه .. نهشه ..
وصراخه مع نفسه يشتد .. ويكاد يقضى عليه ..
وقلت له :
— الحق عليك ..

قال :
— كيف ؟ ..
قلت :
— لانك لم تكن تنظر اليها ، بل كنت تنظر الى نفسك فيها ..
ولم تكن تعجب بها ، ولكنت كنت تعجب بصنعك !
قال :
— انها لا تستطيع أن تفكرنى من وجودها ..
قلت :

— انها فى حاجة لمن ينظر اليها كما أصبحت ، لا كما كانت
وانت كنت تراها مجرد طالبة مجهولة .. كنت كالأب الذى يرى
أولاده أنهم فى حاجة لمن يعاملهم كبار ..

قال :
— انى أكثر من أب .. انا الذى خلقتها .. انا ربها ..
قلت :

— لا .. انت مجرد فنان .. والفرق بين الفنان والآله ..
أن عمل الفنان على عمله ينتهى بمجرد أن يفرغ منه .. أما الآله
فمنظف صلته قائمة بينه وبين خلقه ، يأمرهم ، ويحدد مصائرهم ..
وسيدوم ليستعدهم الله ..

قال :

— انى لم اطلبها بأن معدنى .. فقط تعترف بفضلى ..
قلت :

— انها لن تعترف بفضلك الا اذا أصبحت اكر منك ..
والم تعترف لك بالفضل فانت لا زلت اكر منها .. واحد الله ..
قال :

— اك لا تدري ماذا صنعت لها .. لقد كانت بالونة فارغة ..
ونفخت فيها من انفاسى حتى أصبحت كبيرة كما تراها الآن ..
قلت :

— انفاسك هواء .. والانس ترى البالونة ولا ترى الهواء
حديا ..
قال نائسا :

— حماره ..

قلت :

— اك لم نحسر شيئا .. لانك ممان .. ولانك فنان تستطيع
أن تصنع بالونة أخرى ..
قال :

— لتطير منى ١١

قلت :

— لتطير منك .. لتلأ السماء بالونات ..
وسكت .. سكت شهورا ..
وبدا تمنح فى بالونة أخرى ..

المنمان حمرة الخجل ، كأنها فتاة صغيرة فوجئت بسؤال يفتح
.. ثم سكنت .. لم ترد على سؤالى ..

عدت الح عليها ، وأسألتها :

وهل أحسنه قبل أن تتزوجوه ؟

وسكنت وهى تتهد ، وظل ابتسامة يطوف حول شفتيها ..

انى انوس إليها :

— طنط .. لا تبخلنى على .. انك لم تعودى على الحل .

وسوسا عندها يحدث عن المرحوم ..

وقالت رينب هاتم مى صوت هامس كأنها تحدث نفسها :

— لا .. لم أحبه قبل الزواج .. ولم أره قبل زفانى اليه ولم

أحسا فى السنوات الأولى من زواجنا .. بحى أكثر من خمس

ات وأيضاً زوجة له .. بلا حب .. ثم أحبته .. أحبته الى حد

لم أعرف من عمرى يوماً لم أحبه فيه ..

وسألتها فى لهمة :

— كيف .. لا أحكى لى يا طنط ..

ونظرت الى كأنها فعزنى فى لهمتى ، وهى تعلم انى كاتب

حى .. ثم أطلقت عينها خارج النافذة كأنها تليقظ ذكريات من

.. يداب تحدث فى صوت حفيض هامس .. كأنها تعترف

بصرف لربها ، أو لزوجها ..

— لقد وضع زوجى نظاماً غريباً لحياننا منذ اليوم الأول

أحنا .. كان يخرج من البيت فى الساعة الثامنة صباحاً تماماً

ويذهب الى الوراره . ويخرج من الوراره فى الساعة الثامنة

الظهر . ويجه مباشرة الى النادي . وسأول عداه فيه ، ثم

مع استقلته حتى الساعة الثانية عشرة .. منتصف الليل ..

الساعة الثانية والنصف ، أسمع صوت ممناحه يدور فى قمل

بلا مطبخ

عرفت رينب هاتم منذ كنت طالبا فى الجامعة .. انها عمة
زمنى فى الدراسة مجدوح عاصم ، وكان يقيم معها منذ توفى
روحها ، وتركها بلا أولاد ..

كنت أناديها .. طنط زينب ..

وكنت أرتاح للجلوس معها .. كنت أحس بجلبتها كأن الدنيا
تأبها هادئة .. وكان العاصم كلهم طيبون .. وكانت تقطننى
بساتمتها الحلوة ، وعينيها الحاليتين ، وشعرها الذى اختلط فيه
الابيض بالأسود ، وحديثها المنعم ، تقطننى الى عالم قديم .. عالم
فسر عالمنا .. عالم تقوح فيه رائحة مخور معطر ..

وكان أغلب حديثها عن زوجها المرحوم .. لا تنك أبداً عن
الحديث عنه .. ان كل ما حولها ، يذكرها به .. وكل موسوع
دثيرة الحديث ينقلها اليه .. وكانت عندما تتحدث عنه الملح نى
عينيها لمة قوية كأنها استردت كل شمائها . وكثيراً نحاول أن
نحترق الحجب بعينيها لتصل اليه وبراه ..

وقد بلغت الأربعين من عمرى ولا زلت أذهب اليها كل اسبوع
مرة ولا زلت أناديها .. طنط زينب .. وأجلس معها ، وأسمع الى
حديثها .. حديثها عن زوجها .. وأرى اللعة القوية تنطلق من
شفاها .. وفى مرة قلت لها :

— انك لم تحدثينى أبداً عن قصة حبك للمرحوم ..

ورفعت طنط زينب عينيها ، ثم أرختها ، وقد تضرجت وجنأها.

الباب .. ويخل الى .. ولم اعترض على هذا النظام .. لم يكن لى
حق الاعتراض ..

ثم انى لم اكن اريده ، او اريد منه شيئا ..

« واصبحت بعد ان يخرج روحى فى الصباح ، اذهب الى
والدنى ، وانى معها ، الى ان اتناول طعام الغداء .. ثم اعود الى
البيت فى الساعة السادسة مساء .. وانظر زوجى .. لم يكن
يبنى بيتا .. كان مجرد لقاء بينى وبين زوجى ..

وكان بيتى يبدو غريبا بين البيوت الأخرى .. لم يكن فيه
مطبخ .. اعنى اننا لم نكن نستخدم المطبخ .. لم يكن عندنا طماح
ولم تكن نطهو طعاما .. حتى أن صديقتى كن يطلق على لقب :
« الست التى من غير مطبخ » !

ومرت المشهور وأنا محتلة هذه الحياة دون أن أضيق بها ..
بل ربما وجدت الله على تحررى من مسئوليات زوج يشغل كل وقتى
بمطالعه .. ولكنى شيئا فشيئا بدأت أحس بالملل والضيق ..
خصوصا وقد بر مامان دون ان اتحب أطفالا يملئون بيتى بالحياة
.. وكان اول ما شعرت به هو مطبخى .. المطبخ الصامت النظيف
الذى لا يضح بصوت بوابير الجاز ، ولا تفوح منه رائحة السمن
والثقلية .. وقد حاولت ان أبعث الحياة فى مطبخى .. كنت ادخل
اليه ابا وخادمتى نعيمة ، واحاول ان اطلع .. وكنت اطلع فعلا ..
ولكن ما قيمة ما اطبخه ما لم يقدم لرجل يتذوقه !

وبئست .. وعدت اتناول غذائى عند والدنى .. ولكنى اتجهت
بديأتى اتجاهها جديدا .. اخترت نوعا جديدا من الصداقات ..
نوع اشهر من صاحبة مصر الجديدة بالمرح والمغامرات ..
واصبحت اتضى معهن كل وقتى .. اتناول غذائى معهن ، واسهر
معهن حتى الساعة العاشرة ، واحبنا الى الثانية عشرة .. واحبنا

د الى البيت بعد عودة زوجى .. فلا يحاسنى .. فقد كان مطبخنا
.. مطبخنا الى صديقتى .. وفى احدى هذه الليالى تعرفت
للحرب الذى كان معروفا على ايامنا .. الأستاذ ابراهيم عزوز ..
ولا ادرى ماذا حدث لى .. ولكنى وجدت نفسى انساق به
ربه .. ثم انساق مع همساته .. ثم انساق مع ضغطة يده على
..

وعرمت .. صديقتى من الاعجاب المتبادل بينى وبين الأستاذ
أحمد .. ولكنه كان مجرد اعجاب .. وربما تطور الى شيء أكثر
مللا من الاعجاب .. ولكنى بقيت حريصة على ان أكون زوجة
خليفة مخلصه لزوجى .. لم يكن بيتى وبينه أكثر من هذه الهمسات
واللمسات التى تنبادلها فى السهرات ، خفية عن العيون التى
تخطئنا .. حالى ان قال لى ابراهيم مرة :

مضى حانزميى عندك يا رينب هانم ؟

قلت دور .. اعنى ما اقول ..

— اهلا وسهلا ..

مال مى سافه :

— مكره حاضى انخدئى عندك !

ورنت فى اذنى كلمة « الغداء » .. رجل سيمعدى عدى فى
الذى لم يتناول فيه رجل من قمل طعام غدائه ..

وقبلت ان ادعوه الى الغداء .. احساسى كائى اشترى الحياة
..

ولم يكن ابراهيم يعرف ظروف حياتى ، ولا النظام الذى نعيش
.. انما دعا نفسه وهو يعتقد انه سيقابل زوجى .. وكان من
به ان يقلل ازواج كل السيدات حتى عشيقاته !!

وصحوت فى اليوم التالي مكررة .. ربما لم اتم طول الليل ..

ونه أقل لزوحى عن دعوتى للأستاذ إبراهيم .. انما انتظرتة الى أن
خرج ، وجريت الى المطبخ .. وأرسلت الخادم يشتري الطعام ..
وامسيت نفسى أنا ونعميمة فى طبخ أشهى طعام يمكن أن نطبخه ..

• وجاء الأستاذ إبراهيم .. وفوجئء عندما لم يجد زوجى ..
ولقنه لم بهم .. وجلس معى الى المائدة .. لأول مرة اجلس مع
رجل على مائدتى فى بيتى .. ولأول مرة أحس ببيتى .. وأحس
أنى زوجة .. زوجة من لا بهم ؟ .. المهم انى زوجة ..

وأصبح إبراهيم يتناول غداءه فى البيت كل يوم ..

واستأجرت طبأخا .. قلت لزوجى أريد طبأخا .. فلم يعرض ..

ولا حاجة لى لأن اقول لك .. انى انسقت مع الأستاذ إبراهيم
الى آخر الطريق .. زوجة خائفة .. ولكنى لم أحسبه .. كل
ما أحبته فيه أنه رجل يتناول غداءه فى البيت .. بيتى !

ثم .. حدث يوما أن كنت حالسة مع إبراهيم فى صالون
أبيت بعد تناولنا الغداء .. نتحدث فى هدوء واطمئنان .. وكيف
لا نطمئن وزوجى لا يعود الا بعد منتصف الليل .. ولم يحدث مرة
أن أخلف موعده ..

ولكن .. نفاة — وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر — سمعت
صوت المفتاح يدور فى القفل .. أنه زوجى ..

ولا أدري كيف اعاتنى ذكائى ، وشجاعتى على التصرف ..
واكنى دفعت إبراهيم دفعا الى باب المطبخ ليخرج منه .. ثم هرعت
لاستقبال زوجى عند الباب .. ولكن إبراهيم كان قد خلع سترته
وتركها على المتعد الذى يحوار الدب .. مجلسى فوقها على المقعد
بسمعة ، واستقبلت زوجى ، وأنا جالسة .. فوق سترة عشيتى !
وربما كنت أرتعش ..

ربما كانت رموشى تهتز فوق عيني .. ربما كان صدرى يتهدج ..

• زوجى صانحتنى مبتسما ، ثم خلع طربوشه وتركه على
أرض الحائط للباب فوق المتعد الذى اجلس عليه .. ثم أدار
• ودخل الى غرفة النوم .. وهو يقول :

— أنا نسيت الحافظة بناعتي وأنا نازل الصبح ..

وانتظرت الى أن دخل غرفة النوم ، ثم قمت من فوق ستره
بسمعى ، وأمرت نعميمة الخادمة أن تحملها الى الأستاذ إبراهيم
الذى كان فى أسفل سلم المطبخ ..

ثم جريت وراء زوجى ، الى غرفة النوم ..

وأخذ زوجى الحافظة ، ثم تبادل معى كلمتين .. وهم بالخروج
يدا الى النادى .. وعند الباب بحث عن طربوشه .. لقد أخلى
الطربوش ..

وأدركت ما حدث .. لقد أخطأت نعميمة ، وظننت فى ارتباكها
أنه طربوش الأستاذ إبراهيم ، فحملته اليه مع السترة ..
وارتبتك ..

ولا شك أن الارتباك قد بدأ واضحا فى عيني ، وفى رعشة
سدى ، ولعمرة لسأتى .. ولكن الابتسامه لم تسقط من فوقي
سفتى زوجى .. ظل ينظر الى طويلا .. دون أن يتكلم .. ثم
خرج ! .. وقضيت أتعس أيام عمرى ..

ولم أخرج من البيت ليلتها .. بقيت فى انتظار زوجى ، وقلبي
سرب ضاوعى كأنه يصغى ، وذكائى ينشط بحثا عن دفاع يمكن
أن أرويه له إذا فاتحنى زوجى فى حكاية الطربوش .. وعاد زوجى
فى موعده تماما ..

ولم يذكر شيئا عن الطربوش .. انما أخذ يتحدث معى كعادته :
ربما كان ليلتها أكثر اقبالا على ، وأكثر رقة من عادته .. الى

ان فاتحته انا فى حكاية الطربوش .. وقتلت له انه كان قد وقع من
على المشجب ووجدناه تحت الأريكة .

ولم يبد زوجى اهتماما .. وفى صباح اليوم التالى ، وقبل ان
يخرج ، اسدأر الى ، وأمسكى من كتفى فى رقة ، وقال باسم :
— انا جائفدى هنا النهارده با زوزو .. اصلى افكرت ان
عددا طباح !

وخفق قلبى .. وشمرت بوجنتى يضجان باللهب ..

وقبلنى فى جبينى قبل ان يرحل ..

واحبيته ! وعاد ليتناول غداه ..

كل يوم يتناول غداه معى .. فى بيته .. لقد عرفت ان
روحة من انا .. انا زوجته .. واحسنه !!

هذا البريق

اسمى : عباس محمد ..

وهو كما ترى اسم عادى . كالفرش المسحوق .. ليس به
.. ولا بنير اساهك . ولا يدبر حتى اسمنازك .. انه مجرد
اسم من ملايين الاسماء .. اسم ، والسلام !

وشكلى ايضا .. مجرد شكل عادى .. لى عين ، وانف ..
وم .. لا يتقصى شئ .. ورغم ذلك فاذا مرت فى ، فانك لا تكاد
تدرك .. كأن ليس لى شكل .. كأنى لست موجودا .. فليست
بدا حتى نصف وتشفق على من قهيمى .. وانفى ليس كبيرا
.. ملئويا كلف اللبائشو ، حتى تقف وتمتع عينيك بوسامتى .. وتعجب
سما كحوم السيما ، حتى تقف وتمتع عينيك بوسامتى .. وتعجب
.. او بفار منى .. انى مجرد شكل .. مجرد رقم من ملايين
قام ..

وشخصيتى كذلك .. لا تثير اعجابك ، ولا تثير احقارك ..
من فىك شيئا ابدا .. فاذا جيسست مع اصدقائى فهم لا ياذن
.. فليست ثقل الظل ، وليست مضينا .. واذا غبت عنهم
.. يتدنوننى ولا يسألون عى .. فليست حنيف الدم .. وليست محدثا
.. حتى يحسوا بغيثى ..

وقدكائى .. ايضا .. لست لاجع الذكاء ، وليست غيبا .. وفى
مع مراحل الدراسة لم يكن ترسنى بين زملائى الأول .. ابدا ..
.. يكن ترقبى الاخير .. ان مكانى دائما حيث لا اثير انشاء احد
.. السابع عشر ، او الثامن عشر ، او التاسع عشر ، فى ترتيب
الاجدين .. وحتى فى الألعاب التى هويتها كنت واحدا والسلام

.. كنت أحب ان ألعب كرم القدم ، وكنت انضم الى فريق الكرة في كل مدرسة أدخلها ، ولكن لم يحدث مرة ان أصبت المرمى ، كما لم يحدث ان أخطأت في اللعب ولكن لم يحدث ان صق لي الجمهور ، أصغر لي ..

وأخلاقى .. أنك لا تستطيع أن تعبرني فاضلا ولا أن تعبرني سافلا .. اني اشرب الخمر ، ولكنى لا أسكر .. وأغازل الفتيات ، ولكنى لا أصل اليهن .. و ..

هذا هو أنا .. انى اعرف بنسى جيدا .. وصديق معد هذا انى ..

رسمام .. وقد هويت الرسم من صغرى .. وكبرت معى هوايتى .. وكنت أرسم كثيرا .. كنت أرسم شجرة مثلا .. وفتظر اليها فتعرف انها شجرة .. ليس فيها شيء ناقص .. الفروع متكاملة ، وأوراقها مرسومة ورقة ورقة بكل ما فيها من تفاصيل .. والألوان ليس فيها خطأ .. ورغم ذلك فلم يكن أحد يهور به ، أرسمه .. كانوا يكتفون بإبتسامة صغيرة ، وكلمة تشجيع ، وتبقى عيونهم مغلقة ، ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

وكنت أعرف ما يتصنى .. يتصنى هذه اللبحة التى يتميز بها الفنانون .. هذا البريق الذى ينطلق من نفس الفنان ويسرى فى هذه المسكة بالفرشاة .. كان يتصنى هذا البريق لأكون ولحدا من كبار الفنانين .. مايل أنجلو .. رومللى .. يوسف كامل .. محمود سعيد .. جمال قطب ..

وقررت ان أفضى حياتى كلها بحثا عن هذا البريق .. والنحت بكلية الفنون الجميلة .. وقيلونى بين طلبتها ، لاهم لم يستطيعوا ان يرفضونى .. لا لانى اثرت أعجابهم ..

ولى هذا الوقت سكنت منية مع عائلتها فى الشقة التى تعلقنا فى الدور العلوى .. فمادة لم تتم تعليمها .. يبدو عليها

مياء .. وبدأت تتردد علينا لزيارة أخفى .. ورات لوحاتى لأول .. فاذا بها تصيح :

— الله جلوه قوى يا عباس .. انت مدهش !

ونظرت فى وجهها .. ولحت فبها .. ولم اقتنع برأيها
.. ممامة .. لعلها جهلة .. ورغم ذلك مان صيحبها أثارت لأول مرة نوعا من الغرور الخافت الضئيل .. غرور لم يستطع ان يقضى بلى لامع ..

وأصبحت اذهب الى الكلية كل يوم ، وأعود الى البيت لأرسم .. وأترك سنية الغبية .. الجاهلة .. تبدى أعجابها بما أرسمه ..

وأهيمت اهتماما كبيرا بدروسى .. أصبحت اعرف كل شيء من غنون الرسم .. وأصبحت أرسم لوحات ، لا يمكن أن تجد فيها خطأ واحدا من الناحية الفنية .. والتكتيك .. ورغم ذلك فلم يكن بها لوحة واحدة تغير أعجاب أساذنى أو زملائى .. أو تثير نقدا .. كن أن يواجبوني به .. لم أسمع من واحد منهم هذه الصيحة التى اسمعها من سنية .. فقط ابتسامة صغيرة ، وكلمة تشجيع .. يعون مغلقة ليس فيها دهشة ولا انبهار ..

ثم .. ثم أحبيت سوسن ، زميلتى فى الكلية .. ولا تسألنى هدف أحبتها .. لقد وجدت نفسى ذات يوم أحبها ، ربما لأنها دت محوى من الاهتمام ما لم أجده من أى فنانة أخرى .. وربما .. أحبها مجرد مجاملة ، تشع من رققتها ، وأحاسيسها المرفف .. ولكنى لم أشعر وقتها انها صامتنى .. وتركت نفسى احبها .. رائشيت بالحلب .. وخيل الى أنى على وشك أن أكون انسانا حديدا .. انسانا هاما .. ان فى صدرى مواطن وأحاسيس واحدة غبية ، لم تكن فى صدرى من قبل .. ولعل هذه المواطن والأحاسيس تسرى فى فرشتائى فاستطيع ان أرسم اللوحة التى أظهرها .. اللوحة التى تثير للبهرة والدهشة ..

وأصبحت أرسم كثيرا .. أتف أمام لوحاتي حتى الفجر .. ثم
أنهار من بعيد ، فلا أجد قريبا رسمته شيئا جديدا .. وترى موسن
اللوحه وتقف أمامها طويلا ، ربما مجالبا لي ، ثم لا أجد في عينيها
شيئا من الأسرار والدهشة .. عسان مطلقان ، وإبتسامة صغيرة
وكلمة تشجيع ..

نقط سنية ، هي التي تصبح من الدهشة أمام لوحاتي ..

ومرت شهور .. وأنا أعمش في حصى الجوهر .. وتجاه
اكتشفت شيئا لم أظنه من قبل .. أن موسن تحب عبد الرؤوف
المعلم طلبة الكلية في الرسم .. كل الطلبة يعرفون أنها تحبه ، وأنا
آخر من عرفت .. وعرفت لماذا تحبه .. لأنه المبح الطلبة .. لأنه
معلم ذو بريق ينعكس على لوحاته .. وكما تحب بنات الكليات
الأخرى أبطال الرياضة ، فإن البنات في كلتنا يقعن في غرام
أبطال الفن ..

وكان يجب أن أكون بطلا في الفن ، إذا أردت أن تحبني
موسن ..

وبدأت أتف أمام لوحات عبد الرؤوف لاكتشف كيف أصبح
مطلا .. أن لوحاته مليئة بالأخطاء الفنية .. أني أستطيع أن أشير
في كل لوحة الى أكثر من عشرة أخطاء .. ورغم ذلك مان البريق
الذي ينطلق من فرشاته يطغى على أخطائه ، حتى ليبدو هذه
الأخطاء متعمدة .. أن البريق يعنى الفنان من البقيد بالاصول
الفنية .. ولكن الاصول الفنية لا تعنى الفنان من البريق ..

وحاولت أن أتخذ عبد الرؤوف .. حاولت أن أحسرا على
الاصول الفنية .. وربما كانت هذه الجراءة هي التي تشحن عبقرية
الفنان حتى ينطلق منه البريق .. ولكني لم أستطع .. هل تصدق
أنى لم أستطع أن أخطئ خطأ فنيا واحدا وأنا أرسم .. لقد وجدت

مضى سجننا بين قضبان الاصول الفنية .. سجننا لا نستطيع
لكالك .. وظلت لوحاتي بلا بريق ..

ثم .. ثم تزوجت موسن من عبد الرؤوف .. تزوجا وهما
بزالان ضمن طلبة الكلية .. ولم أحتل الصدمة .. كان يجب
أن أفعل شيئا حتى أنقذ نفسي من هاوية اليأس والضياع ..

لماذا لا أتزوج أنا الآخر .. أتزوج سنية .. أنا على الأقل
مهرسى صاب عفريا .. أنا أصبح أمام لوحاتي .. حتى لو كنت
سباحها مجرد غناء أو نفاق ، غربا استطعت بهذه الصيحات أن
استعيد ثقتي بنفسى .. وأسير في محاولتي للوصول ..

وتزوجت سنية .. لم أفرح بزواجها .. ولم أضياع ..

وفي الأسبوع الأول من زواجنا ، رسمت صورة لها وهي في
لب الزفاف ، وبعد أن اتهمها ناديتها لأسمع صيحاتها .. وجاءت
وقتل أن تتمعن في اللوحة ، قالت كأنها تؤدي واجبا :

— حلوه قوى ب عسس .. قول لي ، نطبح امه النهارده ..

ونظرت في عينيها .. عيناها مطلقان .. لا دهشة ولا أنهار
كعيون كل الناس الذين ينظرون الى لوحاتي ..

وتحملت .. وبدأت مسئولياتي الزوجية تسقط على راسى ..
— سنية تريد ريشه أمها ويجب أن أكون معها .. وسنية تريد أن يصلح
وابور الجاز .. وسنية حامل .. وسنية تريد أن تذهب الى الطبيب
.. والخادمة خرحت ، وسنية تريد خادمة أخرى .. و .. وأنا
أحب أن أخل بمسئولياتى .. أب رجل الاصول .. الاصول
الفنية ، واصل الحياة الزوجية ..

وبدا وقتى يضييق عن مزاوله فنى .. وازدادت اعبائى المالية
.. حتى لم يعد الدخل القليل الذى ورثه عن والدى يكفينا ..

ثم اكتشفت سنية شيئا لم تكن تعرفه .. اكتشفت أنى لا أبيع

لوحاتي .. او على الاصح لا أحد يشتريها .. فلم تعد تكفى
بإهمالي عندما تراني أرسم .. أصبحت تصرخ :

— يا خويا بدل الهم ده ، ما تروقه تدور لك على شغله تكسبه
مذا قرشين ، تاكل بيهم عيش .. وترى بيهم ابتك ..
وكان ابني فعلا في حاجة الى قرشين لأبيه .. فانتقطعت من
الدنية .. وبدأت أبحث لنفسى عن عمل ..

والآن .. أنا الآن واحد من ملايين الأزواج الذين تمر بهم دون
أن تنبه لهم .. مجرد رقم من الأرقام .. وعندى أربعة أولاد ..
وأنا كاتب حسابات فى شركة المخازن الكبرى ..

والرسم .. إن سنية حرمت على الرسم فى البيت .. أنها
لا تطيق أن اشغل الحجرات الضيقة باللوحات .. ثم من أين أبى
.. من الألوان والأدوات .. ولكنى فى أوقات على أرسم بعض
الرسوم بالقلم الرصاص .. أنها رسوم تتكامل فيها كل الأصول
الغنية ولا ريق ..

اتدرى .. أن ابنى حسين يهوى الرسم .. وهو الآن فى الثانية
عشرة من عمره .. وسيكون فنانا كبيرا .. ابنى واثق انه سيكون
فنانا كبيرا .. انه لا يتقيد بالأصول الفنية .. ان فى رسومه
عشرات الأخطاء .. ولكن .. فيها بريق ..

شيء غير الحب

انا من « أبو كبير » .. شرقية .. وعندما جئت الى القاهرة
التحق بالجامعة كان أهم ما يشغل بالى .. البنات !
كل بنات الجامعة يرسمن فى خيالى كنوع غريب من
المخلوقات .. ليس بناتنا كنات بلنا .. وليس فيهن واحدة كأنهى
.. كاتبة عسى .. ولكنهن — فى خيالى — أقرب الى نجوم هوليود
.. يعشن فى عالم يحد .. ويتكهن لغة ليست لغتى .. ويمررن
عمرات مثيرة يقف لها شعر رأسى .. ومنذ أحسست بشبابى وأن
طالب فى المدرسة الثانوية ، وأنا أحلم بحب بنت من بنات الجامعة
.. لا .. لم أكن أحلم بالحب .. ولكنها كانت أحلاما محمومة ..
حراء .. تضيح بخيالات المراهقة ، وتطلق فيها السنة الكبت
الصف الذى تعرضه على حياتى فى البلدة ..

وقضيت الليالى التى سبقت ذهابى الى الجامعة ، وأنا كالمجنون
.. أرسم لنفسى صورا كثيرة وأنا بين البنات .. وتلنابى قشعريرة
وأنا انصور نفسى وأجهش وأحدث اليأس .. ومى صباح يوم
أساح الدراسة ، قضيت ساعات طويلة وأنا حائر فى اختيار
الصورة التى أبدو بها .. هل ادو ضاحكا .. هل ادو موزا ..
.. هل اذهب بالقميص والبنطلون كما يفعل أولاد القاهرة ، أم اذهب
.. رتديا حلة كاملة .. ؟

وذبحت مرتديا حلتي الكاملة .. حلتي الجديدة .. ووجهى
حار بين الإبهام والسويز .. وسقطت عرنائى على بنات الجامعة

أول مرة .. بل لم أر سوى البنات .. كنت أرى أى فستان يمر
على بعد ثلاثمائة متر ، ولا أرى زميلى الطالب الذى يقف على بعد
٥٠٠ مترين ..

وعلى وعلى وراء عيني .. كل احساسى منجذب الى البنات
.. ولكن كيف اتحدث اليهن او الى واحدة منهن .. لربكت ..
خائفى شجاعتي ..

لم استطع ان أقدم نفسى الى واحدة من البنات .. ومرت الأيام
وكلمنا رابت طالبا يحدث بنتا ، وقفت من بعيد أرشها وأحسده
عابها .. ثم أقول لنفسى : لابد انها أخته .. أو ابنة عمه .. والا
لما نجرا على ان يقف ويحادثها بهذه الساطة .. وكنت اخذع بنسى
بعد الكلام .. ولكنى كنت مضطرا الى خذاع نفسى .. والا مت
كهذا .. بل انى كنت متأكدا انه لو انقضى العام دون ان أحدث
بنتا من بنات الجامعة : فسانتحر !!

ومرت أسابيع .. وفى يوم كنت خارجا من المدرج - عندما
اتحدثت منى سعاد ، وقالت فى بساطة :

— انت كئيب المحاضرة ؟

وارتجكت .. وارتعشت رموشى فوق عيني ، حتى لم أعد أرى
من سعاد الا خيالا مهزوزا .. وقلت كائى اصم :

— نعم ؟ !

قالت :

— باقولك تسمح تدننى كراستك انتل منها المحاضرة ..

وقلت واما ازداد ارتساكا :

— انفضلى يا المنعم ..

وتناولتها كراسية المحاضرات بيد مرتعشة ، وأخفتها منى بيد
ثابته ، وهى تهيمس :

— مرمى ..

وابتعدت ، وجاءت فى اليوم التالي لتعبد الى الكراسية .. وهى
:

— ده انت خطك حلو قوى ..

ووقفت تتحدث الى .. أصبحت تقف وتحادثنى كل يوم ..

كل الطلبة .. وكنت أتجنب من حراتها فى مبدأ الأمر ..

من بعد قليل اقتنعت نفسى ان الوسيط الجامعى يقبل مثل هذه

جراء .. خصوصا بعد ان اطمانت الى ان لبس لها أخ ولا قريب

من الطلبة .. ودأبت افكر فى سعاد ليل نهار .. لابد انها تحبني .. !

سبح اننا لم نتحدث فى الحب .. ولم نتبادل لمسات الحب ..

من ماذا يدفعها الى التحدث الى الا اذا كان الدافع هو الحب ..

الصدقة !!

لا حشيس هناك صداقة يمكن ان تقوم بين منى وفنارة ..

اما حب أو لا شيء ..

ولكن لماذا لم تبدأ سعاد فى مطارحتى الحب ؟

لا أدري .. لعل للجامعة تقاليد فى الحب لم اعلمها بعد ..

ومى يوم سرت مع سعاد نتحدث حتى وصلنا الى باب الجامعة

.. ووقفت منتظرا ان تساذننى من الانصراف .. فلا شك انها

لا تريد أن تظل سائرين معا خارج الجامعة .. فى الشارع ..

ولكنها نظرت الى منى دهشة ، وسالتنى :

— انت متش مروح ؟

قلت وانا أنظر الى وجهها حائرا :

— أيوه ..

قالت :

— انت ساكن فين ؟

قلت :

— فى الجيزة ..

تالت وهي تبتسم :

— طيب تعال امشي معايا لغاية الكوبرى ..

وارتفعت كلى .. كيف اسير معها فى الشارع .. لعل احدا من هائلنها يرانا .. لعل الناس يتجمعون حولنا ويفربوننا .. ولم امصح لها عما خالجنى من خوف .. استعنت بالله وسرت معها ، واتا اتلفت حولى فى حل خطوة منتظرا ان يهاجمنى احد اثارها ويمسك بتلابيبى .. وهي تسالنى :

— مالك .. يتنص على ايه ؟

وأجبتها وابتسامتى ترتعش :

— ولا حاجه .. اصلى بادور على واحد صاحبى ..

وظللت سائرا معها .. انه شعور عجيب عندها تسير فى الشارع لأول مرة مع مائة .. شعور فيه خوف .. وفيه زهو .. وفيه ارتباك .. وفيه احساس بالحولة والثقة .. شعور لم اكن .. عرفته .. ان الانثى الوحيدة التى كت اسير معها فى شارع دلدا ، هى الجاموسة .. !

ووصلنا الكوبرى .. واستأذنت .. انا الذى استأذنت ..

وعدت الى بيتى وانا اكاد اطير من الزهو ، كانى عدت من ساعرة عنيفة جريئة .. وتعودت بعد ذلك ان اسير مع سعاد فى الشارع .. ليس دائما .. ولكن فى ايام متباعدة كانت تسمح لى خلالها بمصاحبتها ..

ثم .. كانت قد افترضت منى كراسة المحاضرات .. وفى اليوم التالى خرجنا سويا وسرنا حتى تعدينا الكوبرى ، ثم سرنا حتى وصلنا الى المنزل ، وقالت لى فجأة :

— تعال معايا البيت علشان تاخذ الكراسه بتاعتك ..

ونظرت اليها متعجبا .. ولكنى سكنت ..

ووصلنا الى الشارع الصغير الذى يقع فيه بيتها .. وتوقعت عند اول الشارع ..

وقالت لى فى دهشة :

— وقتت ليه ؟

قلت :

— حاستناكى هنا ..

قالت :

— لا .. بحال معايا البيت !

قلت :

— آجى معاكى ازاي .. مش ممكن ؟

قالت :

— مش ممكن ليه .. اخويا زمانه جه وتقدم معاها !

قلت :

— حس هو ما يعرفنيش !

قالت :

— وماله .. يعرفك ..

قلت :

— يعرفنى ازاي .. حانتولى له ايه ؟

قالت :

— حانتول له ان اسمك عباس عبد البارى ، وانك زميلنى فى

الكلية ..

قلت :

— باه ده اسمه كلام يا اخواتى ..

قالت وهي تشدنى من يدي ، وتكاد تضحك :

— تعال بس ..

وسرت معها .. وطلبى يدى .. وكلى ارتمش .. وفخلنا

البيت ، وصعدنا فى السلم .. ومناقشة حادة تدور فى راسى ..

لقد سمحت ان اقفا واحادثها فى الجامعة .. معقول .. وسهبت

أن أسير معها في الشارع .. معقول برضه .. إما أن تسمح لي
بأن أدخل بيتها .. فهذا ليس معقولا ..

وما كنا نصل إلى باب الشقة ، والمحها وهي تمد يدها لتضغط
الجرس ، حتى نغز إلى ذهني خاطر غريب .. ربما كانت مدير لي
مؤامرة .. ربما إذا دخلت فوجدت بأهلها يتكالبون عليّ ويهيموني
بالاعداء على شرفها ثم يستدعون المأذون ليغفد قرائي عليها ..
ربما .. ربما أي شيء !

وبلاوعي مني .. وجدني استدير لها ، ثم أهبط السلم نغزاً .
ثم أخرج إلى الشارع ، وأجرى .. وأظل أجرى حتى وصلت إلى
كوبرى عماس ..

★★★

حدث لي هذا في العام الدراسي الأول من النحائي بالجامعة ..
ثم بدأت أكتشف شيئاً لم يكن يخطر ببالي .. اكتشفت الصداقة ..
صداقة بين الطلبة والمطالبات .. شيء لا تعترف به في بلدنا
أو كبير ..

وبين أصدقائي الآن كثير من الزميلات ، أنردد عن بيوتهن
وأعرف عائلاتهن ..

ولكن .. ليس في بلدنا أمع كبير ..

نن أتزوج زميلي

شوء غريب ، هذا الذي حدث لي ..

لقد تخرجت في كلية التجارة ، والنحت بالعمل في إحدى
المؤسسات .. قسم الحسابات .. ووجدت نفسي أجلس على مكتب
في غرفة تحمعي مع أربعة زملاء .. شبان .. وشعرت برهبة
غريبة في الأيام الأولى من النحائي بالعمل .. رهبة الجلوس بين
أربعة شبان ، ثماني ساعات في اليوم .. في غرفة واحدة !

ولم أدر سر هذه الرهبة .. فقد كنت أقضي أيامي في الجامع
بين عشرات للشبان .. وكنت أعتقد أن رهبة الاختلاط بالشبان :
زابلتني خلال هذه السنوات .. ولكن يبدو أن الاختلاط بعشرات
الشبان ، أقل خطورة من الاختلاط بأربعة فقط .. والاختلاط في
مكان مسج مزدحم كقاعات الجامع .. أقل خطورة من الاختلاط في
غرفة ضيقة ..

ومرت أيام كثيرة وأنا لا أستطيع أن أركز عيني في واحد من
زملائي .. وصوتي لا يستطيع أن ينطلق كعادته ، ولكنه يخرج من
فم شفتي حافناً خجولاً ، مهذباً ، كأنني لست من بنات الجامعة ..
وحركاتي كلها بحساب يشوبه ارتباك .. وأنفي ثوبي وجدائي
وحقن به يدى .. كل صباح ، كأنني داهية إلى حل زمامي ! ولا أنكر أنني
قل أن أسلم على في المؤسسة كان يراودني حلم ، بأن التقى
بواحد من الزملاء ، أحبه .. وأتزوجه !

وظل هذا الحلم يراودني بعد أن جلست في العرفة الضيقة بين

الزملاء الأربعة .. وبسرعة .. ومن خلال كلمات عابرة .. استطعت أن أعرف الأربعة .. عزاليه .. وبدأت في فترت العمل .. اخذتس النظر الى كل منهم ، وأسأل نفسي ، من منهم احبه .. وازوجه !

عادل .. الشاب الضاحك ، الذي يبدو مستهترا في حياته الخاصة .. والذي يستطيع دائما ان يجذب الانتباه من بين شمتيك ، ويحولها الى ضحكة كبيرة ..

أو محمود .. السمين ، الذي يبدو عليه أنه « بيتي » وبدا حديثه كل صباح بوصف ما أعدته له أمه من طعام الغداء ..

أو رفق .. الشاب العاطفي ، الذي ينظر الى ويتنهد ، ثم يرفع يراسه ويهيم بعينيه في الفضاء .. ثم يحدثنا عن آخر قصة قرأها ، وآخر قصة يحاول أن يكتبها ..

أو ابراهيم .. انه رفيع أكثر من اللازم .. طويل .. كعود القصب .. وصامت دائما .. حاد دائما .. يقبل على عمله كأنه يقرأ في كتاب فلسفة .. يعقد حاجبيه ، وتكهر عيناه الجبلتان ثم لا يتكلم .. يقضي اليوم كله .. وقد لا أسمع منه سوى كلمتين !

أيام كثيرة قضيتها وأنا أنقل خاطري بين هؤلاء الأربعة .. شيئا فشيئا بدا صوتي ينطلق كعادته .. ململما .. وبدأت أتحرك سريية .. وأسند ركبتي على حافة المكتب ، وأطلب من الوفيه واحد مسندويش فول .. ثم بدأت الأحاديث بيننا تسهل كل شيء .. كل اسرار .. الأسرار المخبئة .. عرفت أن كلا منهم يحب ، وكلا منهم لا يفكر في الزواج .. عدا ابراهيم .. فلم أعرف عنه شيئا .. ولم يكن يتكلم ..

ومع الأيام أيضا .. بدأ الحلم الذي كان يراودني يتبخر .. بدا شعور بجمعي هؤلاء الزملاء .. شعور اقرب الى شعوري نحو أخى .. وليس معنى هذا أني لم أعد أفكر في الحب أو الزواج ..

ولكني ابتعدت بفكيري عن زملائي .. انهم اخواني ! ما الذي يخلق شعور الأخوة ؟ انه التعود .. التعود على شخص ما مدة طويلة .. كافية ، لنجعل منه أخا لك .. ان هذا التعود يتخى على الاحساس بالجنس بين الأخ والأخت .. وهذا ما حدث لي ..

لقد تعودت على زملائي .. أني اراهم واتحدث اليهم ، أكثر مما أرى أخى ، وأكثر مما اتحدث اليه .. ثم أني اراهم في العمل على حقيقتهم ، كأنني أرى أخى في النجاشا ، أو وهو نائم في سريره .. أني اراهم ، وسيدنا رئيس الحسابات ينسخط فيهم ، ويهدلهم أمامي ، واراهم وهم في ضيقهم ، وفي مرحهم .. واراهم وعامل الوفيه يحاسنهم كل شهر .. واراهم وهم يعملون ..

ان هذا الاختلاط الطويل ، لا يترك مجالا للخيال .. لا يترك مجالا لأن اتخيل الشخص كما أحب أن أراه ، لا كما هو على حقيقته ..

والحب في حاجة دائما الى الخيال .. الحب يبدأ بإثارة الخيال .. الحب لا ينشأ بين رجل وامرأة ، الا نتيجة صورته ارتسمت لكل منهما في خيال الآخر ..

وأكثر ما يشر حب المرأة هي تخيلها للرجل في مكان عمله .. انها تصوره جادا ، حازما ، متعبا ، يرهه زملاؤه ، ويحترمه رئيسه ، ويقف له وهو يصاحبه .. هذه الصورة تكون جزءا كبيرا من حيال المرأة عن الرجل الذي تحبه ..

ولكني لا أستطيع أن اتخيل شيئا من هؤلاء الزملاء .. لأنني اراهم بعيني .. وأرى أنهم ليسوا جادين في عملهم ، ولا حازمين .. ولا محترمين .. أنهم مهرجون .. يحايلون على التهرب من العمل .. وسيدنا رئيس القسم ينسخط فيهم وفي .. حتى ابراهيم الصامت .. مهرج ، وأخشنا في التحايل على الهرب من العمل .. وسيدنا ينسخط فيه ! وهكذا وجدت نفسي اختلا للأربعة .. وأصبحت أعاملهم كأخوة .. ولم أعد أهتم كثيرا بصادقتي ، وأ

داهيه اليهم .. وعندما بصافحني واحد منهم .. احس بد اخی
 می یدی .. لا یثیرنی الممسة .. ولا یثیرنی النظرة .. وفي الوقت
 نفسه كنت احس باحساسهم نحوی .. احساس الاخوة والاصدقاء ..
 لا احساس الزهال نحو فناة بیدهم .. جبيلة .. وكل منهم بصاح
 الى كآحت اكثر مما بصاح الى كساء بیدها .. ان كلا منهم بروی
 لی اسرارہ .. ادق اسرارہ .. وكلا منهم یأتمننی علی سرہ ..
 ویطلب منی حلا لمشكلته .. ویقی بی .. والاحاديث بیننا تزداد
 صراحة علی مر الايام .. لم اعد اخل من نوع معين من المعانی
 والكلمات ، كنت اعتقد انی لا استطيع ان اتبادلها الا مع اخی ..
 كاننا كلنا اصحنا رجالا 1 واحيانا تمر كلمة غزل ..

محمود قال لی مرة :

— اسمعی .. انا سمعت البنت بتاعتی .. ایه رایك ..
 نحب بعضی ؟

ورفيق قال مرة :

— اسمعی .. انا سمعت البنت بتاعتی .. ایه رایك ..
 سچی تكذب قصة سوا !

هذا العزل كان یكرر كثيرا .. وكنت اسمعه .. واضحك ..
 وهم بعدكون .. كنا نصحك كثيرا 1 ودائما ، واخطأت حياسا
 الى حد كبير .. كنت ادعوهم انی بیتي .. ویدعوننی الى بیوتهم
 وسط عائلاتهم .. ونذهب احدا الى السینما .. واحيانا تقویم
 سرجلات خارج القاهرة .. ونضحك !

ومر عامان .. وفي يوم خرجت مع ابراهيم بعد انتهاء العمل ..
 وكنت قد تعودت علی مسهته ، وكنت استطيع دائما ان اخرجه من
 هذا الصمت لبروی لی اسرارہ .. ولبحديثی طويلا عن نفسه
 وحياته ..

وثال لی ابراهيم ، ونظراته جادة كأنه مكب علی دوسیه :

— تیجی نتمشی شویه علی الكورنيش ؟

وقبلت .. وسرنا طويلا علی كورنيش النيل ، وهو صامت ..
 وانا احاول ان اخرجه من صمته فلا استطيع .. احسست ساعیه
 انه معانی ازمة .. ویتردد فی الوح بها .. ربما كانت ازمه جديده
 مع ابيه .. انه یحلف دائما مع ابيه .. و .. واحسست بیده
 تلحس یدی أثناء سيرنا ..

لا شيء .. بد اخی لمست یدی ..

ثم قبض علی یدی فی كفه .. وضغط عليها ..

لا شيء .. یدی فی يد اخی ..

وَوَقْتُ أَنَّهُ ثَلَنِي عَلَى خَدِي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، لَمَّا أَحْسَسْتُ بِأَكْثَرِ مِنْ
 قَبْلَةِ أَخِي الَّذِي يُطْبِعُهَا عَلَى خَدِي كُلِّ صَبَاحٍ .. صَدَقُونِي .. ان
 شئنا منه لم يكن يثيرني .. او يعنح خيالي .. ولكن ابراهيم لم يقلني
 .. لقد وقف فجأة واستدار اليّ ، وقال لي حدة :

— اسمعی .. ایه رایك نتجوز ؟

تالها بشكل رسمي !

ونظرت فی عينيه ، لعله يمزح .. ولكن عينيه جادتان !
 ولا ادري لماذا اتعدت عنه می حركة سريعة .. وشعرت بالخسوف
 ضيق شديد .. شعرت كأنه يعرض علیّ شيء شاقا ، لا يصح ..
 يحدث بين الأخ واخته .. ولم أجب ..

وعاد ابراهيم يتكلم لي صوت جاد :

— انا فكرت كثير .. بقي لي أكثر من سنة وانا بأفكر ..
 وما اقدرش أفكر أكثر من كده ..

وحاولت أن اتكلم .. ولكنه عاد يقول وهو يمسك يدي ويضغط عليها :

— أنا بأهلك يا أمال .. بأهلك من زمان ! ..

وأحسست كأن شيئا جيلا قد تحطم .. ونطرت إليه وعيسى تغرأن سبتي .. إنه هو الذى يحطم هذا الشيء الجميل .. هو الذى يحاول أن يفسد ما بيننا من صداقة وأخوة .. وسحبت يدي من يده ، وقلت فى حزم :

— أنت زى أخويا يا إبراهيم .. وأنا مصاحبه لك كاخ .. والأمضل أننا نفضل أخوات ..

ونظر الى إبراهيم كأنه صدم ، وقال وحاجباه يتعقدان - وعينه تكثران :

— تصدك إيه ؟

قلت وأنا أستدير لنستمر فى سيرنا :

— قمى بلاش الموضوع ده !

ورد فى حدة :

— أوريغوار ..

وبركنى على الرصيف ، وعبر الشارع فى خطوات سريعة - واخفى ..

ونظرت وراءه فى اشمزاز .. هكذا أفسد كل شيء ..

هكذا أفسد صداقتنا للحلوة ، ولن تعود ثانية ..

ونسيت سريعا هذا الحادث .. عدت الى البيت . وانشغلت فى الحديث مع أمى وبنات خالى اللانى كن فى زيارتنا ..

وفى الصباح .. وأنا أسعد للذهاب الى العمل .. تذكرت إبراهيم .. وأخذت الفكر فى مواجهتي له .. وقررت أن أواجهه مباشرة ، وأحاول أن أعيد الى الصداقة والأخوة .. أن أمسح من رأسه فكرة الزواج ..

ولكن إبراهيم ليس على مكبه .. وانصى نصف اليوم ولم ..

ثم سأل عنه الزملاء ، معرفوا أنه أخذ إجازة مرضية .. شعرت بالاضيق .. أخذت أطول الوقت انظر الى مكتب إبراهيم الخالى .. ثم أعود الى عملى .. ولا البت أن أجد عينى فوق المكتب الخالى ..

وأحسست إحساسا عيبيا .. لقد أوحشنى إبراهيم .. بوح عصب من الوحشة لا أشعر به نحو أخى .. إن أخى سافر كثيرا ولا أشعر بنفس الوحشة له .. ربما لأنى لم أعود على غيبة إبراهيم .. أنى أراه كل يوم ، ومنذ هامين .. على هذا المكتب .. نعم ، أنه مجرد التعود .. لا أكثر .. ولكن .. مع الأيام ازدادت وحشتى له ، ازدادت شوقنا إليه .. أنى مشاقة فعلا إليه .. وفى شوقى أصبحت أراه فى خيالى .. أن وجهه أكثر وسامة مما كنت أعتقد .. وعينه أكثر جمالا .. عبيقان باهقان .. وصمته - سرح .. وكلامه القليل كأنه قطرات الندى .. ثم .. فوجئت .. بموحي زملانى .. بأن إبراهيم قدم استقالته ، والنقح مؤسسه حرى ..

و .. وجاء بودعنا .. جاء فجأة أيضا .. وطاق عيني.

بصافحنا واحدا .. واحدا .. والزملاء ينصايحون :

« يعنى حاتلاقى أحسن منا يا إبراهيم .. »

« اللى يعرفه أحسن من اللى ما يعرفوش .. »

« لازم لأقت حاجة هناك يا عم .. »

و .. ومد يده يصافحنى .. وكنت أنتظر أن مدنى يده فى مدى مدة أطول .. كنت أنتظر أن يطل فى عبنى ويشهد .. أنه بحنى ويريد أن يتزوجنى ! ..

وبكته مستحسنة مصافحه سريعة ، بكفية الزملاء ، ثم خرج وهو يصيح :

— خيلنا نشوفكم يا جماعة ..

وخرج قلبى وراءه .. وانفتح حياى كله يتصوره طول اليوم .. انى الصورة فى عمله الجديد ، بصورة اخرى غير التى كنت اراء فيها وهو جالس بيننا .. انصوره جادا ، مهيبا ، محترما .. انصوره رئيسا لكل الموظفين هناك . انصوره شخصية قوية عارمة ، لا يمكن ان تكون الا شخصية رئيس ..

وبدأت أعرف من حياى ، انى احبه .. ربما كنت احبه طول الوقت : ولم اكن اشعر بهذا الحب لانى كنت مغموده على رؤيته من يوم .. كان حبى مخفيا تحت روتين العادة .. نعم .. احبه .. وبدأ حبى يتجسم فى مشكلة نزاع نهارى وليلى .. كيف استطيع ان اصل اليه .. الى ابراهيم .. انه لا يحاول ان يتصل بى .. وانا لا استطيع ان اتصل به ، انه لم يعد لى ولا صديقى حتى اتصل به ، هكذا ببساطة .. انه حبيبى .. ولتحب كرامه خاصة .. اشبه بالعناد ، لا استطيع ان اتنازل عنها .. وفى يوم .. جاء محمود يصح :

— استكوا ، امبارح قابلت ابراهيم .. ده بقى حاجه كبيره .. خذ اشهر التلى فات علاوتين مره واحده .. وعزمته يقضى معانا كلنا فى مطعم « الاونيون » بكره ..

ومرر قلبى .. سارى ابراهيم قدا .. وبنت ابلنى وخيالى يتفجر .. والعلاوتان اللتان نيهما ابراهيم سوان فى حياى كأنهما معركان اصغر فيهما .. وفى الصباح .. قضيت ساعات طويلة امام المرآة .. انى لست ذاهبة الى اخوتى ، ولكى ذاهبة الى حبيبى .. والتقينا فى مطعم « الاونيون » ..

واحسست بيده فى يدى .. هو بصافحى كما لم احس بها من .. شعرت بهذه الضغطة الخفيفة التى ضغط بها على كفى .. ربما ضغط على كفى عشرات المرات وهو زملئى ، ولكنى لم اشعر .. الا اليوم .. وارتاح قلبى بهذه الضغطة .. سهدت !! ولم استطع ان اكل .. ولم استطع ان اشترك الزملاء ضحكهم .. كنت طول الوقت « ملومة » وعينائى معلقان بالوجه الوسيم .. وانتهى اطعام .. وارتخت .. هل ساراه مرة ثانية ؟ متى ؟ ..

★★★

وخرجنا من المطعم .. ومال على ابراهيم وهمس وهو جاد : وعيناه مكهورتان ، كأنه مكب على النوسيه : — أقدر اشوفك النهارده بعد الشغل .. نتمشى على الكورنيش ؟ وذهبت اليه .. ذهبت اليه بكل خيالى .. اثنا سنتزوج فى الاسبوع القادم ..

ربيه في عينيه .. انى اعرف هذه النظرة .. انها نفس النظرة
التي تستتلى بها .. كلما ساحت في عودى لشيم ثيابى بحثا عن
. احده امراه اخرى ، ويدق في شمسى بحثا عن آثار شفاة ، نظره
الانهام .. انها تتهمنى وهى تودعنى .. تتهمنى بخيانة لم تقع
بعد .. ليكن .. ماذا بهم .. انها لن تلحق بى الى هناك .. انى
هناك رجل حر .. انا وبنات استكهولم .. حر فى ان اخون ..
ورسا كانت ربحى يعلم هذا .. ماى نظرها الى نحل الانهام ..
نحل ، ايضا موعا من الاستسلام .. استسلام لا هيلة لها فيه ..
وهيست زوجى وهى رسم على حدى شمسها .. لكنها توقع على
سامانها حتى لا اضيع منها :

— خلك عاقل يا محمد .. اوع نخوننى !

قلت : انا اشد نفسى منها :

— يا صيخه حرام عليكى .. لما رايح اشنفل والارايح العبه ..

وما كنت اجتاز باب الجبرك ، واخزل الى مهبط الطائرات ..
حتى تنهدت تى راحة - وحرية .. شعرت بحرقى كلها تهجم على ..
ونملا قلبى .. الحرية .. الحرية .. ما احلاها عيشة الحرية ..
وبحركة سريمة مددت يدي وخطمت دبلة الزواج من اصبعى ، كانى
انزع آخر قيد من قيود الحرية ..

انى الآن لست متزوجا .. ليس فى اصبعى دبلة زواج ..

ان بنات السويد سيطنن الى ، وسيزدادن تهافتن على ، وكل
بهن تحلم بان تنزوج من الشاب الاسمر . ذى الشعر المكرت ..
وصعدت الطائرة . واصمى حر طليق من دبلة الزواج .. وراسى
حر طليق من ذكرى روحى .. بسيتها .. انى انا فى هذه
الساعة حياة جديدة .. حياة ام نسبها ذكريات ، ولم يخذشها
الزواج ! .. وما كادت المسينه تدلى على مقعدى .. حتى كدت
اخرج من الفرجة .. ان المقعد الذى بحاسى نحتله فناء .. يا الله

اصبح الزواج

واحيرا .. نقرر ان ناسفر الى أوروبا .. والى استكهولم
بالحالات ..

هل تعرف ما اعلمه عن استكهولم .. ليس مهما ان تعرف انها
عاصمة السويد .. لكن عاصمة اى بلد من بلاد العالم .. هذا
لا يهم .. انها المهم هو ما ينظرلى هناك .. وانا اعرف ما ينظرلى
هناك .. بنات كالقشطة المغبوسة فى مربية الورد .. وحرية ..
حرية لا نهاية لها .. انهم هناك فاس مثقون .. لا يعقدون حياتهم
بعقد الجنس .. كل شىء مباح .. والشرط الوحيد هو اتفاق بين
الطرفين .. وانا مستعد ان اسبق .. بلا تردد .. وبلا شروط .. واعلم
ان اى بنت هناك مستعدة ان تتفق معى ، لان لوني اسمر ، وشعرى
مكرت .. وبنات السويد يتلفن على اللون الاسمر والشعر
المكرت .. لسن كبناثنا اللاتى لا يقدرن النعمة التى تجرى خلفهن
فى شارع سلتمان !!

وقضيت اياما اسعد للسمر .. والذهبه بكاد تطير بى قتل ان
تطير الى الطائرة ، ولم احاول ان اراجع مواضع المؤتمر الذى اسافر
للإشتراك فيه .. ليس المؤتمر هى الذى اسافر من اجله .. وليس
هناك واحد من زملائى مسافرا من اجل المؤتمر .. كلنا مسافرون
وفى رؤوسنا حلم واحد .. وبين اعيننا صورة متشابهة صورة
بنت كالقشطة المغبوسة فى مربية الورد .. ووقفت اودع روحى ..
واجدت تمثيل موقف الوداع .. كدت ابكى من شدة اندماجى
فى التمثيل ، وقد رايت ساعتها من خلال دموع زوجتى ، نظرة

.. ما احصلها .. انها لاجل من القشطة المعنوسة فى مربة الورد ..
.. كن منات السويد لم يطقن انتظاري حتى اصل اليهن ، فارسلن
مندوبة عنهن ..

واستحييت كل مواهبى ، واشملت كل ذكائى ، وحركت كل
خفة دمي ، والتفت اليها وهذى تبرقان كأنهما مرأتان ازغلهما
بهما ، وقلت لها بفرسميتى الانيقة :
— الاسبسة من السويد ؟

وضحكت ضحكة صغيرة رنانة ، واجابت :
— لا .. من الدايبرك ، من كوسهاجن !
قلت :

— هل كنت فى القاهرة ؟
قالت :

— نعم .. قضيت فيها اسبوعا ممتعا ..
وقلت وأنا انظر الى جدائلها الذهبية :
— عجيبة !

قالت :
— ما هو العجيب ؟

قلت :
— ان يقضى فى القاهرة اسبوعا ولا اراك ..
قالت وهى تبسم :

— لو كنت حشاشا لرايتنى .. فقد كنت كل يوم اركب الحمار
فى صحراء الهرم !

وابتنسيت .. انها لا تقصد اهانتى .. وهى لا تعرف ان كلمة
« حمار » بشديد الميم — لها معنى الالهانة .. ان الحمار فى
الدائبرك لا يفل احتراما عن رئيس مجلس الوزراء .. انهم هناك
شعب مثقف ، ليسوا بملثا .. واستطرد بينا الحديث .. وانا طول

ارغيت امكر كيف اصل اليها .. وكان يجب ان افكر بسرعة .. وكان
حسب ان اكبر حريشا .. فان هذه المفارقات لتي تتم اثناء الرحلات
سطلب ذكاء وجراة .. وسرعة قبل ان يفوت الوقت .. قبل ان تهبط
الى الطائرة .. ونخسى عن عيسى ..

وبدأت بالحديث عن نيسى .. قلت لها انى شاب غنى ..
ليوسر .. وانى املك خمسمائه فدان .. وحيدت الله لانها لم تكن
علم ان عندنا قانونا يحدد الملكية الزراعية .. واخذت اغالى فى
وصف ثروتي وبغوذى ، وفى وصف ليالى الشرق التى اعيش فيها
.. جعلت من نفسي بطلا لحياة مثيرة رائعة ، واتنسيت صورها
من قصة « ابن الشيخ » التى مثلها رودلف فالنتينو .. ثم حدثتها
عن وحدتى .. ان كل هذا الثراء لا يساوى شيئا ، لانى وحيد ..
لم اجد الحب .. ولم اجد المرأة التى تهلا حنانى ..

وككفت تصمتع الى وهى مبهورة الانفاس ، وقلت وهى تكاد
يمسى :

— ليقنى قابلتك فى القاهرة ..
قلت :

— ان الفرصة لم تضع .. ستأتين معى الى استكهولم ،
وسقى هناك الى ان انتهى من المؤتمر ثم نعود سويا الى القاهرة ..
قالت :

— يا ريت .. لا استطيع !

ولم اكن استطيع ان اياسى .. انها جميلة .. احبل من كل ما
خبله عن سات استكهولم ، ثم اى اوس بان عصمورا فى الطائرة
خير من عشرة فى استكهولم .. ولان ادع هذا العصفور يفلت من
يدى .. وعدت اللح ، وقلت لها :

— ان كوينهاجن لا تبعد عن استكهولم الا مسافة نصف ساعة ،
ستأتين معى ، ثم نعود سويا الى كوينهاجن لزيارة اهلك ، ومن
هناك نظير الى القاهرة ..

وعادت تقول :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح .. وقلت :

« لك لن نكفلى شيئا .. ستكونين فى ضيافتى .. »

قالت :

— يا ريت .. لا أستطيع !

وعدت الح ..

ولم اكن أدري بالضبط ماذا سأفعل اذا املح للحاحى .. فأتا
لا أستطيع ان ادعوها للاتاقية فى استكهولم .. ليس معى نقود
بكتيبى ونكتيها .. وليس معى ما يكفى لاشترى لها تذكرة الطائرة .
بل انى لا أستطيع ان اربط نفسى بها اثناء انعقاد المؤتمر .. ولكن
كل هذا لم يكن يهمنى .. كل ما كان يهمنى هو ان اكون معى على
ارض .. فى غرفة تجمعنا .. ان أشعر بلذة المعامرة ..
وتماديت فى الحاحى ، وقلت لها فجأة ، وكانت الطائرة تحلق
فوق سماء الدانمرك ..

— اسمعى .. انى احبك .. انى احبك .. احسك من اول
بصره .. الم سمعى من الحب من اول بصره .. لقد حدث ..
وانى مستعد لكل شيء .. الا ان تتركينى وتحقنى من حباى ..

ونظرت الى فى دهشة ، وقالت :

— هل تتكلم جد ؟

قلت :

— جد جدا ..

وقالت فجأة كأنها تمسك على راسى جردلا من الماء البارد :

— ولكنك متزوج ..

وارتجكت .. وربما احمر وجهى .. وقلت ولسانى يلوى بين

شفتى :

— متزوج .. متزوج .. من قال لك انى متزوج ؟

قالت :

— لم يقل لى احد .. ولكن انظر الى اصبعك ، ان الدبلة
مرسومة فوق جلدك الاسمر .. لابد انك خلعتها قبل ان تتركب
السيارة ؟

ونظرت الى اصبعى .. ان الدبلة مرسومة فوقه .. واضحه
.. تشق جلدى .. كأنى لم اخلها ابدا ..

ونجمت .. واهنيت راسى .. ولم أستطع ان استطرده فى الكلام
.. وخيل الى ان الفتاة تبسم ساخرة منى .. ثم حيل الى كأنى
أسمع صوت زوجى وهى تضحك .. تضحك بصوت عال .. ثم
بحرح لى لسانها تؤكد لى اننى لن أستطيع ابدا ان اكون حرا ..
ان القيد مرسوم على جلدى .. انى موصوم بوصمة العبد ..
وصمة فوق اصبعى ..

ونزلت الفتاة من الطائرة فى كونهاجن ، وقالت وهى
بصاخصى :

— ارجو ان اراك فى المرة القادمة عندما ازور القاهرة ..
محباى الى زوجك !

ورددت تحيتها فى برود ..

ثم احدثت ابخلق فى اصبعى .. ابخلق فى علامة الدبلة .. ثم
افرك فوقها بيذى لعلها تزول .. ولكن مستحيل .. انها علامة
ستبقى معى دائما .. ستبقى معى فى استكهولم .. ووصلت الى
استكهولم وانا مصاب بانهيار نفسى ..

اندري ؟

لقد قضيت هناك خمسة عشر يوما لم اتعرف خلالها بفنائة ..
ولم تكن لى اية مغامرة .. وانهمكت فى اعمال المؤتمر .. ودبلة
زوجتى فى اصبعى ..

— ما تصدقش .. ما فيش بنت بتحب ؛ كلهم عايزين يتجوزوا ..
 بيتنوا الأول بحكاية الحب ؛ لغاية الشباب ما بصدق ..
 وبعدين بيجي يكلمها في التليفون بقول له .. لا .. لا .. ماها متوتى ..
 بيجي يمك ايديها .. تقول له .. لا .. لا .. ضميري يعذبني ..
 وبعضل تشاغلها ؛ وتتنع ؛ لغاية ما يتجنن ويتجنن .. وأنا مش
 ناوى اتجنن ؛ ولا ناوى اتحوز ..

ونظرت اليه في دهشة .. ربما في غياء .. كانت هذه هي
 المرة الاولى التي اسمع فيها هذا المطلق .. هذه النظرة .. ولم
 أميها .. لم أمهم ماذا يقصد احي .. ولكني احسست انه يعنى اى
 الروحاح ليس سوى حريبة تركبها الفتاة في حق الشاب .. حريبه
 نصب .. وخداع .. واحتيال ..

وسألته وايا اله :

— تعنى ما فيش حاجه اسمها حب ؟

قال بساطة :

— ما اعرفش .. الى اعرفه ان كل بنت مش عايزه حاجه
 الا الجواز .. وأنا مش عايز اتجوز ..
 وعدت الى صديقتي ميلمه ؛ قلتي مقنوض ..
 و .. ودعك من احي الان ..

لقد بدأت من يومها اتباعد .. دون ارادة منى — عن الشبان ..
 كل الشبان الذين تعودت ان احادثهم في براءة ؛ وابتسم لهم بلا
 قصد ؛ والتفتي بهم في مجموعة الاصدقاء .. اصبحت لا احادث
 احدا منهم .. واضم شفتي حتى لا تتطلق من بينهما اتسامه
 لاحدهم .. واهرب نظراتي حتى لا تقع على وجه من وجوههم ..
 اصبحت اخشى اذا نظرت لاحد او ابتسمت له ؛ او حادثته ؛ لربما
 طن اني اتملقه لانى اريد منه شيئا .. لانى اريد ان اتزوجه .. وتثور
 كرامتى .. انى لا اريد شيئا من كل شيان الدنيا .. انى اكدر
 واسمى من ان اريد شيئا .. ويجب ان يفهموا ذلك .. يجب ان

الكبرياء والزوج

اخى بكبرنى ثلاث سنوات ..

انك لا تدري كم احب اخى .. او كم اثق به .. انه اجبن
 الفتيان .. اتوى الفتيان .. اعقل الفتيان .. لم يكن لى — حتى
 سن السادسة عشرة — احد غيره افخر به .. واغار عليه ..
 واقول له اسم ارى ؛ ويقول لى سراره .. انه اخى ؛ وصديقى ؛
 ورجلى ..

وصديقاتى البنات بحسننى عليه .. بعضهن يتيمينه اخا لهن
 .. واغلبن يقعن في حبه ..

وهو معال .. ينظر اليهن من فوق انفه .. كأنه اله صغير ..
 انه دائما « تقيل » وأنا فرحة محورة بأنه « تقيل » ..
 ثم اكتشفت ان اعز صديقاتي قد وقعت ..
 وقعت في حبه .. انها تحبه حقا ..
 ولكنه متعال .. تقيل !!

وكانت تاتى الى ويجلس معي في حجرى .. واحس بحبها
 بفيض من قلبها وبملا على الحجرة ؛ ثم تبكى .. تبكى حزبا
 المحروم .. ودمعها يهزق قلبي .. انها لا تريد منه شيئا .. كل ما
 تريده ان يتسم لها .. ان يقول لها كلمة حلوة .. ان يرمى حبها
 .. لعله يحبها ..

ولكنه .. تقيل ! ..

وذبحت اليه عاضة ، وقتلت له :

— حرام عليك .. دى بتحك .. سحك بصحيح !

وهز كتفيه بلا مبالاة ، وقال ساخرا :

سبهموا ذلك .. يجب أن يبهوا أنني لست كبقية البنات اللاتي يصنع
الخطط ليصطدن روجاً ! ..

وأصبحت كأخي .. ثقيلة !!

وقبل عسى أني باردة .. مسرودة .. معتدة .. وأنى لست
ثقله .. ولكن سى هو الثقل !!

وابتعد عني الشبان ..

كنت أراهم مع البنات ، يضحكون .. وليس معي أحد !
ولكن ، لا يوم ..

لا يهمني أحد منهم ، كل ما يهمني أن يفهم كل منهم أنني لا أريد
منه شيئاً .. لا أريد أن أخدعه بأسسامة ، أو بكلمة ، حتى
يتزوجنى ..

ثم .. قابلت حسى ..

لقد رأيت فى عينيها ما لم أراه فى أى عين .. وأحسست فى لمسة
يده وهو يصلحني ، ما لم أحسه فى أى يد ..

وقد قابلته فى أحد مجتمعائنا العائلية .. وحاولت أن التقي
بعينيه مرة أخرى ، ولكنى لم أستطع .. صدقتى لم أستطع .
تحكمت فى كبريائى .. كبريائى للكاذبة .. وغلبنى خوفي من أن
أشعره باهتمامى .. منظر أنى أريد أن أخدعه .. كما يحاول البنات
خداع أخى ليتزوج ..

وعدت الى البيت مشغولة به ..

ليالى طويلة شغلت به ..

ثم وجدت مسمى أسمى الأتاه فى محيط المجتمع العائلى وما كنت
أفاه حتى غلبنى كبريائى مرة ثانية .. وأدريت له كتمى .. وكأنه
ليس هنا .. كأنه ليس بجائبنى .. حبيبى ! .. وأعود الى البيت
بمشغولة به ..

ولفتته أكثر من مرة .. وأعود دائماً مشغولة به !

ثم لم أعد أستطيع أن أكذب على نفسى ..

أنى أحبه ..

وعندما اعترفت بهذه الحقيقة ، فكانتى ضحكت سداداً فمقم فى
مدرى ، انطلقت منه أبخرة الحب قوية ، عطارة ، تملؤنى .. تملأ
عيني .. وتملأ وجنتى .. وتملأ عفتى .. وتملأ قلبي ..

كيف أبوح له بهذا الحب .. بكل هذا الحب الكبير ؟ لا أدري ..

أنى أخشى أن أضاع عيني فى عينيه .. أخشى أن ابتسم له ..
أخشى أن أزيد حديثى كلمة .. أخشى كبريائى الكاذبة .. أخشى أن
يطن أنى أريد منه شيئاً .. أخشى لو قلت له .. أحبك .. فلن
يصدقنى .. سيظن أنى أنصب عليه حتى يتزوجنى .. أخى لم
يصدق البنت التى أحته !!

ولكن .. هل يصبنى كما أحبه ؟ ربما ..

أنى أجده دائماً فى طريقى .. كليمه يعرف مواعيد ذهابى
الى النادي .. كأنه يعرف مواعيد ذهابى الى السينما .. كأنه
يعرف متى أذهب الى المجتمع العائلى الذى يضمنا .. ودائماً أرى
فى لمحة سريعة نفس النظرة التى ريفها فى عينيها أول مرة ..
وبمس الابتسامة التى التفتت بها أول مرة .. ودائماً أدير عنه
عيني سريعاً .. وأدير وجهى .. وأدير كفتى .. ثم أبقي شاردة
الذهن .. أخوض معركة عنيفة منى وبين كبريائى الكاذبة ..
أحاول أن أغلب هذه الكرياء فتفلسنى .. أحاول أن التفت اليه لعله
يرى حبنى فى عيني ، فلا أستطيع ..

أنه يحبني .. قطعاً ، يحسنى .. ولكن .. الى متى يستطيع
أن يحمل حبنى ..

لعله يئأس ، كما يئس الذين قبله ، والذين اسهمونى بانى باردة ،
متكررة ، معتدة ..

وعشت فى خوفه من يأسه ..

ولكنه لم يعد يستطيع الأسطر .. وهو يريد منى أن أقول له : هر
 عل أن أنزوجه .. كلمة واحدة ، ويذهب الى اى لخطبى منه ..
 وصرخت من الفرحة .. وقمت انطط فى حجرى .. وأمر
 موق السرير كالأطفال الصغار ..
 وصديقى نهال معى .. ونصرخ معى ..

★★★

ثم فجأة .. انتابنى الصمت ..
 فكرت قليلا .. لا لم أكر .. ولكن شيئا فى داخلى انتصر
 على .. انتصر على حبى .. وهزمنى !
 وإذا بى أمزق الرسالة .. وأمزقها فى غيظ .. وبين شفتى
 أسامة بحبوة !

وصرخت صديقتى .

— بعملى انه يا مجنونه !
 قلت .. أنا المجنونه :

— ابنتى عارمه هو بعث لى الجواب ده ليه .. علشان يسكد اذا
 كنت أنا باحبه ، والا اذا كنت عبيزه اسوره .. لو حاولت عليه
 وقلت له اتى وافقه على الحوار .. حاصدك .. حاصرف اى
 رى يقيه الببات .. بقاعة حواز ..

ثم صرخت : لارم يعرف اى ناحه من عبر غرضى .. لارم
 يعرف اى ناحيه صحيح .. باحبه للحب .. مش للجواز .. وادا
 ما عرفش كده عنه ما عرف .. كفايه على انه يحترمنى .. وانه
 يعرف اى مش رى بقية السات .. أجرى ورا الشان علشان
 خاطر الجواز ؛ ..

وبسبت صديقتى من اتناعى ..

وبسبت من اتناع نفسى .. ولم ارد عليه ..

اتصرى كم مر من الزمن بعد ذلك .. ثلاث سنوات .. ثلاث

عشت وأنا ادعو كل مساء .. وكل صباح ، الا يباس من حنى ،
 الى ان يهدينى الله اليه ، ويهديه الى ..
 ولم يباس .. انه ليس كالأخرين .. لا يباس ..

★★★

وخطا نحوى الخطوة الاولى .. خطاها بعد سبعة شهور !
 وكنت حالسة فى النادى ، مع صديقتى .. أعز صديقتى ..
 وكنت أعلم انه بجائى ، على مائدة أخرى .. ورأسى منكس بين
 بدى .. ولقد أدركت كفى اليه .. ثم فجأة رأيت سائتين يقفان
 أمامى .. اتبهما ساقاه .. ابى اعرف اتبهما ساقاه .. ورفعت
 رأسى .. والنيت بعينه ، وابتسامته .. وارتعشت .. ارتعش كى
 ما بداخلى ..

وصافحتنى .. وسرت لمسته حتى طرف اصبع قدمى ..

ولم يتكلم .. وضع فى يدى رسالة .. وابعد !

وطويت كفى على الرسالة ، وكل ما بداخلى لا يزال يرتعش ..
 والدماء الساخنة تملأ وجنتى .. وتملأ رأسى ..

وقمت من جلسيتى ، وأنا لا أحس بنفسى .. وقامت معى
 صديقتى ، وهى تهمس :

— رايحه فبين .. ما تفتحى الجواب ..

ولم ارد عليها ..

سرت كالذهولة .. والدماء الساخنة تملأنى .. وركبنا سيارة
 احرة مدنا بها الى البيت .. وطوال الطريق وأنا لا زلت مذهولة
 .. لا أتكلم .. ارتعش .. ساخنة .. لاند ان درجة حرارتى
 ارفعون !

ودخلت حجرى ومعى صديقتى ، وأغلقت الباب ورائى ..
 سالفناح ! ..

واسطرت برهة لاسترد انفسى اللاهئة .. لافيق من ذهولى ..

وهرات .. انه يحبنى .. يحبنى جدا .. انه لم يباس ..

سنوات وأما اخيه .. وانعذب .. انعذب بحصة وبحيرتى .. وسعائى
 .. لم أستطع خلال هذه السنوات ان افهم معنى الحب والزواج ..
 لم أستطع ان افهم ان الحب هو الزواج .. وكبرائى الكاذبه
 العنيدة ، مصزرى ان الحب شيء لا يتغير شيء حتى بالزواج ..
 والا اصبح موعا من الخداع والضحك على عقول الشبان ، وفخا
 للزواج ..

ثم لا أجد الحل .. لا أجد الحل لحسى .. وانعذب ..
 وأراه .. وأرى نظرنه وانتسابته .. واحترامه .. فانعذب
 .. وانعذب اكثر باحترامه .. ثم .. تزوجت ..



جانعى أبى بعريس .. ليس فيه عيب .. وليس فيه حب ..
 وقبيلته ..

واعلنت خطوبتنا .. وبعد اعلان خطوبسا .. خطر على دهمى
 خاطر غريب .. حاولت ان ابعده .. ولكنى لم أستطع .. ان
 للخاطر بكر .. حتى يصبح الخاطر أملا .. ويكر اكثر حتى
 يصح حقيقه مجسمة فى خيالى ..
 وانتظرت عن همد الى ان عقد قرانى ..

تزوجت .. وبجرد ان تزوجت ، نهضت فى راحة ..
 الآن ان يستطيع حبيبى ان يشك فى حبى .. لعله الآن يصدق
 انى احبه بلا غرض .. بلا خديعة .. بلا زواج ..
 وفى « الصبحية » ، صحبة زفانى .. امسكت بالتليفون
 وحادثته ..

حادثته طويلا ، قلت له كل شيء .. قلت له كم احببته .. كم
 تعذبت فى حبه .. وكم قاومت حتى يؤمن انى احبه بلا غرض ..
 وانى لست بكبقية البنات .. بتاعة جواز .. قلت له كل شيء ..
 وكرايمى لا تتور .. ولا تصدنى .. كرايمى نامت .. ارتاحت ..
 انى الآن مطمئنة عندما اتول له احبك .. فلا اعنى الا الحب ..

و .. وذهبت اليه .. وذهبت .. وذهبت .. واعطينه ..
 بما يريد .. بكل ما أريد .. واكثر مما يريد .. واكثر مما أريد ..
 بلا ثمن .. بلا زواج .. للحب فقط !!

ولا رلت اذهب اليه .. ولا زلت اعطيه .. بلا ثمن ..
 هل ان سعيدة .. ؟

لا .. اما شقية .. اما معذبة .. اما مسكينة ..
 احدى لماذا ؟ لانه لم يعد يحدثنى عن الزواج ..

لم يعد يريد ان يتروحي ..
 انه الآن يكف بالحب ..

وأنا .. اما لم اعد اكفى بالحب .. ان الحب لا يمكن ان يجعل
 منى زوجة خائنة .. للحب يجب ان يجعل منى زوجة مخلصة ..
 ولن اكون مخلصة الا اذا تزوجت حبيبى .. وهو لا يتحدث عن
 الزواج ..

وكبرائى الكاذبة لا تزال تمنعنى من ان اتحدث عن الزواج ..
 اخاف على حبى من حديث الزواج !
 اخى قال لى .. ان الحب مصيدة الزواج !

.. تكاد روحى تزحف وأنام نوما أرقا فى انتظار أن يطل وجه
الشابيش عوضين ليملأنى عن حادث قتل أو سرقة ، أنتقل لمأبذنه
.. وفكرت أن أتزوج .

إن الزواج لموظفى المراكز يصعب ضرورة اضطرارية . لا رغبة
.. يصعب شئنا كحاجته إلى الأكل والشرب .. لا حاجته إلى
الحب ..

ولكنى لا أستطيع أن أتزوج .. أن الزوجة التى أشعلها ، لا يمكن
أن تعيش معى فى هذا المركز .. ثم إنى أكره الزواج .. وحرام أن
أربط نفسى بأمرأة طوال العمر ، لأجرب أسى زهقان .. والألم سر ..
ولم أستطع أن احتفظ أكثر من ذلك بهيئتي ووقارى .. والمثل
.. والفراغ .. والحرمان .. الحرمان القاسى .. وفكرت بعض
محرمات مشوشى .. وفحاة .. وفى خلال ليلة حرمان قاسية ، اتخذت
قرارى ..

سافرت إلى الإسكندرية .. وكنت أعرفه هناك فته .. ليست
ساعة .. أنها امرأة .. وقد ربطتنى بها منذ سنوات علاقه قوية ..
كانت نجنى ، وكنت أحبها .. وكنا منفقين على نوع هذا الحب ..
حب لا يتعدى متعتنا بليلة نقضيها سويا .. وربما كان من حياتها
كثير من الرجال ، ولكنها كانت تفضل دائما ليسلى على باقى
الليالى ..

وافقت مع سعاد .. ستأتى لتعيش معى فى المركز ، وسأقول
لزملائى . الموظفين ، وللأهالى ، أنها .. أختى ! وقلت ..
وكنت مطمئنا إلى مظهرها .. فهى تبدو دائما سيدة أبهى
محترمة رغم نظراتها الحريئة .. وكنت مطمئنا أيضا إلى أحلامها ،
فقد كنت واثقا أنها تفضل ليلى ، على باقى الليالى .. والا لما قلت
إن تأتى معى ..

وعددت بها إلى المركز .. وأعلنت هناك أن أختى قد جاءت
لتعيش معى ..

أختى

عينت بعد أن نلت ليسانس الحقوق فى وظيفة معاون نيابة
بمركز وأعفونى من ذكر اسم المركز ، فإن قصتى هناك
لا تزال معروفة ، ولا يزال الأهالى يتندرون بها .. ولعلهم
يضحكون .. رغم أنى تركت المركز منذ عشر سنوات !

وقد أتيت على وظيفتى بعد أن رسمت لنفسى صورة معينة أبهى
بها أمام أهالى المركز .. صورة تحمل كل هيئة رجال النيابة .
ووقارهم .. ولم تكن للهيئة ولا الوقار من طبعنى .. فانا انسان
بسيط أحب المرح ، وأقبل على الحياة ، واضحك كثيرا .. ولكن
كان يجب أن أضع لنفسى هذه الصورة .. صورة الهيئة والوقار ..
رغم أنها تناقض طبيعنى ، حتى أستطيع أن أملا بشخصيتى المقعد
الذى أحلست عليه .. مقعد النيابة وكل النيابة !

ومرت الأيام .. وبدأت صورة الهيئة والوقار تهتز .. ونساقط
خطوطها .. بدأت أشعر بالملل .. والفراغ والحرمان .. الحرمان
وأنا فى الخامسة والعشرين من عمري ..

وكنت أقتضى أوقات فراغى فى نادى المركز ، مع المايور .
ومهندس الرى . وناظر المدرسه .. وبقية كبار الموظفين المحترمين
الوقورين .. ونعزق الساعات فى حديث جميل تائه .. ونكاث
قدسية .. ولعب الكونكا .. وفى الساعة العاشرة يصرف الجميع
إلى مبهم .. وكل مبهم له زوجه يدمها بها . وأولاد يشعلون قلبه
.. يشغلونه بالحب والمناعب .. وأنا .. أنا أعود وحيدا ..
لا زوجة اتدما بها .. ولا حب .. ولا مناعب .. فراغ .. مثل

وتبند الملل .. والفراغ .. والحرمان .. وأستطعت أن استرد
الصورة التي رسمتها لنفسى ، لأدو بها أمام الاهالى . صورته
الهيئة والوقار ..

وهنأت نفسى على ذكالى ..

ومرت الأيام .. شهر .. شهر .. ولم أعد أصور أبى أستطيع
أن أعيش فى المركز بلا « أختى » !! إنها الشيء الوحيد فى المركز
الذى يعيننى على الحياة ..

ثم حدث أن شاجر حادى مع نبال المركز . وأذا بالقتال . صرح
فى وجهه :

— ما تروح ظم أخت البيه بتاعك اللي دايره من راجل لراجل
.. دى ما خلش راجل ما تمسخرتشى معاها !

وثار حادى ، وهدد النبال بأن يبلعنى ما قتاله عن « أختى »
حتى أخرب بيته .. وجاء الخادم وأبلغنى ..

وثرث .. ولكنى قبل أن أطلق ثورتى فى وجه النبال ، بدأت
أفكر ..

هل يمكن أن يكون سعيدة قد فعلت هذا .. أبى اعرف ان هى
اعباتها امرأة لعوبا . ولكنى كنت دائما أستطيع أن أرى هذه
اللعبوب .. وكنت واثقا أنها تفضل لبلىنى على باقى اللالى .. وأنا
أقضى معها كل ليلة .. فما حاربها الى ليالى أخرى .. الى رجل
آخرين !

وبدأت أنذكر أشياء لم تكن تستوقف تفكيرى .. نظرات المأمور
الى .. وأنتمساته المخافة تحت شفتيه .. ابتسامته الاستهانة ..
رؤوده ضابط المباحث الى أكثر من اللازم .. والبطرات الشدود
التي يطلتها على ناظر المدرسة .. ثم اتهام الجميع بزارى من
سنتى .. و « أختى » يجلس معا .. واليوم الذى عذب فيه من
عطلى والتقيت بضابط المباحث خارجا من الشارع الذى بقع فيه
بيتى .. لقد استغفرت يومها . وكفى لم أشك .. و .. و ..

وتبينت فجأة انى كنت أعشى وسط سبيل من الهمسات .. عمسات
مسمومة .. لم تفتح لها أفنأى الا الآن ، عندما فتح النبال عينى
على دنيا الشكوك ..

وأحسست بشعر غريب ..

لم أشعر بالفرة على سعادته ..

ولكنى شعرت بالفرة على أختى ..

ان أختى لا يمكن أن تفعل هذا .. أختى ليست بموسا ..
أختى ليست سعيدة !!

وكبعت ثورتى .. وغيرتى .. والنار المندلعة فى راسى ..
يجب أن أنصرف فى هدوء ..

إنهلا أستطيع أن أخرج الى الناس وأقول لهم أن سعيدة ليست
أختى .. وأنها مجرد مومس أتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى وتخفف
عنى الحرمان .. لا أستطيع .. والا تعرضت لمحاكمة تأديبه .
وطردت من ملك النبالية ..

ان كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أنخلص من سعيدة .. فى
هدوء ! ..

ولم أترك لها فرصة للتماع عن نفسها ، أنها تسلك بها ذات
صباح . وأعديها الى الاسكندرية ..

ثم عدت الى المركز وأنا أحاول أن أظاھر بأن شيئا لم يحدث
ولكن اختفاء سعيدة المفاجيء أطلق الهمسات أكثر حدة ، وأعلى
ضجيجا .. ان اليه وكيل النيابة قد اكتشف سوء سلوك أخته .
فأعادها الى الاسكندرية ..

إنها ليست أختى ..

يجب أن نهموا أنها ليست أختى ..

إنها امرأة أتيت بها لتؤنسنى فى وحدتى ..

ولكن الهمسات تشتد .. أكاد اسمعها بأذنى .. اسمعها من
عيون الناس ، وفوق السننهم ..
وخرج خادى ولم يعد .. لئلا يطبق مواجهة أهل البلدة وهم
يحدثون عن أخى ..
— أنها ليسب أخى ..

يجب أن تفهموا أنها ليست أختى ..
ولم أعد أستطيع أن احتبل هذه الطعنات التى توجه الى أختى
.. الى شرمى .. الى كيانى .. وانحنيت على صديقتى المأهور
وهست فى أذنه وأنا أحاول أن اقتعه ببنى شاب له منامرات :
— تعرف أن سعيدة دى مشى أختى .. دى واحدة كنت أعرفها
فى اسكندرية ، وجبتها نصبت معايا هنا .. أصل بنى وبينك أنا
مش وأخذ على انى أعيش وحدى ..

ونظر الى المأهور وهو يخفى استقامته تحت لسانه ، وقال :
— ما تقولش كده يا محمود بيه .. مالها سعيدة هاتم ؟ دى
ست كويسه ، بس مش وأخذ على عيشة المركز ..
انه لا يريد ان يصدق أن سعيدة ليست أختى ..

وانطلقت لأهسى فى أدن ضابط المباحث .. وتناظر المدرسة ..
ومهندس الزراعة .. ولكن لا أحد منهم يريد ان يصدق .. كلهم
مصريون على أن سعيدة أختى .. وهم يجاملوننى أحيانا
ويتظاهرون بالنصديق .. ولكنى المبح السخرية فى عيونهم ..
يا أولاد الكلب .. قلت لكم انها ليست أختى ..

وصباحى برن فى المركز كله .. فيضحك الأهالى .. ويتندرون
بحكاية أختى ..
ولم أعد أطيق ..

وجلست وكتبت مذكرة بالقصة كلها .. بكل تفاصيلها ..
اعتزمت بكل شئ .. ثم قدمت المذكرة الى رئيس النيابة ، طالبا

بقل من المركز ، أو عصى من النيابة .. واستدعائى رئيس
النيابة ..

وذهبت اليه وأنا ارتعش من هول الموقف .. ولكنه استقبلنى
بانسابة كبيرة ، وقال لى فى لهجة حسان ثقيل متعل :
— ايه الكلام الذى لئت كانه ده دا استاذ محمود .. أنا بلغنى
الحكاية كلها .. وافرض يا سيدى ان أختك غلطت .. وماله ..
كل البنات بيقطوا .. هو ده اليومين دول عارف مرسى بنته والا
أخيه .. أنا حا أقطع المذكرة بناعتك .. وعمايزك ترجع المركز
ونسى الحكاية خالص ..

لنه أيضا لا يصدق ..

لا يصدق انها ليست أختى ..

★★★

وخرجت من مكته دورى .. أحسنه .. خرجت كنزويعه ..
وكتبت استقالى .. استقالنى من النيابة ..
ولما اليوم أشعل المحاماة ..
وأرغش كل قصه سبى من هذا المركز ..
وشئ آخر ..

انى الى اليوم .. لا أستطيع ان أرفع عينى الى وجه أختى ..

مكان لشاعر

البنات فى دمشق يقرآن الشعر .. تصوروا !
والشاعر هناك وحده الذى يستطيع أن يلهب عواطف البنات ،
ومثير خيالهن ، ويفتزع الآهات من قلوبهن .. ربما لأنه ليس فى
دمشق نجوم سينما .. ليس فيها عمر الشريف ، وشكري سرحان ،
ورشدي أباطة .. ليس فيها إلا الشعر .. والنجوم هم الشعراء !
وأنا شاعر ..

ولكنى .. من سوء حظى شاعر أعيش فى القاهرة ..

وسات القاهرة لا يقرآن الشعر ..

وسماء القاهرة ليس فيها مكان لحجم من الشعراء ..

وقد ذهبت الى دمشق وأنا أحمل قبعة الشعراء هناك .. ذهبت
لأعمل مدرسا فى إحدى المدارس الابتدائية .. وتعرفت بكثير من
الأصدقاء ، وبدأت أترنم أمامهم بأشعارى .. فإذا بهم يصفون
ويتهايلون .. ويستعيدون كل بيت عدة مرات .. واعتقدت أنهم
محاملون وأنهم يبالغون فى محاملتهم لى لأنى ضيف عليهم
من القاهرة .. وحدث لهم فضيلة المجاملة .. أنهم خير من أصدقائى
فى القاهرة الذين لا يكادون يسمعون شعرى حتى يصرخون ..
كنايه فقهه يا أختنا .. ثم يديرون أسطوانة : « يا أمه القمر
ع الباب » ..

ولكنى اكتشفت مع الأيام أن أصدقائى فى دمشق لا يجاملوننى
.. أنهم مفرمون شعرى فعلا .. ويسمعون ورائى ليستمعوا الى
مزيد منه ..

شكرا يا رب .. لادنى وتعت على هؤلاء الأصدقاء بالصدقة
.. الصدقة الجميلة ، التى جعلتنى أنمى من أشعارى المكفونة فى
صدري منذ عشرات السنين .. قصائد كالأولاد اليناى أحملها فى
ملجأ من جوانبى ، ولا أجد أحدا يرعاها أو يشفق عليها
أو يحتضنها فى أفننه ..

شكرا يا رب ..

وكان ربى أكرم مما اعتقدت ..

مقد استسعت دائرة أصدقائى .. وكلهم يقبلون على شاعر
لا كمدرس .. كلهم ينظرون الى كتمان ملهم .. كإنسان مؤسّر
وليس مجرد مدرس فى مدرسة ابتدائية .. و .. وحدث شيء أكر
من خيالى ..

لقد جاء الى مندوب إحدى الصحف ومطلب منى إحدى قصائدى
لبنشرها ..

مستحيل .. أن للرائد لا ينشر عندنا القصائد إلا إذا لحنها
عبد الوهاب .. تنشرها أكراما لعبد الوهاب لا للشاعر ..
وعبد الوهاب لم يلحن قصيدتى .. غلاماذا يريون بشرها ؟ !
ونظرت الى الأستاذ الصحنى فى بلاهة ، كانى لا أصدقه ..
بل انى فعلا لم تكن أصدقه ..

ولكنه الح ، ودلائل الاهتمام تملأ وجهه ..

وأعطيتنه نصيدتى ، وأنا لا زات لا أصدق ..

ووجدتها فى اليوم التالى ..

ووجدتها مشورة ..

لا فى مجلة أسبوعية .. لكن فى جريدة يومية .. وفى صفحة
كاملة .. رمعها هورتى ! وأحسست بنفسى أنسانا آخر ..

أحسست كأن قامتى قد طالعت .. وأن خطواتى أصبحت أقوى

.. بدأت اعترف لنفسى بما كنت أنكره عليها .. اعترف بأنى
عبرى .. وانى نجم ..

ثم ..

دعيت لاقاء فصائدى فى نادى الادب العربى ..
ودهمت ..

يا الله .. كل هؤلاء جاؤا من اجلى : انهم اكثر من الله ..
كانها حفلة اضياء المدينة .. كان شادية مستعنى : حيسى ايه .. !
ونظرت الى الناس نظرات مرتبكة ، والرهة تملأ صدرى .
ان بينهن بنات ..

لماذا جاءت البنات .. هل جئن لسماع الشعر لا ان البنات
عندنا فى القاهرة لا يسمن الشعر .. ولا يلهنه ..
لماذا جئن لا .. لا ادرى .. لا ادرى ..

وبدأت التى قصدتى وصوتى يرتعش .. كلى ارتعش ..
ودوى التصفيق وانا لم اصل الى البيت الخامس .. واستعادونى
واستمر التصفيق ، والاستعادة .. ان البنات ايضا يصغتن !

وبعد ان انتهيت من القاء القصيدة تقدمت منى فتاة ، ومدت لى
يدها بورقة وقلم تطلب توقيعى .. توقيعى انا .. انا .. انا لا اذكر
انى وقعت الا على كراويس الطلبة .. وآخر مرة وقعت فيها قبل
ان احضر الى دمشق كانت على ايصال برهن ساعنى الذهبه .
ولكن هذه الفتاة تطلب توقيعى لحفظ به اعجابا ببنى .. كاتى
عمر الشريف ، او احمد رمزى .. او رشدى اباطة !
ووقعت لها بيد مرتعشة ، وانا اسمعها تقول لى :

— بدع يا استاذ .. رائع .. ملهيب ..

ونظرت الى نظرة سريعة .. انها جميلة .. صغيرة ..
والعينان خضراوان .. و .. ولم استطع ان انظر اكثر من ذلك ،

غلبنى ارتياكى وحائى .. ولكنها عندها استدارت لى ، بدأت
تنظر اليها من جديد .. وقلى ينخلع ..

وعدت الى بيتى ، وانا اكاد اظير .. انى لا اصدق انى هذا
الرجل الذى يلف حوله الف من البشر ليسمعوا الى شعره ..
وتطلب فتاة توقيعيه ..

ولم استطع النوم ..

ان الدنيا اهلئ من ان ننام فيها ..

وبعد ايام دهمت الى جامعة دمشق فى زيارة صديق لى ..
ورايها .. نفس العداة .. ورانى .. وجاءت الى تصافحنى وهى
نصح مهلهل :

— اهلا يا استاذ ..

ما روح الاسناد .. ما عقل الاسناد .. يا ليل الاسناد ، ما بهار
الاستاذ .. آه لو نعلمين ماذا معلت بالاستاذ .. و ..

ولكنى تفكرت انى عبقرى .. وانى نجم .. فكتبت كل هذه
المناجاة فى صدرى ، وصافحتها فى وقار .. وقار العائرة !

وقالت لى انها قرأت كل ما عثرت عليه من شعرى .. وبدأت
بناقشنى فيه .. لا .. لا .. لم تكن تناقشنى .. كانت تذوب فى كل بيت
قراها لى .. وبحديق مع كل أهة اصورها شعرا .. ان البناة
الوحيد الذى يناقشنى فى شعرى وانا فى القاهرة كانت طالبة فى
القسم العربى بكلية الآداب .. موق عيبها بطراب سبيكه ..
وكانت تناقشنى كأنها تنازلت وتعلقت واضاعت وقتها فى قراءة
شعرى .. ثم كانت تهدم بلمسها كل بيت تكتبه ، انها لا تفهم فى
الشعر .. انها فقط تراجع دروس النقد التى تلقاها فى الكلية ..
ولكن هذه الفتاة ، فتاة دمشق .. انها تفهم الشعر .. تفهمه
مواطنيها ومذوب فيه ..

وافقتا على ان يلتقى ..

وصدقنى .. انها المرة الاولى التى التقى فيها بفتاة ..

ولقائيا كله شعر .. انها تردد اشعارى .. وتتفزل فيها ..
وتجلس بجائسى كأنها تحلس بجائب العبرى .. الفنان .. الشاعر
الخالج ..

واصحب لا أعيش الا لالقائها ..

انى احبها .. احبها ..

انها وحى شعرى .. ووقود فنى .. وشارة عمقيرتى !

انها نفسى نفسى ..

وقد زادت ثقتى بنفسى .. اصبحت لا اجلس الا وساق فوق
ساق .. واصبحت اهتمنى كمدرس .. واحترق تلاميذى ،
وانصرف تصرفات الفنانين .. انكش شعرى .. واسرح بعينى ،
واعطى لنفسى الحق فى ان اكون قليل الادب !

واعلمت ليلى يحبى .. واعلنتى بحبها ..

وبدانا نرسم معا صورة جميلة لمستقبل جميل ..

وليلى مخبر بى .. وتعز بحسى .. وتذيعه بين صديقاتها ..
وتتحدث به فى الجامعة ..

والجرائد تنشر صورى ..

واسر فى الشارع فيشير الى الناس ويسيروا ورائى ..

ودق جرس التليفون فى بيتى .. انها فتاة تردد اشعارى ،

وينبى ان راسى .. مناة اخرى .. ليست ليلى وحدها لذن !

والقيت الفتاة الاخرى ..

ثم اذا بى اكتشف عالما كهلا من البنات .. جميلات .. احسن
من ليلى بكثير ، وكلهن يرددن اشعارى .. كلهن يلطعن كل كلمة
انطقى كأنهن يشربنها .. وكلهن يبهننى قلوبهن .. يمدننى ..
يحترقن فى معهد فنى وعمقيرتى ... !

وبدا حى ليلى يتكلم ..

ربما لم احبها ابدا ..

ربما لم يكن من حق الفنان ان يقصر عواطفه على بنت واحدة :
حتى لا يخيب امل بقية البنات ..

وبدأت اهرب من ليلى .. واخذت ليلى تطاردنى .. تيكى
وتتوسل الى ، بحق امسيانا معا .. بحق الشعر الذى قلته غزلا
فى عينها ..

ولكن لا .. لا يا صغيرتى .. انى لا استطيع ان اخيب امل
بقية البنات ..

وبدأت اردد قول عبد الحليم حافظ : « انا لا احب احدا بالذات
.. ولكنى احب فنى » !!

انى هجرى .. وليس بينى وبين عبد الحليم حافظ فرق ، وانكته
لا يغضب اذا اقتنست كلمة من كلماته الخالدة !

وعشت فى عالم البنات .. ولنا اكبر حتى اكاد افرقع !

ثم .. كان يجب ان اعود الى القاهرة .. لقد انتهى عملى فى
دمشق ..

وعدت .. وعدت فنانا كبيرا مشهورا ، تحبه البنات ، ويلهب
عواطفهن بالشماعة ، ويثير خيالهن ، وينزع الاهات من قلوبهن ..

واعنكتك فى بيتى وكنت قصيدة جديدة .. ثم خرجت الى
اصدقائى لآتراها لهم .. وما كُنت اصل الى البيت الثانى حتى
صاح واحد منهم .. بلاش فقهه يا اخينا .. ثم ادار اسطوانة
« يا امه القمر ع الباب » !

لاند انى ظلمت ببؤلاء الاصدقاء ..

ولكننى لا اجد اصدقاء غيرهم .. وامشى فى الشارع ولا احد
يعرفنى ..

وأرسل قصيدتي الى الصحف فلا تنشر .. ومجلة روز
اليوسف نشرت بيتين منها في صفحة همسات القراء ..
والبنات .. أين البنات ؟

ووقعت في نافذتي ، وأشرت الى جارتى ، وبدأت أئشدها
قصيدتي فإذا بها تصرخ :

— يا أخينا ما بكنكم عدل .. ايه المخريف اللي بنقوله ده !
لا .. لا .. لا .. ليس في القاهرة مكان لشاعر .. ليس في سمائها
الا نجوم السيما .. أريد أن أعود الى دمشق .. بلد الفنانين ..
بلد الشعراء .. ولكني لا أستطيع أن أعود .. ظروف حياتي
تمنعني من العودة ..

وأرسلت الى ليلى خطابا يؤكد لها حبى .. انى احبك .. احبك
.. تعالى نحقق حلمنا .. تعالى نتزوج واصنع لي من حبك مكانا
استطيع أن أعيش فيه في القاهرة .. مكانا لشاعر ..
ولم ترد ليلى ..

القسام

أنا مقابر .. مقابر محترفة ..

وقد بدلت ألقابى وأيا في السادسة عشرة من عمري .. وكنت
أيامها أقيم مع أمى وأخوتى ، في الدقي ، واللف حولي بعض
الشبلان من سكان العمارة ، وعلّمنى لعبة « السبعة ونص » ثم
لعبة « ٣١ » .. وكنا نلعب بقروش قليلة .. وربحت .. لا أدري
كيف ربحت ؟ ولكني كنت أربح باستمرار .. وشجعنى الربح على
أن ألعب بمبالغ أكبر .. وانتقلت من على المائدة التي يلتف حولها
سكان العمارة .. الى موائد أكبر ، تعقد في بيوت أولاد الذوات ،
وأصبحت وأنا في الثامنة عشرة من عمري ألعب البوكر ، والبكاراه ،
و « البرغوت » وأكسب أو أخسر خمسين جديها في دقيقة واحدة
دون أن تهتز شعرة من راسي .. وكنت أربح .. أربح باستمرار ..
واكتشفت في نفسي مواهب المقامر .. هنا قوى الأعصاب ،
هنا لا يهزنى مكسب أو خسارة .. وأنا ذكي قوى الملاحظة ..
والقمار ليس كله مجرد حظ ، انه أولا ذكاء وقوة ملاحظة .. ثم
انى محبوب من أصدقائى .. وأصدقائى هم كل لاعبي قمار ، حبى
لؤلؤم اك اعرب اسمه .. مكنت استطيع أن اكسب قلوبهم وأخفف
من حدة ورهه الجو الذى يجثم فوق المائدة .. وكنت استطيع في اى
وقت أن أجمع اى عدد من اللاعبين .. بل انى أصبحت اتدلل عار
اللاعبين ، واختار منهم من أقضى معه ليلتي ، كالغفلة الفندورية
عندما تختار بين عشاقها ..

ولكن .. ربما كان أكبر من مؤهلاتي كمقار ، انى لم أكن أمك شيئا أخاف عليه .. لم يكن عندي مال يأخذه منى غيرى .. لقد بذلت اللعب عندي كنت صغرا - بحمسه قروش أتعرضها من الصديق الذى يجلس بجانبى .. وتعودت بعد ذلك أن أبدا اللعب وأنا مفلس - أتعرض من أى واحد من اللاعبين أو من المتفرجين - أما الريح الذى أجنيه فى آخر الليل ، فلم يكن يبقى فى يدي إلا ريشا نيدا الليلة البالية .. كنت أبعثر كل ما أربحه بجنون .. كنت كريما ممعا .. وكان كل اللاعبين يعرفون عنى هذا .. كانوا يعلمون أبى اللعب للذة اللعب بمسه - لا لأخذ الأرباح وأكون منه نروة .. وهذه هى أول شروط المقامر الأصل ..

ومرت الأيام وأنا اللعب كل ليلة ، وفى الصباح أعمل صحيفا فى إحدى الصحف .. ثم هجرت الصحافة ، وتفرغت للمقامر .. فلم أكن صحفيا لامعا ، ولكنى كنت مقامرا لامعا ..

ومع مرور الأيام احترفت المقامر ..

وأصبحت أعتقد الموائد لمسابى ، وأحصل لنفسى على قيمة « الجانيوتا » .. وكانت الموائد التى أعدها هى أغنى الموائد وأرقها .. وزادت أرباحى ، وزاد بذخى .. لو قلت لك انى كنت أكسب فى الشهر الواحد أكثر من ألف جنيه ، فأتى لا أباغ ، ورغم ذلك كنت دائما مفلسا .. أصبح عندي سيارة ، وثقة أتقة ، وأصبحت أرى فى أفقر الثياب ، ولكنى دائما مفلس .. أبدا ليلتى - وكل ليلة - بالاقتراف من أحد اللاعبين أو من أحد المتفرجين ..

وكانت سعيدا بحياتى .. لم يكن فيها شيء يقلقنى .. حتى بوليس الآداب الذى يتبع المقامرين لم يكن يقلقنى أو يخيفنى .. ولم يكن النهرب من البوليس أمرا يقتضى منى أدنى تفكير ، فقد كنت أعلم أنه بوليس أعجز من أن يصل إلى موائد المقامر .. مستحيل عليه أن يصل إليها .. فهى تعتد فى بروت لا يمكن أن

تشر شبهة البوليس ، أو يخطر على باله مهاجمتها .. ولو ذكرت لك أسماء العائلات التى كنت أعتقد فى بيوتها الموائد الخضراء ، لذهرت .. ورغم ذلك فلم يكن كل أصحاب هذه البيوت من المقامرين .. أنها كانوا يؤجرون بيوتهم للمقامر .. كنت ألتقى مع صاحبة البيت على أن تستضيفنى أنا وأصدقائى ، نظير عشرة جنيهات ، وأحيانا يرتفع الإيجار إلى خمسين جنيها ، حسب قيمة العائلة وقيمة اللاعبين ، ولم تكن سيدة البيت ترى فى استضافتنا مظهرا يحررها أو يثير حولها الأقاويل ، فهى تستضيفه استخفايا بحترمين مهذبين ، رجلا ونساء ، وكل ما هنالك أنهم يعلمون فى بيتها « كونه سنة » للتسلية .. مجرد التسلية !

وهكذا عشت .. مطمئنا .. بعيدا عن البوليس .. سعيدا ..

ولكنى .. وإن كنت سعيدا بحياتى ، فأتى لم أكن فخورا بها .. كان هناك دائما شيء ينقصنى .. صفة أستطيع أن أواجه بها الناس .. وكانت هذه الصفة التى أتى أن أواجههم بها هى صفة : 'لاديب' ..

من صغرى ، وأنا أتبنى أن أكون أدبيا .. له كتب ، وله مقالات ، وله اسم على السنة الناس .. وقد اشتعلت فى الصحافة لأكون أدبيا .. وفشلت فى الصحافة .. ولكن حلى ظل يرادنى .. ويلج على .. يجب أن أكون أدبيا !

وكانت أفرا كثيرا .. وكانت أعلي قراءاتى فى الأدب الفرنسى ، وقرأت مرة قصة لموريك .. قصة شائقة رائعة .. ماذا لو ترجمت هذه القصة ، وبشرتها فى كتاب باسمى .. وسجلت نفسى فى قائمة الأدباء ..

وحاولت أن أنخلص من هذا الحلم ..

أهملت قصة موريك شهورا عديدة .. وأنا أصر على أن أتفرع

لاحتراف القمار ، ولحياتي السعيدة .. ولكن القصة كانت تنمى
.. وتلج على .. ونؤرقنى ..

ثم فجأة ، فى يوم من الأيام ، وجدت نفسى جالسا الى مكتنى
أترجم القصة .. وتحمست فى ترجمتها .. الى حد انى أصبحت
أغيب ليالى كثيرة عن موائد القمار .. وخسرت أرباحى فى تلك
الليالى ، ولكن لا بهم .. ساعوض الربح ، بعد ان أطعم الكتلب
وأبيعهم .. وسيكون ربحا لفيذا .. الذى من ربح القمار ..
وانتهيت من اعداد القصة ، وكنت المقعدة والاهداء ..
أهديته الى روح أبى ..
كيف أطبعه ؟ ..

لقد كنت أعرف انه من المستحيل على أن أجد ناشرا يتولى
طبع كتابى ، فأتى لا زلت مجهولا فى عالم الأدب ، والناشرور
لا يطعمون الا كتب الأهداء المشهورس .. والكتب المضمونة الربح ..
والوسيلة الوحيدة أمامى لنشر كتابى ، هى أن أطبعه على حسابى ..
وأقدمت على طبعه بروح المتألم .. قررت أن أطبعه على ورق
فاخر .. وأن أصنع له غلاف من ورق البريستول الثمين ، مطبوعا
بخمسة ألوان .. وأن أطبع منه خمسة عشر ألف نسخة ، إن
موربك وأنا ، نستطيع أن نبيع أكثر من ذلك ..
كم يتكلف المشروع ؟ ! ستة آلاف جنيه .. ولو ..

صحيح انى مفلس .. وقد كنت مفلسا دائما .. ولكن الإملاس
ليس معناه ألا نجد نقودا ..

وقررت أن أستدين .. أن أصدقائى كثيرون ، وكلهم يرحبون
بإقراضى .. ولكن الإقراض للعب القمار ، غير الإقراض لمشروع
أدبى ضخم .. أن دين القمار دين شرف ، والمقرض يفترض فيه
الشرف .. ولكن الإقراض لطبع كتاب دين تجارى .. والتجار
لا يفترضون الشرف فى أحد ؟ !

وعلى غير عادتى .. اقترضت ، وكنت شيكا رائعا لصاحب
المطبعة ..

وتم طبع الكتاب ..
خرج أنيقا لامعا .. رائعا .. يحمل اسمى ا
وأعلنت عنه فى الصحف ..
وطرحته فى السوق ..
ولما اندور على الباعة والمكتبات ، وانظر الى الكتاب الذى
حمل اسمى ، وأقسم فخورا بنفسى .. لقد أصبح لى أخيرا صفة
استطيع أن أواجه بها الناس ..
ومرت الأيام ..
شهر .. شهران .. ثلاثة ..

أندرى كم نسخة بيعت من الكتاب ؟ ! .. أربعائة نسخة ..
أربعائة نسخة من خمسة عشر ألف نسخة ..
وبدا أصحاب الديون يجرون ورائى ..
وعدت الى موائد القمار ، على أستطيع أن أسدد ديونى من
أرباحى .. ولكن يبدو أن الحزارة التى تركها فشل الكتاب ..
ومشاكل الديون التى تلاحقنى .. كل ذلك قد أثر فى صفاء ذهنى ،
وقوة ملاحظتى ، فاصبحت أجسر على موائد القمار .. وأجسر ..
وأجسر .. ثم أصبحت أفقد أعصابى ، وأصبح اللاعبون يضيئون
فى ، ويهربون منى ..

ويئس الدائنون منى .. ولم يرحموني ..
ساعوا مبارتى ، واثاث بيتى ، وثيابى .. ثم ..
قدموا الشيكات التى فى أيديهم الى النيابة .. شيكات بلا
رصيد .. وقدمت للحاكمة .. وحكم على .. بالحس ثلاثة شهور ،
وأكثر ما يضايقنى أن الناس تعتقد انى سحنت كتمانر ،
لا كاديب !!

وأتكلم بصوت غليظ .. واتعالى على الناس .. ولكن هذه الشخصية المرفعة كانت لا تلبث ان تدوب اذا حدثت مناقشة بيني وبين اصدقائي .. وابدو امامهم على حقيقتي .. ضعيفا .. ضالعا ، غبيا .. واحيانا ابكى ..

والبنات .. حاولت ان يكون لى بنت .. ان كل صديق من اصدقائي له بنت .. وبعضهم له اكثر من بنت .. وشكلى ليس منمرا .. ان وجهى وميم رقيق ، يفضح ضعفى .. ثم انى من عائلة كبيرة .. وابى غنى .. ان صفات فى كثيرة تغرى البنات .. وربما كنت خجولا منطويا لا أجرو على التقرب الى فتاة ودعوتها الى سيارتى .. ولكنى كنت اتاوم هذا الخجل والانطواء ، وأختار بنتا اتقدم اليها ، ثم لا اكاد اعرفها ونلتقى مرة أو مرتين حتى « يلطشها » حتى احد اصدقائي .. ويسخر اليافون منى !
وانعذب ..

وانعذب بشخصيتى الضعيفة المنهارة ..
لماذا انا ضعيف ؟

ربما انى وحيد والدى .. امى وابى يدلاننى كثيرا .. ويعلماننى حتى اليوم كانى طفل صغير .. وامى لا تكفه عن يقبلى .. وامى لا يرفض لى طلبا .. ويكنى ان اعضب غضبة صغيرة حتى يهتز البيت كله ..

وربما كانت هناك اسباب اخرى ..
لا ادري .. ولكنى اتعذب ..

وكان اصدقائي كلهم يترددون على بيت واحد منهم ، ويحتجمون لاستنكار دروسهم .. وكنت اذهب معهم .. ولم تكن نذاكر .. كنا نلعب اغلب الوقت ونحدث ! ..

ولاحظت ان هؤلاء الاصدقاء مهتمون بالطلع الى البيت المقابن .. ان فى البيت المقابل بنات ..

الشخصية الجديدة

انا طالب فى كلية الحقوق ..

ولعلى واحد من يحملون لقب « ابن ذوات » فعائلتى لها اسم كبير قديم ، وابى غنى ، وعندى سيارة .. سيارة لى وحدى .. ومنذ ولدت وانا اركب سيارة .. انى لم اركب الاوتوبيس او الترام فى حياتى ..

ورغم ذلك ثمانى لا اشعر بامى « ابن ذوات » ولا بانى املك سيارة .. كل ما اشعر به هو انى ضائع بين اصدقائي .. انى موضع سخريتهم دائما .. انى ضعيف ..

وطول حياتى وانا احاول ان اقلب على هذا الضعف .. احاول ان امر قويا مثل اصدقائي .. ان امنعهم من السخرية بى .. ان اتفوق عليهم فى شىء ..

حاولت ان اكون بطلا رياضيا .. لعبت التنس ، والاسكواش ، والفوتبى بول .. ولكن لا امل .. لا استطيع ان اتفوق .. وجسدى لا يبرد ان شدد ، وعضلاى لا تزال محمية تحت جلدى ، وعظامى لا تزال طرية ..

وحاولت ان اتفوق فى الدراسة .. ان انجح بدرجة ممتاز .. ولكن لا امل .. انى كلما جلست للاستنكار ناه عطفى ، وحملى خيالى بعيدا عن الكتاب .. ورسبت آخر العام ..

وحاولت ان امثل دور الشاب صاحب الشخصية القوية .. فكنت اضع على وجهى تعبيرا جادا .. ولا ابسم الا قليلا ..

واستنتجت ان لاصدقائى علاقة بهؤلاء البنات .. كل منهم قد اخبرتنا .. تخرج اليه فى الشرفة لسادله الاشارات .. وتحادثه فى التليفون حديثا يستغرق ساعات ..

ولكن اصدقائى لا يظلموننى على سرهم ..
انهم يتبادلون الهمسات امامى ، دون ان يشركونى فيها ..
انى بينهم كائى لست موجودا ..
وليت عليهم ..

ثورة كثورة الاطفال الصغار ..

ان من حلى ان اشاركهم اسرارهم .. انى واحد منهم ..
واستقبلوا ثورتى ساخرين كعادتهم .. ولم استسلم لسخرتهم ..
بدأت اضيقهم فى علاقاتهم ببنات الجيران .. كنت اخرج الى الشرفة كلها خرجت بنت الى الشرفة المتابلة .. واشير لها اشارات صبيانية ، وارفض ان اترك مكانى لصديقى الذى اخبرته لنفسها ، وكلها دق التليفون وقتت بجانب الصديق الذى يتحدث ، واخذت اضيقه .. اصرخ .. واعنى .. واقطع المحادثة ..

ثم .. ثم قال لى اصدقائى ان ميمى ، ابنة عم بنات الجيران ، كانت فى زيارتهم ، ورائى فى الشرفة ، واعجبت بى ، وسالت بنات عنها عن ثمرة تليفونى .. وبنات عنها سالوا اصدقائى .. فاعطوهن الثمرة ..

وعدت الى البيت ، ورابطت بحاسب التليفون ..

بومان ..

ثم تحدثت ميمى ..

بقينا نخاطب نصف ساعة ..

وجريت الى اصدقائى ابلغهم بما المحادثة ، منظرًا معصم الى معص ساخرين .. وانطلق واحد منهم يضحك بصوت عال .. لعلهم لا يصدقون !

وتحدثت ميمى مرة ثانية فى المساء ..

حدثنى ساعة ..

واصعدت ميمى تحدثنى كل يوم مرتين .. واحيانا ثلاث مرات .. وكان حديثها فى الايام الاولى يبدو مغتلا ، ويهمل الى المراح .. ولكن حديثها بدأ يهدأ .. ووجدت نفسى احدث اليها كما لم اتحدث الى احد من قبل .. انى انطلق فى الحديث .. لا اتردد .. ولا ارتبك ، ولا اخجل .. اما هى فلم يكن حديثها كحديث بقية البنات .. لم تكن ضحكت عن آخر الاسطوانات التى سمعتها .. ولا عن الأفلام .. ولا عن نادى الحزيرة .. كانت تتحدث قليلا ، وتبدو دائها حزينة منكسرة ، كانت تخفى فى صدرها عذابا ..

واذهب الى اصدقائى ، واحديثهم عن ميمى .. فيتبادلون هذه اللطرات الساخرة ، وبعضهم يضحك بصوت عال .. انهم لا يصدقون ! ..

واخيرا استطعت ان اتقنع ميمى بان نلتنى .. وقد ترددت كثيرا قبل ان يوافق على اللقاء .. بل انها خذرنى يبنى ان اجدتها جهيمة .. ولكنى صمت .. ولا ادرى من اين اتيت بقوة التصميم .. ربما جئت بهذه القوة من تصميمى على تحدى اصدقائى ، وربما كانت ميمى تثير فى قوة جديدة لم اشعر بها من قبل .. قوة الرجل .. قوة السيد ..
ولفتها ..

انها جميلة .. وغريبة ..

سراء .. فى الثامنة عشرة .. وجهها مستدير ، كوجه للاحلة حلوة .. وربما لاحظت انها لا تجيد عقص شعرها ، ولا تجيد وضع « الروح » على شفتيها .. وثوبها سدو واسعا عليها .. ولكن هذا لا يبنى انها جميلة ..

وهى عرية .. انها تجلس بجائى فى السبارة منطوية ..

فجأة تأتي بعركة خلية كانها تذكرت دورا يجب أن تقوم به .. ثم تعود مرة ثانية وتتكش في ركن السيارة منطوية ..

وأنا سعيد بها ..

أني أشعر بجانبها أنني أقوى .. أقوى منها ..

— أنني رجل .. أنني سيد ..

وتركتها .. وجريت إلى أصدقائي لأروى لهم ما حدث بيني وبين ميمي .. ونظر بعضهم إلى بعض ساخرين ، وانطلق أحدهم يضحك بصوت عال .. أنهم لا يصدقون .. وقد بدأت أكره هؤلاء الأصدقاء !

وعدت لأقابل ميمي ..

كم مرة قابلتها .. ثماني مرارة .. لا .. تسع .. وقد استغفرت بها عن كل أصدقائي .. لم أعد أتردد على هؤلاء الأصدقاء .. لم أعد أطبق سخرتهم وضحكانهم .. ولم يعد في حياتي إلا ميمي .. أعيش بجانب التليفون لأحدثها .. إلى أن ألقاها ..

وقد قبلتها ..

ربما كانت ميمي هي أول فتاة أقبلها ، وأشعر بطعم القبله فوق شفتي .. وقد كانت قبلها بنات .. ولكني كنت أقبلهن كطبل .. قبله بشوها حياتي وضعف شخصيتي .. كانت البنات هن اللاتي يقبلنني لا أنا .. أما ميمي .. فأنا الذي أقبلها .. قبله رجل .. قبله بتبض بشخصه كامله ..

إني إن كان يوم .. وانتهى لقاءنا .. وقبل أن تترك مكانها بجانبني في السيارة قلت لها وأنا أضغط على يدها بيدي :

— حدثيني اليوم في التليفون ..

ونظرت إلى طويلا .. نظرة غريبة .. ثم سحبت يدها من يدي وقالت لي وهي تدبر وجهها عني :

— لا .. لن أحدثك ..

قلت في دهشة :

— لماذا .. ؟ ماذا جرى .. ؟ !

قالت وهي تنظر أمامها :

— لن أحدثك .. ولن أتك ..

قلت وأنا أشد دهشة ، وقلبي ينتفض :

— ماذا جرى ؟

قالت :

— أنك لا تعرفني ..

قلت وأنا أقترب منها وأنظر في وجهها أحاول أن أقرأه :

— أنني أعرفك .. وأهلك ..

والنفتت إلى بعينين ثائرين وقالت في حدة :

— أنك لا تعرفني .. لا تعرفني .. لا تعرف حتى اسمي .. إن

السمي لسمي ميمي .. وليس مرفت .. وأنا لست ابنة عم أحد .. أنا .. أنا ..

وخفت صوتها .. ونكست رأسها ، وقالت كأنها تهم بالكاء :

— لقد خدعوك في .. أنني مقبل أوقعوك فيه .. منذ اتفق

أصدقائك مع البنات على أن يطلبوا مني أن أحدثك في التليفون ليضحكوا عليك .. فحدثتك .. ولم أكن أدري أن كل ذلك سيحدث ..

لم أكن أدري أنني سأضحك ..

قلت وأنا لا أنهم :

— ولكنني أحسبك و ..

— أنك لا يمكن أن تحب خادمة .. أنا خادمة .. خادمة .. أنا

بهمة الخادمة !

وسكنت .. وسكت .. أحسست أنني أغرق في ضباب كثيف ..

أحسست أن شخصيتي الجديدة التي اكتسبتها — شخصية الرجل ..

— بدأت نذوب .. لقد سخر مني أصدقائي مرة أخرى ..

وسمعتها تقول ودعوها تنحدر على وجنتيها :
 — ان هذا الثوب هو ثوب ستي هدى .. لقد اترضته لى فطمت
 لامثل الدور حليك .. لقد كانت تترضتى ثوبا كلما جئت للقائك ..
 وعندما اعود اخلع الثوب واعده لها ، وأروى لها كل ما حدث
 بيننا لترويه بغيرها الى اصدقائك ..
 وسكنت .. وفقدت باب السيارة ومزلت منها دون ان نظل
 الى ..

الزوجة الثانية

هجر أبى أمى .. لم يطلقها .. ولكنه هجرها ..
 وقد بدأ هجره ببلية يفيمها عن البيت كل اسبوع .. ثم أصبحت
 الليلة ، ليلتين .. ثم أصبح يغيب ثلاث ليال .. ثم يغيب الاسبوع
 كله .. ثم عرفت أمى انه تزوج امرأة أخرى .. مطلقة .. ولم
 تعترض أمى .. ولم تثر ..
 ولم تطالب بالطلاق .. كل ما فعلته انها حرمنه من نفسها ..
 لم يعد له عليها حقوق الأزواج .. وقد عاد بعد شهر يطالب بحقه
 .. أن ينام فى البيت ولو ليلة واحدة .. ولكنها رفضت .. وثار
 أبى وهدد .. وأصررت على الرغص ..
 وقررت أمى بينها وبين نفسها أن تهب عبرها لاولادها .. اما
 .. وكنا خيبة .. ولدين وثلاث بنات .. وانا اكبرهم ..
 وقد عشت طول عبرى اتسائل .. لماذا لم تطلب أمى الطلاق
 .. لا يمكن أن يكون السبب هو ما يدفعه أبى لها للاتفاق علينا ..
 فهى لو طلقت لاستطاعت ان تقاضيه وتستعصر حكما بالاتفاق
 علينا ، يوازى ضعف ما ينفقه .. ولم أعلم الا اخيرا ان أمى ظلت
 محتفظة بنفسها زوجة له ، حتى تحبى نفسها من الزواج من غيره
 .. حتى لا تضعف أمام رجل آخر يتقدم اليها ، وحتى لا تخضع
 لصخط أهلها عليها لتزوح مرة أخرى .. ملا نهسا كل عبرها ..
 لقد سجنتم نفسها فى ورقة الزواج .. زواج بلا رجل .. من اجل
 اولادها .. من اجلنا ..

وسكاكين حادة تمزق لى قللى ..
 وعدت الى بيتى .. وكأنت هناك فكرة واحدة تسطر على
 تفكيرى .. أن اقتل اصدقائى .. ان اقتلهم جميعا ..
 نعم .. سأقتلهم .. وجريت الى مكتب أبى واخذت المسدس ،
 واطماننت الى انه يحشو بالرصاص .. ثم ركبت سيارى واتجهت
 الى البيت الذى تعود اصدقائى ان يجتمعوا فيه .. وقبل ان ادخل
 .. ترددت قليلا .. ثم وجدت نفسى أتجه الى بيت الجيران ..
 وصعدت السلم وثبا .. ثم وقعت انق الباب بكلنا يدى .
 وفتحت لى هدى ، وصرخت فيها :
 — قين نعيمه .. قين نعيمه الخدابه ..
 وربما كان الجنون يبدو فى عبنى .. فقد تراجعت هدى من
 أمامى ، وأنا أسمعها تصرخ :
 — نعيمه .. نعيمه ..
 ورايت نعيمه أمامى .. ودون ان اكلم .. جذبته من يدها ..
 وسحبته ورائى على السلم .. ثم أركبتها بجانبى فى السيارة ..
 وانطلقت .. بسرعة مجنونة .. و .. ووقفت بها فى المكان الذى
 تعودنا ان نقف فيه كلما التقينا ..



اتدرى .. لقد نجحت هذا العام فى الامتحان .. نجحت
 بنفوق .. بدرجة ممتاز !

مزيارتي له .. وانتقم منه وأنا أكل على مائدته ، وانتقم منه وأنا
أضرب أولاد زوجته .. وكانت لاحداهما ابنة وللأخرى بنت وولد .
ثم بعد أن كبرت أصبحت انتقم منه بطريقة أخرى .. أصبحت
كلما ذهبت لأقضي أياما عنده ، أغري بنتي زوجته .. وأتالها ..
أشبع شبلي منها .. أنه انتقم لدي .. ولكنه انتقام ..

وقد استطعت أن أصبح حلاقا .. حلاقا ناجحا .. وبدأت
أكسب كثيرا .. وكان كل همي أن أعوض أمي عما قاسته في سبيلنا
.. وأن أرحم أختي مما كته عليهم أبي .. فاستطعت مكسبي
أن أسأجر لنا شقة حديثة واسعة .. في حي الميل .. وأن أزوح
أختي .. وأن أساعد أخي ليشترك أحد زملائه في امتحان ورشة ..
وأذكر أن الشقة التي أسأجرتها كان في حمامها بانيو .. وأكثر
ما فرحت به هو هذا البانيو .. أن أمي تستطيع اليوم أن تستحم في
بانيو .. وكنت أدخل بنفسى وأملأ البانيو بالماء الساخن وأدعو أمي
إلى الحمام .. لقد كنت أدللها كثيرا .. أنى أحبها .. بقدر ما
أحبتي وتعت من أجلي ..

ولكى ظلمت أواظب على زيارة أمي .. أواظب على الانتقام
منه في بنتي زوجته .. كان هناك شيء يجذبني دائما إلى بيتي
أبي .. بيت زوجته الثانية ، وبيت زوجته الثالثة .. ربما كان
المرح الذي يملأ البيت .. وربما لأن زوجته ليستا جادتين
حزينتين دائما كأمي .. وأولادها لا يحلون لهم كآخوسي ..
ورغم كل شيء .. فلما لا أستطيع أن أنكر أن أبي كان سعيدا
في حياته ..

ثم كان يوم .. وسمعت زوجة أمي — الثانية — تطلب منه أن
يزوجني بابنتها .. ولم أسمع حديثها صدمة .. بل سعيه
استراقا .. فقد تمودت أن أسرق للسمع كلما ذهبت للقامة في
بيت لى ..

وكان أبي صاحب ورشة .. كان يكسب كثيرا ، وكان بعد أن
هجرنا يرسل إلينا ما يكفي للعيش في ستر .. كنا نسكن شقة من
أربع غرف في حي السبالة وكنت وأخوتي نذهب جميعا إلى المدرسة
.. ولكن أبي بدأ ينسفل بزوجه الجديدة من عمله .. وعنا .. ثم
لم يكف بالزوجة الجديدة .. تزوج مرة ثالثة .. وأصبح له ثلاث
زوجات وثلاثة بنوت ينفق عليهن ..

ورغم أنه لم ينجب من زوجته .. الثانية والثالثة .. إلا أنه
كان ينفق عليهن أكثر مما ينفق علينا .. وكانت يده تزداد ضنا
علينا شهرا بعد آخر .. حتى اضطرت أمي أن تنتقل بنا من الشقة
التي كنا نسكنها إلى شقة مكونة من حبرتين ، في شارع السد ..
ثم .. وأبي يزداد ضنا علينا .. اضطرتنا أن ننقل إلى حجرة
واحدة نقيم فيها كلنا ، أيجارها خمسة وعشرون قرشا في الشهر ..
وأخرجتنا أمي من المدارس ..

كان يجب أن تعمل ، وأن تكسب لقمة العيش ..
وأرسلني أمي لاشتغل صبي حلاق حتى أتعلم الحلاقة ..
وأرسلت أخي إلى ورشة صغرة في الحي يتعلم فيها تصليح
السيارات .. وبدأت تدرب الأختين على الخياطة .. وهى نفسها
بدأت تعمل خياطة ..

وكل ذلك وأنى لا يرحمنا .. ويقوم مع زوجته .. وكل معهما
في شقة كبيرة في حي الروضة ..
وأنى صابرة ..

لا تطالبه بالطلاق .. ولا تطالبه بنفقة ، إلا ما يعطيه لها تفضلا
منه ..
وكبرت وأنا أكره أمي ..

كنت أذهب إليه وأقيم معه أياما .. سواء في بيت الزوجة
الثانية أو الزوجة الثالثة .. وأحس أنى انتقم منه .. انتقم منه

وخفت .. خفت ان تكون زوجة أبى قد نصبت لى شركا لاتزوج
ابنتها .. اتى اعرفها .. انها قادرة على نصب الشرك .. وأنا
لا أريد ان اتزوج هذه الفتاة .. كيف اتزوجها وقد اشيبت منها
شبابى .. ثم كيف اتزوج ابنة ضرة أبى .. لو تزوجتها لمستوت
أبى كهذا ..

وجريت الى أبى وطلبت منها ان تزوجنى .. قلت لها أريد
فتاة مثلاً فى أخلاقها ، وفى عفتها ، وفى قوة احتمالها ..

وزوجتنى أبى .. زوجتنى من ابنة اختها ..
وكانت زوجتى كأمى فعلاً .. قوية مثلاً .. صابرة مثلاً ..
جادة مثلاً .. عفيفة مثلاً .. بل تمايز على أبى بأنها متعلمة ..
تقرأ وتكتب ..

وسعدت بزوجتى .. انها تحبنى .. انها خادمتى .. انها
تكاد تفرش لى الأرض بربوش عنيتها ..

وكان يجب ان أبقي طول عمرى سعيداً ..
ولكن بعد ثلاث سنوات .. وبعد ان اتجنت ولدين وسنا ..
قابلت زينب ..

وزينب سيدة مطلقة ، قابلتها عندما زرت زوجة أبى .. مرحة
مثلاً .. مضاء مثلاً ..

وشغلتنى زينب .. وعرفت ان لا سبيل البها الا اذا تزوجتها ..
لا .. لا يمكن .. لن اتزوجها ..

لن اكرر مأساة أبى .. لن اعرض اولادى لما عرضنا له أبى ..
وزينب لا تزال تشغلنى ..

ولكن .. لماذا اسمى حياة أبى مأساة .. لقد عاش سعيداً ..
لا .. انها مأساة .. لقد تخلى عن اولاده .. هنا ..

لن افعل مثله .. أبداً .. لن افعل مثله ..

ولكن .. مأساة أبى انه تخلى عن اولاده ، لا لانه تزوج امرأة
أخرى ..

أى انه لو لم يتخل عن اولاده .. لما كانت هناك مأساة ..
وطب زيب يشاعلنى ..

أتى أستطيع ان اتزوجها .. لماذا لا اتزوجها ..

كل ما همالك يجب ان احرص على الاتفاق على اولادى .. حتى
لا تتكرر مأساة أبى ..

وقررت سنى وبين نفسى ان اتزوج زينب ..

وبدا أمامى كل شيء سهلاً .. واضحاً .. سأتزوج زينب ..
وستبقى زوجتى الاولى مع الاولاد ، وسأنفق عليهم .. وكان الله
يحب للمحسنين .. ان زوجتى لا يمكن ان تطلب الطلاق .. انها
كأمى .. اتى اعزها ..

وفاتحت زينب فى الزواج ..

وسهرت عندها ليلتها حتى الواحدة صباحاً .. ومعنا اهله
طبعاً .. وعدت الى بيتى سعيداً .. نشواناً .. والحياة سهلة ..
جيدة ..

ووجدت زوجتى جالسة فوق الفراش ، ووجهها مكتهر ..
واسميت لها .. ولكنها لم تتنسم .. وسألتنى فى وقاحة :
— كنت فى ؟

ودعشت للسؤال .. صحح ان هذه هى المرة الاولى التى
اسير فيها خارج البيت حتى الساعة الواحدة صباحاً .. ولكن
أبى لم تكن تسيال أبى : كنت فى ؟ فكيف تجرؤ زوجتى على
سؤالى ؟ !

ورغم ذلك فلم أكن أريد ان أعكر سعادتى ونشوتى ، فكذبت
على زوجتى وتقبلت كذبتى كأنها لا تصدقها .. وقالت فى حزم
عجيب :

— تاتى مره ما تتأخرش !!

وسهرت ليلة أخرى عند زينب .. وعدت فرحان نشوان ..
فهلذا بى أجد زوجتى نكى .. ثم لم تكذ ثرائى حتى انطلقت
فى وجهى كالدفع الرشاش .. ؟ الصاروخ .. ولا تريد أن تهدأ ..
لا تريد أن تكب عن الصراخ .. وتبددت فرحتى ونشوتى .. ولم
انم .. قضيت طول الليل أستمع الى صراخها ..
ورغم ذلك .. عمت وسهرت عند زينب ..

واستقبلتنى زوجتى صارخة :

— طلقنى .. طلقنى ..

اطلقها .. كيف ؟

ان أمى لم تطلب الطلاق من أبى حتى بعد ان هجرها .. فكيف
تطلب زوجتى الطلاق ؟!
كيف تطلب الطلاق وهى كأمى .. والاولاد .. الم تفكر فى
الاولاد ..
وسكت .. لاند انها جنت ..

وصرخت زوجتى كأنها سبعت ما يدور بينى وبين نفسى :

— ملغنى وخذ ولادك .. خللى ست زينب بقاعك تربيهم لك ..

يا .. يا ..

وانهالت الشتائم .. كل ما هتئى هم الاولاد ..

— ان ريتب لا تستطيع ان تربيهم .. ان زوجة أبى لم تربنا ..
ولم أكن أقل ان تربينى أو ترمى اخوتى .. انها صنف من النساء
لا يصلح لتربية الاولاد ..

وزوجتى لا تزال تصرخ .. ظلت تصرخ حتى الصباح ..

وذهبت الى عملى بلا نوم .. ولم اكذ انحنى على أول زبون ..
حتى وجدت خالى يدخل على وجنسى من قراعى ، وبهمس فى
أذنى :

— ايه اللى انت حاسيله ده .. صحيح حا تتجوز زينب ..
مش كفايه اللى عملك انوك ..

ثم جاء زوج خالنى .. ثم حامت أمى ..
واضطرت ان اترك عملى واذهب الى البيت لأجادلهم ..
وتركتهم ساهطاً ونزلت لأجلس فى المقهى المجاور للبيت ، فاذا
بصاحب المقهى يصيح فى وجهى :

— ايه الحكاياه يا أسطى محمد .. حد اليومين دول يتحوز
على مراته .. ده لنت مراك ست اميره .. يا راجل أعقل .. بلاش
دناوه ..

والأسطى حسنين الميكانيكى ..

وسى جوده أفندى رئيس حسابات قلم القيودات بالمحافظة ..

ثم .. زبائنى ..

زبائنى الذين أعتز بهم .. كلهم عرقوا بالحكاية .. كلهم موش
راسى .. كلهم يهدوننى ..
ان زوجتى لم تترك احداً من أصدقائى و من زبائنى ، الا
وسلطته على ..

انها ليست كأمى ..

ليست كأمى ابدا ..

ولم أتروح زينب ..

وشتاء ، ومن نور وظلام ، ومن برد وحر .. فلماذا يصر الانسان على ان يعيش هذه الحياة على وتيرة واحدة .. لماذا يتقيد خطواته ، وبقيد روحه في داخل علبة ضيقة ، يسميها التقاليد .

واحصت هذه الحياة .. حياة كمال ..

واحصت كمال .. واحبني كمال ..

وعشنا يوما بيوم .. وساعة بساعة .. كل يوم جديد .. وكل ساعة جديدة .. ولا مسئولية .. لا احساس بالمسئولية اطلاقا .. اننا لا نحس بشيء الا بحسنا .. لا احس الا به ، ولا يحس الا بهي .. و مضى عامان على حينا .. ثم نعمت ..

لا ادرى مم نعمت ، فلم يكن في هذه الحياة شيء يتعب .. ولكنني مدت احن الى الاستقرار .. بصرحة .. بدأت افكر في الزواج .. يبدو انه مهما اشدت الحب ، فهو لا يغني ابدا عن الزواج .. وقد كنت احب كمال .. احبه بكل دقائق غلبي .. بكل دقائق عمرى .. ولم يكن هناك شيء ينقص حبى .. ورغم ذلك لم استطع ان امنع نفسي من التفكير في الزواج ..

هل اتزوج كمال ؟ !

لا .. لقد اشفت على من مجرد العكرة ..

ان الزواج نظام لا يعرف به كمال في حياته .. لا يخطر على باله اطلاقا .. وسعادة كمال ، وهواؤه ، وعقليه ، لا يمكن ان يتفق مع الزواج .. ان الزواج يتطلب من المسئولية ، ومن الاستقرار .. وكما لا يستطيع ان يكون مسئولاً ولا مستقراً .. هذه طبيعته .. انى اذكر الايام التي كنت اراه فيها وفي جيبه عشرة جنيهات .. يصرفها كلها في ليلة واحدة .. يصرفها بلا ضابط وبلا تفكير .. قد يعطى نفسها لبائع الجرائد ، ويشرب بالنصف الآخر زجاجة شباتيا .. ثم يصحو في اليوم التالي مفلسا .. دون ان يدري

مقاعد المتفرجين

لم اكن ادرى ان كل ذلك مسحدث عندما التفت بكامل .. كان شابا منطلقا .. مرحا .. يضحك بالحياة .. لا يكف الانسامة من شفثيه ..

واعتقدت انى سألوه معه .. وكنت في حاجة الى اللهو .. في حاجة الى ان اهرب من مشاكل ابي وامى .. وان اثير الموح في حياتي الراكدة .. وان اضحك .. ولكن حياتي مع كمال لم تستمر لهوا ..

لقد وجدت نفسي اغوص في ابتسامته المرحية .. ابتسامه الطلل الكسر ..

ووجدت نفسي اعيش حياته .. حياة لا تهدأ ابدا .. ولا تستقر .. جمالها في ضجيجها وفي عدم استقرارها .. لم تكن حياة عريضة .. لا .. ان كمال ليس عريضا .. انه صاحب راي في الحياة .. صاحب مبدأ .. ان الحياة في نظره يجب ان تكون هكذا .. ضحكة كبيرة .. ويوم بيوم .. بلا قيود ولا تقاليد ، ولا شيء مما اتفق عليه الناس .. ان الناس كلهم على خطأ ، فلماذا نشاركهم الخطأ .. ؟

والناس كلهم يعيشون محرومين من حقيقة الحياة ، فلماذا نشاركهم الحرمان .. الناس كلهم متنافقون جبنا .. فلماذا نشاركهم النفاق والجبن .. اننا نعيش الحصة كما ارادها الله .. والله لم يرد الحياة راكدة آسنة .. لا .. لقد خلق الله الحياة معمرة في كل ساعة من ساعاتها .. خلقها من ليل ونهار ، ومن صف

أنه مفلس . ودون أن يذكر أنه يملك بالأمس عشرة حبيبات .
وأنكر اللبالي التي كان يقضيها جالسا على سور كوريش النيل
.. سعيدا .. منتبها .. كأنه على موعد مع حبيبته .. ولم يكن
على موعد الا مع شروق الشمس .. دون أن يحس أن له بيتا يجب
أن يعود إليه ، ودون أن يحس أن له سريرا يحن اليه ، ويهدأ
فوقه ..

لا .. لا يمكن أن أتزوج كمال ..
ولكني أئن إلى الزواج .. أريد أن أتزوج .. أريد أن يكون لي
بيت .. ومطبخ .. وصديقات يزرنني ..
ونقدم إلى رجل ليتزوجني ..
ليمخني البيت ، والمطبخ ، ومكانا استقبل فيه صديقاتي .
وكان رجلا محترما .. كل ما شعرت به نحوه هو الاحترام ..
هل يكفي الاحترام سببا للزواج .. ربما ..
وقررت أن أتزوجه .. ثم كالم يجب أن أبلغ كمال .. شعرت
أنى يجب أن استأذنه في أن أتزوج غيره .. ولم يكن لكمال حق
على الا حق الحب .. ورغم ذلك كان لا يمكن أن أتزوج قبل أن
أسأله ..

وذهبت إليه ، وقلت وأنا أحاول أن أبدو بسيطة وطبيعية :

— سأزوجه !!

وارتفعت في عيني كمال دهشة كبيرة .. دهشة صادقة ..
وقال كأنه ينهمني بالجنون :

— لماذا ؟ !

وفوجئت بهذه الدهشة ، وبهذا السؤال .. نعم ، لماذا أتزوج ؟ !
وأحسست أن ليس هناك سبب يدعوني للزواج .. أحسست
بالإلهاة .. بأنى عبثة .. أما — كمال وأما — نضحك . وسرح .
ويحب احدا الآخر .. فماذا أريد أكثر من ذلك .. ولماذا أتزوج ؟ .
ورغم ذلك فقد أجبته وأنا لا أزال أشعر بالإلهاة :

— لا أدري .. ولكني أحب أن أتزوج ..

وتعكرت عينا كمال .. وجههم وجهه .. وأحسست بقلبي
يمرر له .. أنى أطيق أن أراه دائما كما أحبته .. مرها ،
منطلقا ، وابسامة فوق شفتيه ..

ونظر كمال إلى الأرض .. ثم رفع رأسه حينما ، وقال كأنه
يعني آخر ما يملك :

— هل تتزوجيني ؟ ..

وشعرت أنى أهم بالبقاء .. لا أغرها .. ولكن لأنى أحسست
بهدي عذاب كمال .. أنه لم يكن يعرض عليّ "تزوج" .. الا اذا كان
عذابه كبيرا .. كبيرا إلى حد أن يضحي بكل حياته من أجل ..
وانهمرت دموعي .. وقلت وقلبي يكاد يخنقني :

— دعنى أفكر !

وحملت دموعي ، وتركته .. وقضيت أياما أتعذب بخيرتي ..
حيرتني بين رجل أحبه ولا يصلح زوجا .. ورجل يصلح
زوجا ، ولا حبه ..

حيرتني بين قلبي وعقلي .. قلبي في ناحية .. وعقلي في
لحاية ..

وقال لي عقلى أنى اذا أردت الزواج .. فأتى أريد الهدوء
والاستقرار .. وكما لا يستطيع أن يمنحني الهدوء والاستقرار
.. بل أن الهدوء والاستقرار سيقتضيان على كمال .. كأنى لو
.. روجه ، فسأنتصي على نفسي وعليه ..

ولكن قلبي ..

قلبي يارنى .. !

وخضت قلبي .. نعم خضته .. وتزوجت الرجل المحترم ..
وحاولت أن أخفف عن كمال الصدمة .. حاولت أن أتناه ..
وأن أمنحه أكثر مما تعودت أن أمنحه ، نمله يغفر لي ، ولعله ينسى
عذائى .. ولكن كمال لم ينتظر أن أواسيه .. سافر ..

وأصبح لى بيت .. ومطبخ .. وصديقتى يزرعنى .. ولكن ..
 انى أحس انى ابتعد من الحياة .. لم أعد أعيش الحياة ..
 ولكنى أنفجح عليها .. نعم .. لقد انتقلت بعد الزواج الى مقاعد
 المتفرجين .. أرتب المسرح من بعيد .. وأرى الممثلين الذين
 يعبشون الرواية ، وينفعلون بها ، والباس تنظر اليهم ، ونصف
 أهم .. وأنا .. وأنا .. لا أعيش الحياة .. ولا احد ينظر الى
 ويصفق لى .. أنا الهدوء والاستقرار .. أنا البلادة .. أنا عقل
 بلا قلب .. أنا واحدة قطعت تذكرة للتفرج على الحياة .. من
 بعيد ..

وأنا أبكى .. أبكى حياة لا أستطيع ان أعود اليها ..
 وأبكى هدوء واستقرارا لا أستطيع ان أتر منها
 وأمسح بدموعى جدران البيت ، والمطبخ ، وأدارها عن
 صديقتى عندما يزرعنى ..

السويد

أنا مهندس .. فى الثالثة والعشرين من عمري ..
 وأرسلنى الشركة التى أعمل بها ، فى سعة تدريبية ، الى
 السويد ، لمدة عام ..
 والسويد هى جنة الشقراوات .. والبنات هناك يأخذن الحياة
 ببساطة .. لا عقد ، ولا تكلف ، ولا هروب من طبيعة الانسان ..
 انك تستطيع ان تبتسم لى فتاة فى الشارع ، فتد ابسامك ، دون
 ان تحس ان فيها معنى يجرحها ، ودون ان تشعر بأن كل ما ند
 يربطك بها أنك رجل وأنها امرأة .. والابتسامة قد يعقبها حديث ،
 وقد يعقبها لقاء ، وقد يعقبها حب .. وقد لا يعقبها شىء أبدا ..
 ولكنها أولا ترد ابسامك .. لأنها ابتسامة .. لا لالك رجل وهى
 امرأة ..

ولكنى لم أبتسم لى من بنات السويد ..
 قضيت اثنى عشر شهرا وحيدا فى جنة الشقراوات .. وربما
 كانت هذه طبيعتى .. فأنا ضنين بجسدى .. انى الى الآن لم يكن
 لى فتاة ابدا .. ثم انى لا أصور ان أربط بسى بمساء وأد أعلم انى
 سأتركها بعد سنة .. وبعد شهر .. ان البنات لسن مجرد متعة ..
 ولسن مجرد حاجة للرجل ، يجرى وراءها .. انهن أكبر من ذلك
 بكثير .. وقد مضت طول ممرى أنتظر هذا الشىء الكبير ..

وتركيت السويد بعد ان انتهت مدة البعثة ، وأنا مسعيد ..
 مسعيد بالحياة التى عشتها .. وسعيد بدراستى .. وسعيد انى

استطعت ان اقاوم اصدقائى بان ابحث عن فتاة اكسر قلبها ، لئلا
يكسر قلبى .. ثم نمرق ..

وكان امالى بعد ان تركت السويد ان ازور بعض المصانع فى
المانيا والنمسا ، لبضعة اسابيع ثم اعود الى بلدى ..
و .. حدث الشيء الكبير ..

كنت اركب القطار من كوبنهاجن فى الدانمرك ، الى هاتوفر فى
المانيا .. والقطار يعبر بنا بحر الشمال محمولا على باخرة ..
ومياه البحر هادئة .. زرقاء .. عميقة الزرقة .. والسديم يطوم
فى كانه يغسل وحى بماء مثلج .. ونفسى هادئة مستكنة ..
ورفعت عينى بلا مبالاة .. فرأيتها .. والتفت عنائى بعينها ..
صدنة ..

واحسست كأن حجرا صغيرا الذى فوق صفحة نفسى الهادئة
المستكنة ، قامتلات أمواج تتسع وتوسع حتى تصل اليها .. الى
الشقاء الذى تقف بجانبى مستندة على سور الباخرة ..
انها جميلة .. ولكنها ليست كبئات السويد ..

ان مياها شينا يختلف عن كل انسات .. فيها شيء لى وحدى ..
شيء كانى كنكى فى انتظاره على موعد ..
واستسمت .. وجدت نفسى أبسقم ..

ولحت على شفيتها انسامة مترددة ، ما لفتت ان انسعت
واستقرت ..

واقتربت منها فى خطوات خفزة .. كانى كنت خائفا ان اقتربت
اكثر ان اسين انى اقتراب من سراب ..
ووصلت اليها .. وفقدتها ..

ولا ادرى من اين اتينا كل هذا الحديث ولم يمض على لقائنا
سوى لحظات .. وانا سطعى خجول منطو .. ولكنى وجدت نفسى
تتكلم وانكلم .. آفاق واسعة تمتد أمامى وتطلىء بالكلام ..

ودعوتها الى الغداء .. ودعنتى فى نفس اليوم الى العشاء ..

ونحن نكلم .. انها تستطيع ان تتكلم فى كل شيء .. فى
الادب ، والفن ، والموسيقى ، وفى الهندسة والصناعة ايضا .. ان
ما فى راسها اكبر من عمرها .. عمر الساعة عشرة .. وهى
ذاتنا رفيقة حتى لبدو من مرط رقبها « همدانة » مسلسلته .. انها
ليست كيدات السويد المملكات صحه وعافاة .. كانها شرقية ..
كانها من شاننا ..

ومرغت انها نمساوية .. انه احد رجال الصناعة هناك ..
وانها فى طريقها الى غيبا .. وبد تردد غيرت طريقى الى غيبا ..
وعشت معها هناك شهرا .. عرفتني بعائلتها .. وكانت معى
دائما حتى وانا ازور المصانع .. ثم كنا نذهب لتجلس معا على
شاطئ الدانوب .. ونحكلم ..

ولم يعد كل ما بيننا كلاما .. لقد اعطنتى كل ما اريده ..
اعطنتى فى استسلام رقيق .. وتحملتني فى خضوع .. كانت
تسعرنى بانى كل شيء .. بانى اقوى رجل فى العالم .. بانى اسعد
رجل فى العالم .. بانى خير رجل فى العالم .. ولكنه احساس
بقوة عواطفى .. بقوة الحنان .. بقوة الحب ..
وقد احسها ..

كانت ضنى الاول ..

ثم .. كان يجب ان اعود الى بلدى .. وقبل ان اعود كنت قد
قررت ان ازوجها .. ولكنى لم افاتها فى الزواج ، فلم يكن مرتضى
يكفى لان اصنع لها حياة فى بلدى توارى الحياة التى نعيشها فى
بلدها .. كان يجب ان انتظر حتى يصل مرتضى الى ستين حنيها
فى الشهر على الاقل ..

وكما البقيت بها فى قطار .. ودعنتى فى قطار .. ركبت معى
حتى آخر حدود النمسا ، ثم نزلت ووقعت على الرصيف ، وبدا

فى يدى ، وعيناها الزرقاوان فى بحر من الجموع .. ثم تحرك
القطار .. ويدها فى يدى .. ثم تركت يدى ، وأخذت تجرى وراء
القطار كأنها تريد أن تمسك به حتى لا يبتعد بى ..
واختفت .. وبكى ..

ووصلت الى القاهرة لأجد خطابا منها فى انتظارى .. وكنت
لها .. كنت اكتب لها كل يوم .. وتكتب لى كل يوم .. وسحدث ..
نتحدث من كل شيء .. وعن بيضا فى القاهرة ، وابن سنضع
النوتاجاز .. وابن سنضع المربجدبر .. و .. ومضى سبرسمع
مرتى الى ستين جنينا ..

وأنا وحيد فى القاهرة .. وحيد مع حصى .. مع ذكرياتى ..
مع عينها الزرقاوين .. ومع شعرها الذهبى .. ومع خطاباتنا ..
وحيد .. الى ان التقيت ببثينة .. لم التق بها ..

انى اعرمها دائما .. انها شقيقة صديقتى محمود .. وكنت
التقى بها واتحدث اليها كلما ذهبت لزيارة محمود .. ولكنى وجدت
نفسى بعد ان عدت من أوروبا اتحدث اليها اكثر .. ثم اصبحنا نلتقى
فى النادي صديقة .. ثم اصبحنا نلتقى على موعد .. ونحدث ..
وحدثنا عن حبيبتي فى فيينا .. حدثنا عنها طويلا وكثيرا ..
وكنت انتهى من حديثي معها ، واذهب الى بيتي وارسل الى نسيب
خطاب .. ثم لم اعد أحدث ببثينة عن حبيبتي .. لقد وجدنا اكثر
من موضوع آخر نتحدث فيه .. ولكنى كنت دائما اتركها لارسل
خطابا الى فيينا .. الى حبي الاول .. ومر عام .. وعام آخر ..
وأنا أعيش فى حصى الاول .. وفى لقاء يتجدد مع بثينة ..

وكانت بثينة هى سندی فى هذا الأمل .. هى الدواء الذى
انناولته حتى لا أمقد الأمل .. لا تسيء الظن .. لم يكن ميني وبين
شيء .. لم نتصارح بأى معنى من معانى الحب .. كان كل
ما سننا هذه الاحاديث انى لا نتمنى ..

وارتفع مرتبى الى ستين جنينا .. الى سبعين ..

وقررت أن اذهب الى أملى .. وذهبت طائرا ..

ولكنها لم تكن فى بيتها .. قد سافرت الى ألمانيا وسعود بعد
أسبوع .. وأعطونى عنايتها .. وجلست لآكتب لها خطابا ..
وونصت للورقة أمامى .. وامسكت بالقلم .. وبدأت اكتب ..
ووجدت نفسى اكتب من اليمين الى اليسار ..

واكتب باللغة العربية ..

واكتب : عزيزتى بثينة ..

كانت رغبة عارمة تدفعنى الى الكتابة الى بثينة .. رغبة
لم استطع أن اقاومها .. فكنت لها .. وفى الصباح الباكر ..
امسكت بالقلم لآكتب الى حبيبتي .. ولأول مرة ارتدد .. ولأول
مرة احد الكلام ثقيل فوق من قلبي .. ولأول مرة أحس انى
ابذل مجهودا كبيرا لآتقى الكلمات ، وليلطول الخطاب الى اكثر من
نصف صفحة .. وبعد ثلاثة أيام كنت خطابا آخر الى بثينة .. من
خمس صفحات .. ثم عادت حبيبتي .. والقبينا ..

القبينا بعد عامين من الأمل .. وفرحت سى ..

وفرحت بها ..

فرحة حقيقية .. أحسست انى استردت نفسى وأنا أضفها الى
صدري ..

ثم .. ثم ساد بيننا صمت عجيب .. ثقيل .. صمت فيه
ارتباك ، وكان كل منا يبذل مجهودا ليحفظ بانتسابته .. وكل منا
ينظر فى وجه الآخر كأنه يبحث فيه من حبه ، وعن ذكرياته ..

وقضينا اليوم مما نبحت عن ذكرياتنا وحنينا .. وما كدت
أعود الى الفندق حتى جلست لآكتب خطابا الى بثينة ..

ومر أسبوع .. وكل يوم أقسبه مع حصى .. ثم أعود انى
الفندق لآكتب خطابا الى بثينة .. و .. وقلت لها وأنا مرتبك :

— لقد أصبح مرتبى سبعين جنبها ..
قالت مبتسمة .

— مبروك ..

قلت لم تردد :

— اننى استطيع الآن ان اتزوج ..
قالت وهى نحنو على بابتسامتها :

— هل وجدت من تتزوجها ؟

ورفعت اليها عيني لم دهشة ..

وامسكت يدي وربت فوقها وقالت لم صوتها الهادى الرقيق :

— لست انا .. يا محمد !!

قلت :

— ولكن ..

وقاطعتنى وهى تضع اصابعها للريقة فوق شفتي :

— لا تتكلم .. لا تقسد ذكرياتنا .. تعال .. اننا سنذهب

لليلة الى الاوبرا ..

وقبل ان اذهب الى الاوبرا ، ذهبت الى مكتب التصوير ،

وارسلت برقية الى بثينة : « ساعد .. انتظرينى ! »

وعدت .. وتزوجت بثينة ..

فهرست

صفحة	
٥	كرامة زوجتى
١٧	زوجة وخادمة
٢٧	مسورة
٣٥	مغامرة
٤٥	بنت تبحث عن زوج
٥٣	زوجة تبحث عن عمل
٦٠	رجل يبحث عن سيارة
٦٨	أين حبيبتي
٧٥	خواتم فتاة متحررة
٨٣	بلا كلام
٩٠	حائز بين الحلال والحرام
٩٨	لا .. ليس جسدك
١٠٥	بلا قانون
١١٣	المنافقة
١١٨	رجل أعلن إسلامه
١٢٥	بنت تكتب الخطابات
١٣٣	بنت تحب أمها
١٤٠	موظف فى الصعيد
١٥٢	بنت تجرى وراء الشمس
١٥٧	هكذا قتلت زوجتى
١٦٣	غيفى

مكتبة مصر

سعيد جوده السحار وشركاه

تقدم قائمة بمؤلفات عمالقة القصة المصرية

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

(١٧) لا .. ليس جسدك	(١) صانع الحب
(١٧) لا .. ليس جسدك	(٢) بائع الحب
(١٨) عقلى وتلقى	(٣) انا حرة
(١٩) بشر الحرمان	(٤) الطريق المسدود
(٢٠) علبة من صفيح	(٥) أين عمري
(٢١) ثقبوب فى الثوب الأسود	(٦) النظارة السوداء
(٢٢) بنت السلطان	(٧) فى بيتنا رجل
(٢٣) سيدة فى خدمتك	(٨) لا انا
(٢٤) نساء لهن أسنان بيضاء	(٩) منتهى الحب
(٢٥) لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص	(١٠) لا تطغى الشمس (جزأين)
(٢٦) الوسادة الخالية	(١١) شئ فى صدرى
(٢٧) دمي ودموعي وابتناسنى	(١٢) زوجة أحمد
(٢٨) الراقصة والسياسى	(١٣) البنات والصيف
(٢٩) حتى لا يطير الدخان	(١٤) لا شئ بهم
(٣٠) لا تتركبنى هنا وحدى	(١٥) أنف وثلاث ميون (جزأين)
	(١٦) شفناه

صفحة

١٧٣	لم اعد طفلا
١٨٠	بنت السلطان
١٨٨	بلا كرامة
١٩٧	لست مغفلا
٢٠٥	خلف العباءة
٢١٢	لم أمد يدي
٢٢٠	رجل ينفخ البالونات
٢٢٤	بلا مطبخ
٢٣٠	هذا البريق
٢٣٦	شئ غير الحب
٢٤١	لن أنزوج زميلتى
٢٤٩	اصعب الزواج
٢٥٥	الكبرياء والزوج
٢٦٣	أختى
٢٦٩	مكان لشاعر
٢٧٦	المقامر
٢٨١	الشخصية الجديدة
٢٨٨	الزوجة الثانية
٢٩٥	مقاعد المنفرجين
٣٠٠	العودة

للمؤلف

عبد الحميد جوده السعار

روايات وقصص واقاصيص

الطبعة الاولى

أحمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الففاري		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
في الوظيفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن ابي وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة اقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
أبناء ابي بكر الصديق		أكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج يناير سنة ١٩٤٧		
في قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
اهل البيت		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
التقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح ميسى بن مريم		سنة ١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة اقاصيص	سنة ١٩٥٢
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤

الطبعة الاولى

قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
ام العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
اذرع وسيفان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
ارملة من فلسطين	مجموعة اقاصيص	سنة ١٩٥٩
الحصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩
القصة من خلال تجارب الذاتية		سنة ١٩٦١
جسر الشيطان	قصة	أكتوبر سنة ١٩٦٢
ليلة عاصفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٦٣
النصف الآخر	قصة	يناير سنة ١٩٦٤
السهول البيض	رواية	يوليو سنة ١٩٦٥
وعد الله وإسرائيل		يوليو سنة ١٩٦٧
عمر بن عبد العزيز	قصة	يناير سنة ١٩٧٢
الحفيد	قصة	أكتوبر سنة ١٩٧٢
هذه حياتي	(قصة حياة المؤلف)	فبراير سنة ١٩٧٤
٩٦ كرات سينمائية		أبريل سنة ١٩٧٤

القصص الديني

(للأطفال)

قصص الانبياء	في ١٨ جزءا
قصص السيرة	في ٢٤ " "
العرب في أوروبا	في ٢٤ جزءا
قصص الخلفاء الراشدين	في ٣٠ " "

محمد رسول الله

والذين معه

في عشرين جزءا

الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

- | | |
|---------------------------|----------------------|
| (١٣) حافة الجريبة | (١١) لقبطة |
| (١٤) الوشاح الأبيض | (٢) بعد الغروب |
| (١٥) الجنة المذراء | (٣) شجرة اللبلاب |
| (١٦) خيوط النور | (٤) شمس الخريف |
| (١٧) الباحث عن الحقيقة | (٥) غصن الزيتون |
| (١٨) البيت الصامت | (٦) من أجل ولدى |
| (١٩) أسطورة من كتاب الحب | (٧) سكون العاصفة |
| (٢٠) اللزمن بقية | (٨) الماضي لا يعود |
| (٢١) جولييت فوق سطح القمر | (٩) ألوان من السعادة |
| (٢٢) قصة لم تتم | (١٠) أشياء للذكرى |
| (٢٣) الدموع الغرساء | (١١) النافذة القريبة |
| | (١٢) الضفيرة السوداء |

- | | |
|---------------------------|-------------|
| ١ - إبراهيم أبو الأنبياء | أكتوبر ١٩٦٥ |
| ٢ - هاجر المصرية أم العرب | مارس ١٩٦٦ |
| ٣ - بنو اسماعيل | سبتمبر ١٩٦٦ |
| ٤ - العدنانيون | فبراير ١٩٦٧ |
| ٥ - قريش | مايو ١٩٦٧ |
| ٦ - مولد الرسول | يولية ١٩٦٧ |
| ٧ - اليتيم | أكتوبر ١٩٦٧ |
| ٨ - خديجة بنت خويلد | يناير ١٩٦٨ |
| ٩ - دعوة إبراهيم | مارس ١٩٦٨ |
| ١٠ - عام الحزن | أبريل ١٩٦٨ |
| ١١ - الهجرة | سبتمبر ١٩٦٨ |
| ١٢ - غزوة بدر | نوفمبر ١٩٦٨ |
| ١٣ - غزوة أحد | يناير ١٩٦٩ |
| ١٤ - غزوة الخندق | مايو ١٩٦٩ |
| ١٥ - صلح الحديبية | يونية ١٩٦٩ |
| ١٦ - فتح مكة | نوفمبر ١٩٦٩ |
| ١٧ - غزوة تبوك | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ١٨ - عام الوفود | مايو ١٩٧٠ |
| ١٩ - حجة الوداع | نوفمبر ١٩٧٠ |
| ٢٠ - وفاة الرسول | سبتمبر ١٩٧٠ |